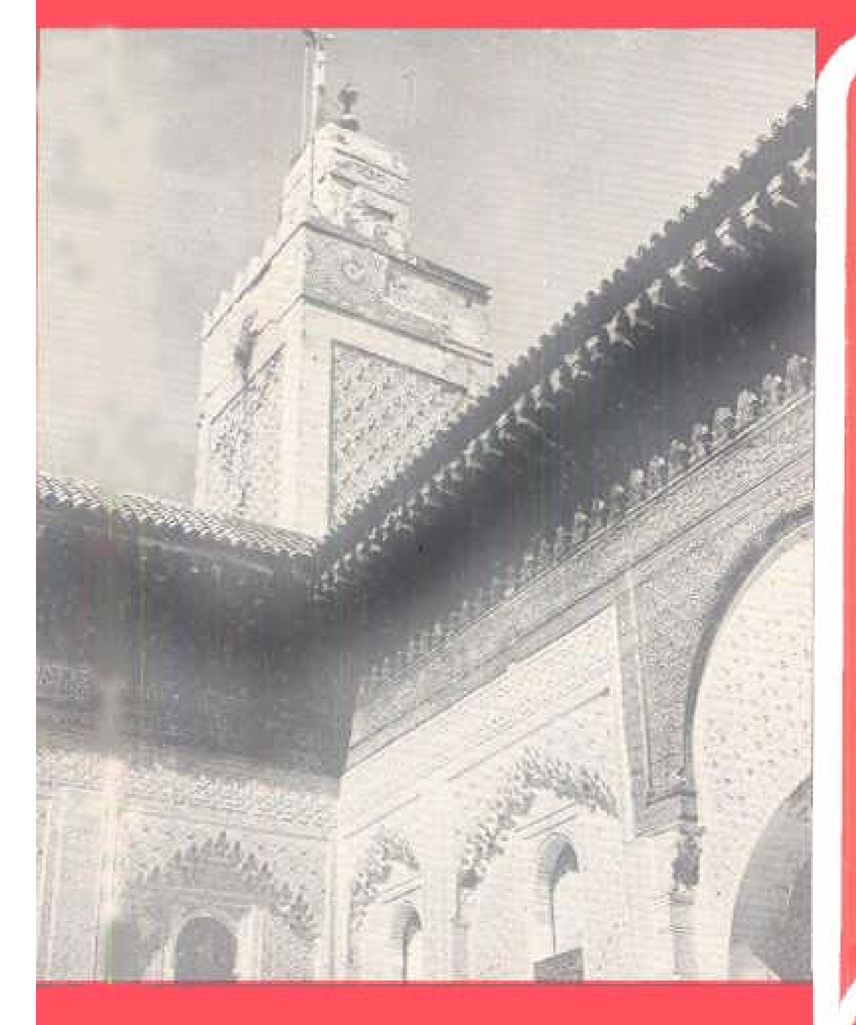
دعوة الحق

الحرية والغموض في الفكر

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
المملكة المغربية



أبعاد الحضارة المغربية
في أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة

الإسلام والمذاهب الاشتراكية

أزمة فكر أم فكر أزمة

العددان 7 و8 • السنة 18 • شعبان - رمضان 1397 • غشت - شتنبر 1977 • ثمن العدد ؟

العددان 7 و 8
السنة الثامنة عشرة
شعبان - رمضان 1397
غشت - شتنبر 1977
ثمن العدد : 3 دراهم

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر .

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
(مديرية الشؤون الاسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرف 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . **لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .**

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55
à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

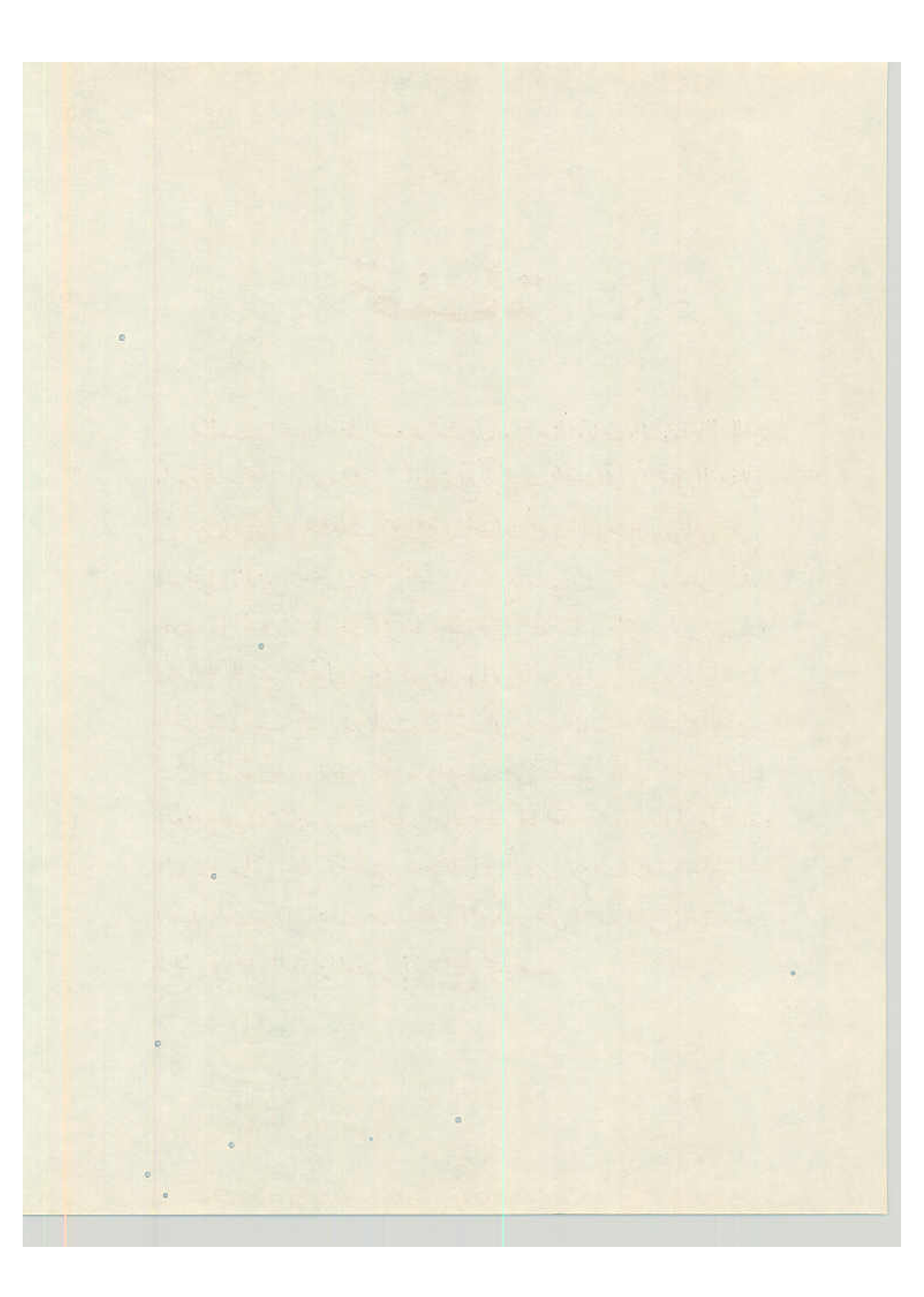
لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس
العددين السابع والثامن



تهنئة

بمناسبة عيد الفطر السعيد تتشرف وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وأسرة تحرير مجلة "دعوة الحق" بأن ترفع أبرك التهاني وأجمل الأماني إلى مقام حضرة صاحب الجلالة والمهابة أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين الملك الحسن الثاني مبدع مسيرتنا الخضراء ورائد نهضتنا المباركة ورمز عزتنا وضامن وحدتنا، وإلى ولي عهده المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد وإلى كافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة. سائلة الله جلت قدرته أن يديم لجلالته النصر والتأييد ويلهمه التوفيق ويسدد خطاه ويعينه على تحقيق آمال شعبه الوفي المومن في التقدم والازدهار والرخاء. كما تتقدم إلى سائر أفراد الشعب المغربي، وإلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها سائلة الله العلي القدير أن يعيد هذا العيد السعيد على الأمة الإسلامية وهي ترفل في حلل العز والنصر إنه سميع مجيب.



الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرّية والفوضى في الفكر

● تقوم المذاهب الفكرية والسياسية المعاصرة على دعوى عريضة تتمثل في الكفاح من اجل اقرار الحرية وضمان ظروفها الملائمة وتمكين الانسان من التمتع بحقه الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة . ومن خلال استقراء الاوضاع في البلاد التي تمكنت فيها بعض هذه المذاهب من السيطرة على الحكم بشكل او بآخر لا نلقى أثرا للحرية بمفاهيمها الفكرية والسياسية والاقتصادية والانسانية ، ويعيش الانسان في ظل هذه الاجواء الخانقة اشقى حالات الارهاب والقمع والاضطهاد والحصار المضروب من كل جهة .

ويلاحظ من خلال الجدل الايديولوجي الصاخب في المشرق والمغرب ان دعاة الالحاد والحقد والتمرد على الفطرة والطبيعة والمشبوهين في انتماءاتهم لوطنهم وقومهم والضالعين مع أعداء الإستعمار والصهيونية وما يتبعهما من فرق ونحل ، اكثر الناس اثارة لقضية الحرية وأعلاهم صوتا في الدفاع عنها واشدهم حماسا لها ، وفي ذلك ما فيه من تناقض صارخ بين النظرية والتطبيق ، وبين المبدأ والمنهج والممارسة والتنفيذ . ذلك ان ايديولوجيات العصر لا تابه لقيمة الحرية وكرامة الانسان في مجال الحكم والممارسة السياسية على الواقع الحي ، وبذلك لا نعدو الحقيقة والصدق ان قلنا ان الحرية في اطار الصراع الفكري المحموم في وقتنا الراهن ليست الا « ديكورا » وزخرفا وشعارا للاستهلاك المحلي او العالمي على السواء .

● ان حرية الانسان في المجتمعات الآخذة بالفكر الالحادي تضع العقيدة والمذهب بجوانبه النظرية والمادية موضع اتهام خطيـــر . وان اشقى الناس في العالم المعاصر واكثرهم معاناة وحرمانا ومكابدة لصنوف العـــذاب النفسي والجسدي اولئك الذين كتب لهم ان يعيشوا في هذه المجتمعـــات .

لقد اقترنت المذاهب الاقتصادية والسياسية المتطرفة بصور بشعة من الارهاب الفكري الذي يتعامل مع الانسان على اساس القهر والاحتقار والامتهان . ولا أحسب انه يسوغ في منطق العقلاء التضحية بالكرامة من اجل الخبز ... بل ان هذه المذاهب باعتبارها حصيلة تخيلات وشطحات ميتافيزيقية بعيدة عن الواقع والمعايشة لا تضمن الخبـز الا بمقدار مـــا يسد الرمق في احسن الاحوال ، بما يؤكد ـ نظريا وعمليا ـ ان ارتبـــاط الخبز بالكرامة والحرية ضرورة حيوية وطبيعية بقدر ما هي غاية انسانية نبيلـــة .

لقد اضحت الحرية شعارا جميلا يتغنى به الحالمون وينخدع بـــه السذج من ابنائنا المنبهرين ببريق الفكر الوافد . ولو اننا تخلصنا مـــن رواسب عهود الانحطاط ونظرنا الى الواقع بالعقل المبـــرا من الهـــوى والغرض لالفينا ان الحرية في غير الاسلام والقيم الاصيلة لشعبنا سراب وضرب من ضروب الخيال المجنح .

● ان الجولة الاولى التي كسبها الاستعمار الفكـري في البـــلاد العربية والاسلامية انه اشاع في اوساطنا مفاهيم مهزوزة لا تمثل الواقع في شيء . وهو مكر صهيوني ارادوا به اضعاف ثقة المسلمين في قيمهم اولا ثم التمرد ـ في المرحلة الثانية ـ على هذه القيم والكفر بها والغائها من حياتنا اليومية الغاء تاما لا رجعة بعده .

وباعتبار الحرية قيمة جوهرية من قيم الاسلام الخالدة ، فقد طالتها يد التشويه فافقدتها كثيرا من معانيها السامية ومدلولاتها الرفيعـــة ، فانقلبت ـ من جراء ذلك ـ في اذهان فئة ليست قليلـــة من المثقفيـــن والمتعلمين بصفة عامة الى مرادف للفوضى وبديـــل للاستهتار واداة من ادوات تضليل الشعوب وتخديرها واجتذابها الى مواطن الهـــلاك بدعوى تحريرها من عبودية الفكر الخرافي الرجعي ..

● فهل يستقيم للحرية وضع في ظل التمرد والبغي والسفـــه والاعراض عن الديـــن ؟

● وهل من الحرية الخروج عن الشعوب المؤمنـــة وتحـــدي مشاعرها واذلالها بشتى اساليب الاذلال ؟ ..

● ما هي العلاقة بين الدين ـ الاسلام ـ وبين الحرية ، وهـــل ـ حقيقة ـ ان ديننا يحجر على العقل ويكبله بقيود الوهم كما يزعمون ؟ .

الحق انه ليس ثمة من دعوة عالمية أوجدت المناخ الطبيعي والصحي للحرية والكرامة الانسانية غير الاسلام ... ذلك ان مدار الامر كلـــه فى الاسلام يدور حول الانسان اولا وأخيرا ..

وتلك هي نقطة الاختلاف الجوهري والاساسي بيننا كأمة عربية مسلمة وبين جميع دعاة التخريب والتبعية والعمالة والتمرد على دين الله وكلمته ومنهجـــه جـــل جلالـــه .

والمشكلة ـ ومن الانصاف والحزم ان نعترف ان ثمة مشكلة قائمة ـ كيف نقنع شبابنا بما نؤمن به .. وكيف ـ بالتالي ـ نمد قنوات التبليغ الى عقول فتية تعيش حيرة وقلقا وتجتاز طور المخاض الفكري فى معانـــاة حقيقيـــة ...

ان الممارسة العملية لمضامين الاسلام ومعطياته الايجابية الفعالـــة المؤثرة تعتبر فى الواقع أقوم سبيل الى تحقيق مجتمع الكفاية والعـــدل والحرية من حيث قصرت او عجزت تماما مذاهب العصر وايديولوجياته في تجسيم الحلم الجميل الذي طالما خدرت به العقـــول ودغدغت بـــه القلـــوب ..

ونعتقد ان طريق الوضوح والمكاشفة والصدق الذي يسلكه المغرب اليوم بقيادة رشيدة وواعية من جلالة الملك الحسن الثانـــي نصره الله حقيق بان يفضي بنا الى شاطىء الرخاء والاستقرار المستمر باذن الله .

(دعوة الحق)

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يقول في الذكرى 24 لثورة الملك والشعب :

• علينا أن نختار ما يمكن لمجتمعنا المغربي أن يقبله وما يمكن أن يرفضه رفضاً باتاً

• ثورة الملك والشعب تجسد الوعي الذي جعل منا رجلاً واحداً

● طمان جلالة الملك نصره الله شعبه الوفي فى خطابه السامي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب على سلامة الوضع فى صحرائنا المسترجعة . وقال حفظه الله بالحرف الواحد : ((يمكنني ـ شعبي العزيز ـ ان اطمئنك تمام الاطمئنان وانك لتعلم انني لم اكذب عليك ولن اكذب عليك فان خرافة البوليزاريو كانت خرافة حقا ولم تكن شيئا آخر ، وان ما شهده ورآه ولمسه جنودنا وضباطنا رغم الحرارة ورغم الظروف القاسية ليشجع تمام التشجيع ويطمئن تمام الاطمئنان ، فان بلدك من صحرائها الى بوغازها مطمئنة ناعمة فى حفظ من الله سبحانه وتعالى وأمانه)) وبذلك تم تفنيد جميع الادعاءات الفارغة ودحض الافتراءات المغرضة التي تقف وراءها دائما القوى المعادية للاسلام والعروبة فى كل زمان ومكان .

ومن الخطأ الاعتقاد أن المؤامرة المبيتة ضد المغرب وموريطانيا من طرف عملاء الاستعمار والصهيونية والشيوعية تستهدف الارض دون الانسان والفكر . ذلك أن الخطر الذي يتهدد المنطقة يتخطى هذا النطاق الى العقيدة الاسلامية واللغة العربية واستقلال شعوب المغرب العربي المسلم .

وفيما يلي خطاب جلالة الملك :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز ..

هانحن نلتقي مرة اخرى لنخاطبك حول احياء ذكرى عشرين غشت ذكرى ثورة الملك والشعب .

وان الانسان الذي يريد ان يتكلم عن هذه الذكرى نظرا لعمقها وابعادها ووحيها الرباني وما كتب عنها فى الداخل والخارج ان الانسان ليجد نفسه فى حيرة تتجاذبه الذكريات والفكر وتقذف به التحليلات والعبر . وان هذه الحالة هي حالتي الان وانا اخاطبك . فكم من وقائع وذكريات وما حف بتلك



جلالـــة الملـــك فى خطـــاب 20 غشت



الاصالـــة والاستمـــرار فى ذكـــرى ثـــورة   الملـــــــك والشعـــــب

الوقائع وما حف بتلك الذكريات . وقد بحثت عن موضوع حول هذه الذكرى ابادلك فيه الحديث فعثرت على موضوع الجهل وما يتولد عنه من اهمال والوعي الذي تنبثق من نوره التضحية والاستبسال .

وان الجهل الذي أريد أن أحدثك عنه شعبي العزيز ليس الجهل المناقض للعلم . فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أميا ولم يكن جاهلا . الجهل الذي يولد الاهمال هو جهل المجتمع والافراد والجماعات والهيئات هو جهلهم بماضيهم أولا وبواجبهم نحوهم ونحو ابنائهم ثانيا . ونرى فى تاريخ المغرب كلما نزل الجهل بكلكله على مجتمعنا .

فالجهل هو اهمال المسؤولية كيفما كانت الطبقة الحاكمة وكيفما كان المسيرون وكيفما كان مستوى ذوي الفكر والعلماء في بلادنا . كان القدر المحتوم دائما أن تغيب شمس المغرب مدة ويتقلص ظله لجهل المجتمع والحاكمين والمسيرين والمسؤولين لجهلهم لما يجب عليهم من واجبات وكلما انتشر الوعي، الوعي بمعناه السهل للمشاكل الحقيقية التوجه لحل تلك المشاكل بالجد والجدية والداب قدما الى المطامح يوما بعد امسه كلما مر المغرب بفترة من هذه الا واشرقت عليه شمس الصفاء وأصبح يترعرع فى نعيم من التقدم والازدهار .

فذكرى ثورة الملك والشعب تجسد ذلك الوعي الذي جعل منا كرجل واحد ولو كنا على بعد الاف الكلومترات دون اتصال مباشر او غير مباشر نحس احساسات واحدة ونخطط نحو أهداف موحدة . ذلك انه قبل ان ينفى ملك البلاد وأبوها محمد الخامس طيب الله ثراه كان الوعي منتشرا فى جميع أنحاء المغرب وحتى الذين ضللهم الاستعمار ونصبهم فى أعين الخارج كمخاوف حينما شعروا انهم انما أوتوا كما يؤتى بالاجساد دون الارواح أصبحوا هم الذين يحاربون الاستعمار فى الجبال فى جبال الريف وجبال الاطلس .

وهكذا شعبي العزيز بمجرد ما علم الشعب ان المسالة مسالة موت أو حياة تجسم فيه ذلك الوعي الذي ذكرته لكن الوعي الذي تنبثق منه شمس التضحية والاستبسال وحتى فى التوعية علينا ان نختار ما يمكن لمجتمعنا المغربي وبيئتنا المغربية أن تقبله وما يمكن أن ترفضه رفضا باتا . وأحسن مثال هو نداء شيخنا وأستاذنا العلامة السيد علال الفاسي رحمة الله عليه ذلك النداء الذي القاه من القاهرة فى 20 غشت والسيد علال رحمه الله كان اولا عارفا واعيا ولكن كان أيضا عالما بمجتمعه ففي ندائه قال للشعب حارب حتى تستقل البلاد ويرجع سلطانها الشرعي من منفاه وآن لم يكن هو فامير الاطلس ولي عهده مولاي الحسن. فهذا الرجل نفسه حينما نادى بالاستقلال والتضحية لم يقل حاربوا او قال حاربوا حتى يستقل المغرب وننظر اذاك فى النظام لا . لانه كان اعلم الناس بما يمكن للمغاربة ان يقبلوه . وكان اشد الناس تعلقا باصالة المغرب . فبتوعيته كذلك اختار اساليب التوعية تلك الاساليب التي اضرمت النار وجعلت الاستعمار يعرف الهزيمة تلو الاخرى الى ان رجع محمد الخامس من منفاه حاملا معه الاستقلال والى ان حقق ابنه وخديمكم هذا وعده بالاستقلال فى ظل الملكية الدستورية .

شعبي العزيز هذا هو الدرس الذي اريد أن نستخلصه هذه السنة من ذكرى 20 غشت علينا أن نكون واعين وان ننشر الوعي فى جميع من يحف بنا لاننا قبل كل شيء راعون وكل راع مسئول عن رعيته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذن فعلى المسؤولين السياسيين ان يستعملوا التوعية ولكن التوعية الصالحة ، على الموظفين انْ يستعملوها كذلك ، على الوزراء ان يستعملوها كذلك على كل مسئول مسئول عليهم وعلينا جميعا وانا على راس الجميع ، علينا جميعا ان نبقى مجندين مدنيين كنا ام عسكريين مجندين لا للخيال لان التجنيد للخيال لا يتبعه الا الاضمحلال ، علينا أن نبقى مجندين ضد المشاكل الحقيقية لاهداف معينة تابعين خططا معروفة متقنة محكمة فاذا نحن سرنا فى هذه الطريق تمكنا دائما كيفما كان المنعطف وكيفما كانت ارتجالات الوقت عرفنا كيف نخرج من الارتجال وعرفنا كيف نستعمل المنعطف لصالحنا لا ضدنا .

ونحن فى قريب غير بعيد سنوضع أمام امتحانات مثل هذه وستكون عند كل مغربي فاز بثقة ناخبيه منصة رسمية بل اقول منصة مشروعة شرعية ليبث وعيه وليفسر ويشرح فكره وفكرته .

فعلينا اذن ان نبقى دائما مجندين حتى لا ننزلق نحو ما هو ثانوي وننسى ما هو أولي ، والاولي قبل كل شيء شعبي العزيز هو المغرب ومستقبله ودوامه وما الدوام الا لله ودوامه الى انقراض العالم وقيام الساعة . وبهذه المناسبة شعبي العزيز يطيب

لي أن أقول لك انه في الايام الماضية قررنا اجـراء عمليات ومناورات عسكرية في صحرائنا المسترجعة أولا للنظر بعمق وتدقيق في الحالة وثانيا لاعطاء كمية من الجنود والضباط غير مستهان بها الفرصـة ان تستعمل آلياتها وتقوم في آن واحد بمناورات .

وقد قام بهذه المناورات سلاح الارض وسلاح الجو وسلاح المدفعية وسلاح المصفحات وجميـع الاسلحة ، وقد كان جنودنـا يتـراوح عددهـم بين 12 ألف و 13 ألف .

يمكنني شعبي العزيز ان أطمئنك تمام الاطمئنان وانك لتعلم انني لم أكذب عليك ولن أكذب عليك فان خرافة البوليزاريو كانت خرافة حقا ولم تكن شيئـا آخر وان ما شهده ورآه ولمسه جنودنا وضباطنا رغم الحرارة ورغم الظروف القاسية ليشجـع تمـام التشجيع ويطمئن تمام الاطمئنان . فان بلدنا مـن صحرائها الى بوغازها مطمئنة ناعمة في حفظ من الله سبحانه وتعالى وامانه .

فما علينا اذن نحن الا ان نزيد عملا تلو عمـل وخطى تلو خطى حتى يمكن لجميع من يجاهـدوا في سبيل هذه الدولة وفي سبيل هذا الشعب اما على تخوم حدوده واما في مكاتبه واما في معامله واما في حقوله حتى يمكن لنا جميعا نحن جنود هذه الامة ان نقوم بواجبنا بالواجب الذي يفرضـه علينا الديـن والمواطنة ويفرضه علينا ماضينا الذي نعيشه اليوم.

ففي مثل هذا اليوم ألقى رجل من رجالاتك نفسه وأسرته ومستقبله وراء ظهره ليضحي اولا في سبيل شعبه وثانيا ليعطي درسا للعالم على أن العاقـل لا يظلم فكيف اذا كان أمة . والله سبحانه وتعالى لـم يخيب ظنه ولم يخيب ظن شعبه فيه ولم يخيب ظنه في شعبه وتلاقيا والتقيا ولا زالا يلتقيان روحا وتربية وتلمذة كما نلتقي نحن اليوم يلتقي ابناؤنا ان شاء الله على نفس هذا الطريق المستقيم على نفس سبيل الله الذي لا يعرف الاعوجاج حتى يمكننا ان نؤدي مهمتنا لانه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلـوا تبديلا فاللهم اجعلنا منهم واجعلنا في زمرتهم وآخر دعواي آية القرآن : « ربنا لا تزغ قلوبنـا بعـد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » صدق الله العظيم . والسلام عليكم ورحمة الله



البدء والاستمرار

تصويب

وقع بعض تصحيف فى مقال « البدء والاستمرار » للاستاذ الكبير محمد العربي الخطابي ، المنشور فى العدد السادس (رجب 1397 – يوليوز 1977) من مجلة « دعوة الحق » ، فالمرجو من القارىء الكريم أن يصحح نسخته كما هو مبين فيما يلي :

— فى الصفحة 11 ، السطر 13 من العمود الثاني اقرأ : « وعلم آدم الاسماء كلها » (البقرة / 31) .

— فى الصفحة 12 ، السطر 21 من العمود الثاني اقرأ : « آل عمران 59 » بدل (آل / 59) .

— فى الصفحة 13 ، السطر الثالث من العمود الاول ، تنبه الى أن رقم الآية المستشهد بها هو (البقرة / 21) وفى السطر 22 بنفس الصفحة والعمود تنبه الى أن رقم الآية المستشهد بها هو (طه / 123)

— الصفحة 14 ، السطر العاشر بالعمود الاول ، تصحح الآية الكريمة (لقمان 27) فتكتب « نفدت » بالدال المهملة ، وتقرأ الفاء بالكسر . وفى نفس الصفحة والعمود (السطر رقم 12) تنبه الى أن رقم الآية المستشهد بها هو (آل عمران / 44) .

— الصفحة 14 ، السطر 13 بالعمود الثاني ، يصحح السطر الاخير فى الآية الكريمة « ثم ان علينا بيانه » (القيامة / 18) .

— فى الصفحة 15 ، السطر الرابع من العمود الثاني تصحح الآية الكريمة : « انما انا بشر مثلكم يوحي الي أنما الهكم اله واحد » .
ونستغفر الله من كل زلة .

دراسات اسلامية

- المعرقية
- الاسلام والمذاهب الاشتراكية
- التدين من مزايا القائد المنتصر
- تأملات فى الفقه الاسلامي
- بحث فى معنى الاله
- فوائد الصوم العسكرية
- اهمية الايمان للحياة وللجهاد
- فى الاسلام وقضايا العصر
- حديث خرافة فى ميزان النقد الحديثي



في دروب الايمان :

المعرفة

للأستاذ محمد العربي الخطابي

المعرفـة أقـرب الى الصمت منهـا الى الكـلام

أبو سليمان الدارانى

« الله نور السموات والارض »

نوره علمه بذاته وبلوحه وقلمه وباكوانه التـي ابدعهـا .

« مثل نوره كمشكاة فيها مصباح »

نوره قلب العارف ، ومهجة المحب ، وتهـج الحيران ، وسراج الواصل .

« المصبـاح فى زجاجـة »

بنوره تتلألأ الاكوان ، وتفيض ينابيع المحبة ، وتنجلي اسرار اليقين .

« الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجـرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية »

من خلالها تشع شموس الحكمة ، وتنتشر ظلال الرحمة ، وتهب نسائم السكينة .

« يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار »

لا نار مع نوره ، به تسبح النجوم فى الافلاك ، وتسطع قوائم العرش فتنفتح البصائـر وتنكشـف الحجـب .

« نـور على نـور »

هو القدم يضرب فى اللابداية ، والبقاء يسري فى اللانهايـة .

« يهدي الله لنوره من يشـاء »

والمعرفة نور العقل ، وسطعة البرهان ، وهي « عيـن الحـق »

والمعرفة محبة السالك ، وهي صمت العالم ، ونطق العاشق ، ولا كراهة مع المحبة .

= * =

« فالـق الاصبـاح »

« فالق الحـب والنـوى »

« يزيد فى الخلـق ما يشـاء »

بعلمه تنفلق نواة العناصر وتتصل ذرات الاشياء، فتتغير العوالم ، وتتبدل الاطوار ، وتنسجم الاضداد، وتتآلف النقائـض .

« وما تسقط من ورقة الا يعلمهـا »

« ويعلم ما فى الارحام »

« وما من غائبة فى الارض ولا فى السماء الا فى كتاب مبيـــــن » .

بعلمه كان ما كان ، وسطرت الاقلام فى لـــوح الغيب ما سيكون . والكتاب مرآة حقيقته الكونية .

= × =

« وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمر مر السحـــــاب »

« ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره »

« وله ما سكن فى الليـــل والنهـــار »

بالمعرفة ترى ما ترى من ثبوت أو تحـــول ، وتحس ما تحس من سكون أو حركة .

بالمعرفة تكون او لا تكون .

= ❋ =

« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار »

كل شيء يعلم بعلمه ، ويقدر بقدرته ، ويبصر بنوره . هو الادراك كله ، والبصر كله ، والسمع كله، والعلم منه واليه ، والقدرة به وله ، ورحمته وسعت كـــل شـــيء .

« هو الاول والآخر والظاهر والباطـــن »

هو وحده فى كل شيء ، فى الزمـــان كلـــه ، والمكان كله ؛ هو فى الجهات المعروفة والمجهولة ، يتجلى فى كل ما خلق وما سيخلق . ولكل شيء سواه حيز من مكان وحدود من زمان ، وأجل من وجود .

« الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجـــدان »

فجمال الزهور منه ، وحياة الدواب به ، وتوقد النجوم منه ، وجريان الماء بأمره ، وانضباط الافلاك بعلمه ، وانتظام العوالم بتقديره .

« ان هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيـــــم »

= ◆ =

يا شيـــخ الجبـــل

فى منتصف شعبان من كل سنة يحل موســم تخليد ذكرى القطب الصالح مولاي عبد السلام ابن مشيش فيهب آلاف الناس الى جبل العلم حيث يوجد ضريحه . وهذه كلمة تحية مستوحاة من ذكرياتـي البعيدة ايام كنت اشد الرحال مع القاصدين الى جبل العلم فى موسم الزيارة .

يا ساكن القمـــم ،

كفاك الجبل والعين الباردة والصنوبر العتيق ،

كفاك الفجر الندي واخضرار الريحان الموشى بـــه ثـــراك ،

كفاك تسبيحة اللقلاق فى الاعالي ، وتكبيـــرة الظلال فى الظهيرة ،

كفاك الليل وخلوة الدرب وتهجد النجـــوم فى الدياجيـــر ،

كفاك من الشموع واحدة ، تلك التـــي اضاءت قلبـــك الخاشـــع ،

ومن سناها النبوى « انشقت الاسرار وانفلقت الانـــوار » ❋

= ❋ =

من قمة « العلم » ، قمة النفح والفيء والبركات، اطللت على السهل والوادي ، واشرفت على النجـــد والوهد والمنعرج ، ومن ثم ابصرت مطلع الاشـــراق النبوي الذي « فيه ارتقت الحقائق » فبهر بصرك ، واعترتك الرهبة وامتلأ قلبك حبا وصفاء .

واذ حلت بك السكينة ادركت ان « لا شيء الا وبه منوط » فقربت « الواسطة » وكرمت «الموسوط»

= ❋ =

❋) كل الجمل والعبارات الموضوعة بين علامـــات التنصيص اقتبسناها من كلام الشيخ فى صلاتـــه المشيشيـــة المشهـــورة .

يا ساكـــن القمـــم ،

كفـــاك جـــدك الحبيـــب ،

كفاك عينه الساهرة ، وأياديه البيضاء المنتشلة، وبشاشته المفرجة للكروب .

كفاك جدك وكفاني ... أنا القاصد الضعيف ، غرقت رجلاي في الوحل فما افتا امد يدي المرتجفتين علني امسك بغصن الصفصافة الظليلة .

لطالما أحببت حمرة الورود ، ونضارة الفاكهة ، ونداوة الخدود ، وشفوف الشفاه .

كلما استطبت فيء الكروم في لفح النهار ، او برودة النجوم في غلس الليل تعتريني هزة فابســـط راحتين مصبوغتين بالخطيئة المغفورة .

في طريقي الى الجبل ، في شعابـــه الوعرة ، احلم بالحوش وبالآس المنثور فوق تربته المبلولـــة بذوب الثلج وعصارة الجذور .

أطرب لغناء الصبايا الرائدات وتنفتح نفســـي لزغاريدهن ، وارقص على ايقاع المزامير والدفوف .

وحينما تتملكني الخشية في وحشة الغابـــات وسكون الانهار ، ويشجيني هديل اليمام في الربوع المهجورة اسهر ، واخشع ، واذكر ، واتوسل ...

في قلبي رحاب فسيحة للمحبة المبسوطـــة ، تنبثق منها عيون وتنحفر فيها جداول .

يستهويني الجمال المصطبغ بالـــوان الحيـــاة الدافقة فأضعف ، وارتعش ، وازيغ ...

وقد يحملني الهوى نهارا على ظهر الغواية ، وفي الليل اغسل بدني في ضياء القمر فأتطهر وفي نفسي من الصبح خوف مكين .

يا ساكـــن القمـــم ،

مدت حواليك الظلال فآثرت « الوحدة » فأنت « لا ترى ولا تجد ولاتحس الا بها » .

وقد وجدت في الخلوة سلوة نفسك وطيبـــة ضميرك ، واذ حملت « محفوفا بنصرة الحق الاعلى ، وزج بك في بحار الاحدية جعل الحجاب الاعظم – كما رمت – حياة روحك وروحه سر حقيقتك ، وحقيقته جامع عوالمك » فشدت اليك الرحال على تباعد ربوع قاصديك ، واقيمت حواليك مواسم الجلال .

فعم صباحا يا بن مشيش ، يا قطب بـــلادي ، يا فرع الدوحة الخضراء ، وعم مساء وقر عينا ، ففي بلادك ، بلادي ، قلوب تندم اذ تأثم ، ونفوس تخشع اذ تسقم واكف تضرع اذ تكلم . وفي بلادك ، بلادي ، سواعد تمهد الارض ، تشق السواقي ، وترفع البناء، وفيها عيون تفرح بالمطر ، وتستبشر بالزرع ، وتقيم للعشب والزهر والثمر أعيادا وتخضع ، في عـــزة ، للخالق ، وتحمده في كل حال .

يا بن مشيـــش ،

عطفة لله ! فبحبله المتين نعتصم ، وبجـــدك الشفيع نتوسل ، والى البارىء الكريم نرفع الاكف : في عرفات ، في القدس ، في زرهون ، وفي العيون..

محمد العربي الخطابي

الإسلام والمذاهب الاشتراكية

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

الاسلام هو الدين الرباني الذي ختم الله بـــه دعوات الرسل وهدايتهم للبشر وهو دين خالد باق الى قيام الساعة له كتاب ضمن الله حفظه من التبديل والتغيير والزيادة والنقص وله سنة محمدية تفسر هذا الكتاب وتوضح معانيه وتبسط احكامه وتبين قواعده وتشرح فروعه ولم يحصل مثل ذلك لاي كتاب من الكتب السماوية السابقة لانها كانت موقوتة بوقت محدود ينتهى العمل بها بانتهائه . اما القرآن والهداية المحمدية فهما باقيان الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهـو خير الوارثين لا ينسخهما ناسخ ولا يحدهما حـد ولا يقف في طريقهما شيء وان بلغ اعداؤهما فى الكيد والمكر كل مبلغ « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متـم نـوره ولو كـره الكافـرون ، هـو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علـى الدين كله ولو كره المشركون » سورة الصف وقـال تعالى فى سورة آل عمران « ان الدين عند اللـــه الاسلام » وقال تعالى ايضا : « ومن يبتغ غيـــر الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين فعلى كل من بلغه الاسلام بوجه تقوم به الحجة عليه ان يدخل فيه ويتبعه ويتمسك به وهو دين صالـــح لكل الشعوب فى كل زمان ومكان ومعناه التسليـــم والانقياد لامر الله باللسان والقلب والجوارح والاسلام فى عقيدته واحكامه وآدابه وهى الاخلاق وسط بين طرفين لا افراط فيه ولا تفريط فهو شبيت فى عقيدته توحيد الله تعالى فى ربوبيته وعبادته واسمائه وصفاته لا يعطى منها غير الله سبحانه مثقال ذرة ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا او صديقا صالحـــا .

فأما توحيد الله فى ربوبيته فيتبين فى نحو قوله تعالى فى سورة المؤمنـــون :

« قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليـه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون » .

هذه محاجة امر الله رسوله محمد صلى اللـه عليه وسلم ان يحاج المشركين بها فقال له :

« قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعترفون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء وهو المدبر لشؤون الخلق كلهم ومع ذلك يعبدون معه غيره قل لهم لمـن الارض ومن فيها من حيوان عاقل وغير عاقل ونبات بسائر انواعه وجماد . من خلق ذلكم ومن يملكه ومـن يسيره فيعترفون بأن الله وحده هو الذي يملك الارض ومن فيها فقل لهم افلا تذكرون فلماذا تعبدون معـه غيره بالخوف والرجاء والذبح والنذر والدعاء والطلب والالتجاء عند الشدائد والملمات مع ان أولئك الذين تعبدونهم فقراء عاجزين لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف بغيرهم ثم قال تعالى: « قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم » قل لهم يا محمد قل للمشركين من رب السماوات وما فيها من الكواكب السيارة والنجوم وغير ذلك من الآيات من خلقها ؟ ومن

يدبر شؤونها ؟ ومن رب العرش العظيم ؟ الذي هو سقف المخلوقات ولا يعرف قدره الا الله فانهم سيعترفون ويقولون هو رب ذلك كله قل أفلا تتقون الله وتتركون ما انتم عليه من عبادة غيره ، ثم قال تعالى : « قل من بيده ملكوت كل شيء » أي من يملك كل شيء وغيره لا يملك شيئا بل هو نفسه مملوك ومن السيد العظيم الذي يجير اي يحمى من شاء فلا يستطيع احد أن يناله باذى ولا يجار عليه ولا يستطيع احد ان يحمى ويؤمن من أراد الله عذابه او اهلاكه فسيعترفون ويقولون الله وحده هو الذي يستطيع ذلك قل لهم كيف تذهب عقولكم فتشركون مع الله غيره فى عبادته . قال تعالى فى سورة الاعراف : « ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

قال فى اللسان الرب فى اللغة يطلق على المالك والسيد المدبر والمربى والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف الا على الله عز وجل .

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات يخبر تعالى انه خالق العالم سماواته وارضه وما بين ذلك فى ستة ايام كما اخبر بذلك فى غير ما آية من القرآن . واختلفوا فى هذه الايام هل كل يوم منها كهذه الايام كما هو المتبادر الى الذهن او كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والامام أحمد بن حنبل ويروي ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس هـ .

وقوله تعالى : « ثم استوى على العرش » قال فيه الامام مالك رحمه الله الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا احسن ما قيل فى تفسيره فان الاستواء فى لغة العرب معلوم معناه وكيفية ذلك لا يعلمها الا الله واعتقاد السلف الصالح امرار آيات الصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل ثم قال ابن كثير وقوله تعالى : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا » اي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا أي سريعا لا يتأخر عنه بل اذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره » منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى اي الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منبها « الا له الخلق والامر » اي له الملك والتصرف « تبارك الله رب العالمين » كقوله تعالى « تبارك الذي جعل فى السماء بروجا » الآيــة .

قال صاحب اللسان : « وتبارك الله تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم لا تكون هذه الصفة لغيره » هـ. والعالمون اجناس الخلق فهو ربهم ومالكهم والمتصرف فيهم وحده لا شريك له وقوله « ادعوا ربكم تضرعا وخفية » قال ابن كثير ارشد تبارك وتعالى عباده الى دعائه الذي هو صلاحهم فى دنياهم وآخراهم قيل معناه تذللا واستكانة وخفية كقوله « واذكر ربك فى نفسك » الآية وفى الصحيحين عن أبي موسى الاشعري قال : رفع الناس اصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ان الذي تدعون سميع قريب » الحديث وعن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم انى اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها ، فقال : يا بني سل الله الجنة وعذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون قوم يعتدون فى الدعاء والطهور » فرفع الصوت فى الدعاء والابتداع فيه من الاعتداء الذي نهى الله عنه وقوله « ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها » ينهى تعالى عن الافساد فى الارض وما بعد الاصلاح فانه اذا كانت الامور ماشية على السداد ثم وقع الفساد بعد ذلك كان آخر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وامر بعبادته ودعائه والتضرع اليه والتذلل لربه فقال : « وادعوه خوفا وطمعا » اي خوفا مما عنده من وبيل العقاب وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال تعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » أي ان رحمته مرصودة للمحسنين الذين يتبعون اوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » قاله ابن كثير فى تفسيره هـ.

واما توحيد العبادة فمعناه توحيد التوجه والطلب فاذا تقرر أن الله رب العالمين هو خالقهم ومالكهم ورازقهم ومدبر شؤونهم كلها وبكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وجب أن لا يتوجهوا فى طلب جلب النفع ودفع الضر الا اليه ولا يتخذوا من دونه وليا ولا نصيرا وانتهى فى الاستدلال على ذلك بآيتين فى سورة فاطر وآيتين فى سورة الاحقاف ففي سورة فاطر قال تعالى بعد ذكر دلائل ربوبيته « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا

يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويـوم القيامة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير» فاخبر سبحانه أن كل من يدعى من دونه كيف ما كانت مرتبته لا يملك للداعي شيئا من نفع او ضر وأن غيره لا يسمع دعاء الداعين وهو يسمع لم يقدر على اجابتهم ولا اسعافهم بشيء مما طلبوا وان المدعوين من دونه سواء اكان ملائكة أم رسلا ام صالحين أم غيرهم سيكفرون يوم القيامة بدعاء من دعاهم في الدنيا وسمى دعاءهم شركا ومعنى سيكفرون يتبرأون .

وفي سورة الاحقاف « ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القايمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » .

فاخبر سبحانه انه لا اضل ولا ابعد عن الحق ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب لهم الى يوم القيامة وهو اي المدعو غافل عن دعاء الداعي ان كان من الانبياء والصالحين فهو مشغول بما اعده الله له من الكرامة والنعيم وان كان من الطالحين فهو مشغول بما اعده الله من العذاب الاليم واذا حشر الناس يوم القيامة وعلم المدعون بدعاء الداعين لهم كانوا لهم اعداء وكفروا بدعائهم وسماه الله عبادة وكذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة في الحديث الصحيح « الدعاء هو العبادة » وفي حديث آخر « الدعاء مخ العبادة » .

رواهما الترمذي واما الاحكام فقد احل الاسلام جميع الطيبات ولم يحرم منها شيئا قال تعالى في سورة الاعراف « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

وحرم الخبائث كلها ولم يبح منها شيئا ومنها الخيزير والميتة والدم والخمر وكل مفسد للعقل الذي هو اعظم نعمة انعم الله بها على البشر واكل الربا والغصب والسرقة والغش والنجش وهو الاحتيال في البيع والقذف وهو اتهام المحصنات والمحصنين بالزنا والزنا والسرقة وقطع الطريق واكل اموال الناس بالباطل كالقتار وبيع الغرر وسائر انواع الاحتيال .

واما الادب فقد جاء الاسلام باكمل الادب واكرم الاخلاق فمنها بر الوالدين وصلة الرحم بالاحسان الى الاقارب واكرام الجار كيف ما كان جنسه او لونه او دينه واطعام الطعام وافشاء السلام واكرام اليتامى والرفق بالضعفاء واقامة العدل بين الناس قال تعالى في سورة النحل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » الآية . وامر بايفاء الكيل والوزن ، واوعد على نقصهما بالويل قال تعالى : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » وامر بكظم الغيظ والعفو عن الناس ومدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وذم التبذير والاسراف وحث على الصدقة وذم الكبر والعجب والحسد والبخل والرياء والغيبة والنميمة والتجسس وقبول اخبار الفساق بدون تثبت وامر بالصبر والتواضع والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى ووضع النبي صلى الله عليه وسلم ميزانا دقيقا يميز المسلم الصادق من المنافق المدعي الكذب فقال فيما رواه البخاري ومسلم « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » وفي رواية انفرد بها مسلم : « وان صلى وصام وزعم انه مسلم » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده رواه البخاري .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » يعني من قتل شخصا من غير المسلمين بينه وبين المسلمين عهد لا يشم رائحة الجنة ، وسوى الاسلام بين جميع البشر على اختلاف الوانهم واجناسهم لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى والعمل الصالح غير ذلك من مكارم الاخلاق التي لا تجدها في غيره ابدا ولو ذهبنا تعدده لطال بنا القول .

شريعة الاسلام في الاموال

اعلم ايها القاريء الكريم أن للاسلام نظاما اقتصاديا مستقلا مخالفا لنظام راس المال والاشتراكيات بانواعها والشيوعية كل ما يدعى في هذه المذاهب من خير فقد سبق اليه الاسلام قبل التفكير فيها بقرون كثيرة ، وكل ما فيها من شر فقد ابتعد عنه وحذر اهله منه ، فهو يخالف نظام راس المال بفرض الزكاة في الذهب والفضة والابل والبقر والغنم وما يخرج من الارض من حبوب وثمرات والحق في المعدن والركاز وهو ما وجد مدفونا في الارض من الازمنة السابقة وكذلك فرض كفارات ككفارة الايمان وكفارة الظهارة وكفارة قتل النفس خطأ وكفارة الافطار في رمضان بلا عذر وحرم الربا وبيع الضرر والبيوع الفاسدة وبذلك ضمن

التوازن النسبي فى الممتلكات الثابتة والمنقولة وحفظ الفقراء من استبداد الاغنياء واحتكارهم للثروة ، ولم يحجر على اصحاب الكفاءات بل تركهم احرارا فى استخدام مواهبهم واكتساب الاموال بطرق مشروعة اذا ادوا حقهما ، ومن اراد ان يجعل الناس سواء فليس لجهله دواء قال تعالى فى سورة النحل « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » وسبب التفاضل فى الرزق التفاضل فى المواهب التى بها يكتسب الرزق ولن يستطيع احد من الافراد والجماعات لا بسيف ولا مطرقة ولا محراث ولا بأي نوع من انواع الارهاب ان يجعل الناس فى المواهب سواء ، واذا اختلفوا فى المواهب فلابد ان يختلفوا فى الرزق ، سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، نزل المطر فى ارض يثمر الكماة بالعامية المغربية « الترفاس » فانطلق جماعة من الناس يبحثون عن الكماة ثم رجعوا بعضهم حصل عشرين رطلا وبعضهم حصل رطلين وبين هذين درجات كثيرة متفاوتة ، فهل يجب على صاحب العشرين ان يقتسم مع صاحب الرطلين ؟ هذا جور وظلم ، وتلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون . خرج ثلاثة صيادين الى البحر فوضعوا شباكهم او القوا سناراتهم فخرج كل واحد بما قسم له ، فهل يجب ان يخلطوا ويقتسموا ؟ لا . لا هذا ظلم وجور ، خرج ثلاثة صيادين لصيد الحجل فى الهضاب والغابات وآخرون لصيد الغزلان فى الصحراء فهل يجب ان يجمعوا ما حصلوا عليه ويقتسموا بالسوية ؟ لا . لا هذا ظلم وجور التفاوت فى المواهب يستلزم التفاوت فى الارزاق لا محالة ودواؤه فرض الزكاة والقرض بلا منفعة وفرض الكفارات والحث على الصدقات .

الاشتراكية ثلاثة انواع :

النوع الاول :

الاشتراكية القومية وهى التى دعا اليها موسولينى وهتلر وحاصلها ان يعتبر الشعب كله عمالا والحكومة هى التى تتصرف فى جميع الاموال فتعين لكل عامل عمله واجره ولا يجوز لاحد أن يرفض ما عينته له الحكومة وليس الا حزب واحد وعلى الشعب ان ينتخب حكومته فى ذلك الحزب فهو الوصى على الشعب الذي ينظر فى مصالحه فى سلمه وحربه . وغاية الحزب والحكومة ان يكون شعبه فوق جميع الشعوب غنى وقوة وسعادة ولكل فرد من افراد الشعب فى الحصول على عمل واجر يكفل معيشته ول ه الحق ان يدخر ويملك ما قدر عليه من المتلكات المنقولة وغيرها بشرط ان يؤدي الضرائب المفروضة والملاك يقولون ان تلك الضرائب ثقيلة وكثيرة حتى انه لا يبقى لهم بعد اخذها الا قليل يعيشون به ويدعون ان حال العامل افضل من حالهم وان الحكومة تحصى عليهم كل شيء هذا مبلغ علمى فيما رأيته وسمعته ولكن لم اسمع قط بوجود رشوة .

اما المناصب العالية فهى خاصة بالمنتسبين الى الحزب وهذا النظام لم يعمر طويلا حتى يعلم صلاحه او فساده ولما جر على اهله حربا طاحنة احرقت الأخضر واليابس فان جمهور الشعب الالمانى مقت هذا النظام ورفضه ولا يريد العودة اليه ومن المؤسف ان بعض البلدان العربية اختارته وتمسكت به وعضت عليه بالنواجذ ودانت به مع ان اهله تبرأوا منه ، هذا مع ما لهم من العلم والخبرة والتعاون والنجدة وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين .

الاشتراكية الديمقراطية

النوع الثانى :

الاشتراكية الديمقراطية كالتي عليها حزب العمال البريطانى الحاكم واحزاب اخرى فى فرنسة والمانية وغيرهما . وهذا النوع من الاشتراكية ليس فيه استبداد ولا خنق لحريات الشعوب وانما يبنى على الدعاية ولا يمنع الملك الفردي لكنه يوجب أن تكون المصالح العامة كالمعادن والمناجم وسكك الحديد وما اشبه ذلك ملكا للحكومة التي تمثل الشعب فهذه الموارد يجب أن تكون ملكا لعموم الشعب لا يستبد باستغلالها فرد ولا جماعة لان ذلك يفضى الى احتكار بعض الافراد والجماعات مقدارا كبيرا من الاموال والممتلكات على حساب ابناء جنسهم وبذلك تنقسم الامة الى اغنياء طاغين قد تفاحش غناهم وتجاوز الحدود وفقراء مدقعين قد تفاحش فقرهم فهم فى غاية الذلة والاستكانة لا راي لهم ولا كرامة موطوئين بالاقدام عبيدا ارقاء ليس لهم الا السمع والطاعة وذلك ظلم وحيف فى نظر الاشتراكية الديمقراطية ولا تمنع هذه الاشتراكية وجود احزاب مخالفة لها لانها كما قلنا لا تنشر مبادئها بالقهر والجبر بل بالدعاية والاقناع وتقدس حرية الراي والكلام والعقيدة والعمل والتنقل .

ولما كان هذا النوع من الاشتراكية يبيح الملك الا ما تقدم استثناؤه خاف من تفاحش الغنى وتعاظم الثروة ففرض ضرائب تصاعدية على قدر الدخل

والمحاصل حتى لا تتسع المسافة بين الاغنياء والفقراء وهذه الاشتراكية لا تتعرض للدين ولا تتدخل في عقائد الناس ، واقطابها متدينون معظمون لرجال الكنائس متفقون معهم وهم يحاربون نظام راس المال ويتهمون المتبعين له بأنهم كاذبون في ما يزعمون من الدعوة والديمقراطية لانه متى لم تقيد الثروة بالقيود التي تقدم ذكرها طغى الاغنياء على الفقراء (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ، فالرجل الذي يملك معامل او مزارع او متاجر تحتاج الى آلاف العمال لابد ان يفرض ارادته على اولئك العمال فلا يستطيعوا ان ينتخبوا غيره اذا رشح نفسه ليكون نائبا في مجلس النواب او يكون عينا في مجلس الاعيان . وهذا يتنافى مع تحقيق الحرية واقامة العدل والمساواة التي يزعم أصحاب رؤوس الاموال انهم انصارها . اما انصار عقيدة راس المال فلهم حجج يدفعون عن انفسهم منها ان الحكومة تستنكر الاحتكار على أفراد الشعب وجماعاتهم وتحرمه عليهم وتحله لنفسها ، ومنها ان الاستيلاء على المصالح العامة يعطل حركة التنافس بين الافراد والجماعات فيضعف النشاط ويقل التماس ، ونتيجة ذلك قلة المحاصيل وفرق كبير بين من يشتغل لنفسه ويشتغل في ما يعود عليه بالنفع والخير العميم وبين عامل يعمل في مصلحة حكومية لا يهمه ربحها أو خسارتها وانما يهمه الراتب الذي يحصله في نهاية الاسبوع او في نهاية الشهر هذا مع اتفاق الفريقين على حرية الراي والعقيدة وسائر الحريات ولذلك نراهم متعايشين في شعب واحد متعاونين على ما يرون فيه الخير لامتهم وان اختلفت وسائلهم ، وقد مضى على هذا النوع من الاشتراكية زمان طويل في بلدان مختلفة وظهر انه صالح للبقاء عندهم .

النـوع الثالـث :

من الاشتراكية ، الاشتراكية التي يزعم أهلها انها مقدمة للشيوعية وتسمى (البولشفية) وهذا النوع ، يبنى على سلب جميع الممتلكات وجميع الحريات والمعتقدات ويجعل الانسان آلة صماء يحركها الرؤساء فتتحرك ويتفونها فتتف ، ويأمرونها ان تنطق فتنطق بما يشتهون ، وان تسكت فلا تسكت وان تمدح فلانا في اول النهار ثم يأمرونها أن تلعنه في آخر النهار فتأتمر ولا تفكر في الاشتراكية ، المخلص عندهم هو الذي يكون كالعقل الالكتروني وليس مقصودي بهذا الكلام ان اشتمهم ، ولكني اريد بيان الحقيقة كما هي في نظري قد دخلت برلين الشرقية وبقيت فيها اياما وانا اذكر ما شاهدته وخبرته وتحققته .

فأما سلب الاموال والممتلكات فانه لا يجوز لاحد ان يملك ارضا ولا دارا ولا سيارة ولا متجرا ولا يملك الا ثيابه التي على ظهره والا اجرة عمله بشرط ان لا يدخرها لو كان فيها متسع للادخار .

ودونك مثلا يعينك على تصور هذه الحقيقة . رايت في برلين الغربية سنة 1954 بتاريخ النصارى قبل بناء سور برلين عجوزا تسكن في غريفة حقيرة من الفندق الذي كنت فيه نازلا فاخبرتني صاحبة الفندق ان تلك العجوز قبل الحرب كانت لها ثروة طائلة فلما انتهت الحرب بخسران المانيا اراضيها الشرقية استولى الشيوعيون على املاكها كلها ، ولم يبقوا لها منها شيئا لا قليلا ولا كثيرا ، وبقي لها جزء قليل من بيت في برلين الغربية وقد اعطاها الشيوعيون غرفة في بيت من برلين الشرقية وجعلوا لها اجرة لسد الرمق وفرضوا عليها أن تشتغل في كنس الشوارع فهي تشتغل مدة طويلة الى أن يجتمع لها من كراء ذلك الجزء الضئيل الذي تملكه من ذلك البيت في برلين الغربية مقدار من المال فتنتقل الى برلين الغربية وتستأجر غريفة رخيصة الثمن وتنفق مما اجتمع لها حتى ينقضي ثم ترجع الى الجحيم .

اما بعد بناء السور الذي هو عكس ما قال الله تعالى : (ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب) فلا ادري ما فعل الله بتلك المسكينة وامثالها من الاغنياء الذين قلب لهم الزمان ظهر المجن فاصبحوا بؤساء بين عشية وضحاها بسبب الاحتلال الروسي وفرض الحكم الشيوعي على ذلك الشعب المنكوب . ودونك مثلا آخر شهود عيان أن أهل بيت من الاغنياء (ولا اقول اسرة ولا عائلة) من المانيا الشرقية لما دهمهم الاحتلال الروسي امروا باحضار طعام الضيافة للفاتحين الغزاة فامروا خدمهم بذبح المواشي وطهي الطعام وتوجهوا الى الغابة وعلقوا فيها حبالا وقتلوا انفسهم خنقا لانهم يعلمون أن الضيوف الثقلاء بعد اكلهم وشربهم الخمور يسلبونهم كل شيء حتى الخواتم التي في اصابعهم ويطردونهم من ديارهم ومزارعهم ويفرضون على كل من سلبوا أرضه وداره أن يكون بعيدا من الارض المسلوبة او الدار المغصوبة والمعمل مسافة لا تقل عن ثلاثين كيلو مترا ، ومتى وجد في مكان يقرب من ممتلكاته السابقة اقل من ثلاثين كيلو مترا يعاقب عقابا شديدا .

ودونك مثالا ثالثا من المعلوم ان الشعب الجرماني الذي يسمونه بالالمان من أرقى شعوب أوروبة مدينة

وحضارة لا يمتري في ذلك اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ، وقد انقسمت هذه البلاد الجرمانية ، وهذا هو الاسم الذي سمتها به العرب في علم تخطيط البلدان بعد الحرب العالمية الاخيرة قسمان غربي وشرقي ، فالقسم الغربي مع ما اصابه من النكبات في زمان الحرب الطاحون رجع احسن مما كان يشهد بذلك كل مسافر وسائح راى تلك البلاد . فالمباني التي تهدم ثمانون منها في المائة بفعل قنابل الاعداء اعيدت احسن مما كانت وكذلك المعامل والمزارع والطرق ، هذا في القسم الغربي .

اما في القسم الشرقي فانه خراب كانه انتقل من يد دولة متمدنة الى دولة همجية ، سافرنا بالسيارة من المغرب فعبرنا المضيق من سبتة الى الجزيرة وعبرنا اسبانيا ففرنسة فالقسم الغربي من المانيا وكان الطريق من كلونيا الى هنوفر التي هي على حدود المانيا الشرقية من احسن طرق أوروبا مقسوما قسمين بينهما حاجز ، وكل منهما تسير فيه أربع سيارات ولا تحتاج السيارة الى توقف ، لان السيارات التي تعبر الطريق عرضا لها ممرات اما تحت الارض واما فوق الجسور ، وقد تعجب من ذلك الحاج احمد هارون ، فقال لي : اريد ان اجرب هل اضطر الى نقص سرعة السيارة ام لا اضطر فبقي ساعتين بمقياس واحد ولم يضطر الى ان ينقص شيئا منه واسماء الاماكن وعلامات الطرق المختلفة والاضواء التي تقوم مقام شرطة المرور ، كل ذلك في غاية الاتقان بحيث قلما يحتاج المسافر الى ان يسأل عن شيء أو يضل طريقه هذا في القسم الغربي .

اما في القسم الشرقي ، فالامر بعكس ذلك الطريق مهمل لم يصلح منذ سنين كانه في صحراء وليس فيه علامات ولا اضواء فتجد السائحين ضائعين يسأل بعضهم بعضا ولا هادي ولا مرشد .

والشعب الذي يسكن القسمين شعب واحد لا يختلف الا في نظام الحكم وهناك مثل آخر وهو برلين الغربية وبرلين الشرقية ، من المعلوم ان مدينة برلين مدينة واحدة كانت عاصمة جرمانية كلها قبل الحرب . وبعد هزيمة الجرمانيين في الحرب العالمية الاخيرة أصبحت برلين جزيرة في بحر المانيا الشرقية تحيط بها أراضي المانيا الشرقية من كل جانب ، فاقتسمها الغالبون ، فاخذ الامريكيون والبريطانيون والفرنسيون القسم الغربي منها وحكموه مدة ثم سلموه الى حكومة المانيا الاتحادية . اما القسم الشرقي فبقي تابعا لحكومة المانيا الشرقية تحت نفوذ الروسيين ، وكل من زار قسمي برلين الشرقي والغربي لا يكاد ينقضي عجبه ، يرى القسم الغربي وسكانه ثلاثة ملايين يعيشون في أرغد عيش في غاية الرفاهية والازدهار فترى المخازن والمتاجر ملأى بانواع التحف والبضائع والمطاعم والمشارب والحدائق والملاعب والشوارع غاصة باجمل السيارات والمباني التي تهدمت كلها في زمان الحرب قد اعيد بناؤها حتى صارت اجمل مما كانت وترى السكان يرفلون في افخر الثياب والزي . اما اذا اردت ان تدخل الى برلين الشرقية فانك تجيء الى مدخل السور وتسلم جواز سفرك وتعطى بطاقة صغيرة وتقف مع صفوف الواقفين حتى يجيء دورك فتنزل الى سرداب تحت الارض وتنتظر حتى تمتحن في أربعة مكاتب بأسئلة واجوبة ، والمكتب الرابع بعدما يعرف مقدار ما عندك من النقود ويسجلها يرد لك الجواز ، فتدخل في القسم الشرقي وتجده يبابا خرابا كان خيلا اغارت عليه ونهبته ، وأبدلت سعده نحسا ونضارته كآبة وسعادته شقاء ، فلا مباني تعجبك ولا أسواق ولا مطاعم ولا سيارات جميلة ولا بضائع في المخازن ، والناس في ثياب حقيرة والنساء لابسات ثيابا خسيسة ، فكأنك خرجت من عالم الى عالم ، فان قلت وما الموجب لبناء هذا السور ؟ فالجواب أن الشيوعيين أو الاشتراكيين كما يحبون أن يدعوا يزعمون انهم وحدهم يعيشون في النعيم في الحرية والديمقراطية والعالم كله يعيش في شقاء العبودية تحت نظام رأس المال الطاغي أو الاستبداد الظالم ولكن رعاياهم لا تصدق هذا الزعم ، ولذلك لم يزالوا يفرون من ذلك الفردوس المزعوم الى برلين الغربية ، فتنقلهم الطائرات الى المانيا الغربية حيث يستنشقون نسيم الحرية ويشعرون بأنهم احرار يسيرون في أرض الله الواسعة حيث يشاؤون ، فلما عجزت حكومة المانيا الشرقية تحت المراقبة الروسية أن تقنعهم بما تزعم من الدعاوي ارادت أن تضرب سورا على ذلك الفردوس وتنصب عليه الاسلاك الشائكة والرشاشات والحرس المسلح ليلا ونهارا حتى لا يفر واحد من فردوس الشيوعية ونعيمها الى عذاب نظام راس المال وجحيمه ، ومع ذلك كله لم تنقطع الهجرة والفرار وقد هرب من المانيا الشرقية الى المانيا الغربية بواسطة برلين الغربية منذ نهاية الحرب اكثر من اربعة ملايين وحتى بعد بناء السور لا يزال الناس يهربون ويتركون بيوتهم وأمتعتهم ويفرون بأنفسهم مؤثرين الحرية على كل شيء سواها من متاع الدنيا وحوادث هذا الفرار لا تزال تتلى صباح مساء في الاذاعات على مسامع القراء وما احسن المثل العامي الذي يقول :

« حتى كلب ما هرب من دار العرس » معناه بالفصحى « لا كلب يفر من الدار التى تصنع فيها وليمة العرس بل بالعكس كل كلب يجب أن يأتيها لينال من فضـلات الطعام » ومن اغرب ما سمعته من اذاعة لندن فى هذا الصدد ان خمسة وعشرين شخصا اتفقـوا على ان يحفروا نفقا ينبذلونه من دار احدهم وكانت دارهبقرب السور فقضوا مدة من الحفر كل ليلة يحفرون ساعات ويقومون باعمالهم المفروضة فى النهار حتى اولصـوا النصف الى مبنى فى القسم الغربى ولما انتهـى النصف خرجوا كلهم ذات ليلة وتركوا الدار تفني من بنائها وهناك حوادث كثيرة طريفة وعجيبة يعرفها من تتبع مثل هذه الاخبار ، واما سلب الحريات فيجب على كل عضو فى الحزب ان يكفر بجميع الاديان وان يومن بعملة شارل ماركس فى كل ما شرعه واعتقده وليمة ، وكان من ستالين ثالثة ثلاثة الى ان خلفه نائبه وشريكه وكل ما ارتكبه بعد وفاته فبطلت قدسيته عـن بعـض الشيوعيين وبقت ثابتة عن بعضهم . اما من لم يكن من المشتركين فى الحزب فيجوز له ان يقول انه مسلم او نصرانى بشرط الا يرد شيئا ولن يتفق من نظام شارل ولا من الانظمة التي يصنعـها الحـزب الشيوعـي ومع ذلك يكون موضع سخرية واستهزاء . اما فى السياسة فلا يجوز له أن يعتقد الا سياسة الحـزب وان تناقضت يتناقض معها مثل الزعماء الذين رفعهم الحزب يجب على جميع الناس ان يقبلوا لهم ظهر المجن ويذموهم بعدما مدحوهم أعظم المدح كتروسيكـي ومالينوس ومالوتوف وخروتشوف ؟

وأما استالين فقد تقدم خبر رفعهم له الى درجة التقديس ثم خفضهم له الى درجة الاجرام . اما حرية العمل فهى معدومة فيجب على كل انسان ذكرا كان او انثى ان يقبل العمل الذي تفرضه عليه الحكومة فى المكان الذي تعينه له بالاجر الذي تعينه له والساعات التى تعينها له ولا يجوز له أن ينتقد شيئا من ذلـك والا صار متهما بالخيانة واستحق العقاب الشديـد على قدر انتقاده وكذلك حرية التنقل والسفر الـى الخارج لا يجوز لاحد أن يفكر فيه وقد شاهدت فى برلين الشرقية الصبيان فى سن 14 سنة يوبخون والديهم ويتهمونهم بالرجعية وعدم الاخلاص للحزب والجمود على الافكار السخيفة والاباء والامهات يخافونـهـم والواجب على كل ملك ورئيس من رؤساء المسلمين ان يحفظ شعبه من هذه المذاهب التى تجلب الشقاء والشر ويجب ان تسمى بحق سل الشعوب اذا كان غـلاة الشيوعيين وكلهم غلاة يسمون الدين أفيون الشعوب فنحن نسمى غلاتهم سل الشعوب ولسنا من المترين المحتكرين حتى نتهم باننا نعارضهم محافظة على اموالنا ولكن النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم اوجبت علينا ان ننصح لجميع الشعوب وخصوصـا المسلمين ان يبتعدوا من جميع انواع الاشتراكية اسما وعقيدة وعملا . ففى ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم غنية لهم وكفاية ومن لم يسعه ما وسع السلف الصالح فلا وسع الله عليه ومن لـم يسعه ما آتى عن محمد : فلا وسع الرحمن ما أتـاه على العمـر

⁂

اما التسمية فقد قال الله تعالى : « هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكون شهداء على الناس آخر سورة الحج .

اما العقيدة والعمل فقد تقدم ان الاسلام سبـق الى كل خير وتجنب كل شـر وكل ما يدعونه مـن المساواة وابتغاء العدالة بين افراد الشعب ظهر انه غير صحيح فقد اخبرنى السيد احمد موسلى المسلم الالمانى فى بيته ببرلين الغربية قال كنا نعيب علـى حكومة هتلر انها تدعى الاشتراكية لتحقيق المساواة بين افراد الشعب ومع ذلك كان طعام الضباط يختلف على طعام الجنود فكان للضباط مطبخ فيه الوان مـن الطعام ولعامة الجنود مطبخ آخر فيه الوان دونه فـى الجودة فلما انهزم الجنس الالمانى وقعت فى اسـرى الروسيين فأخذونى الى موسكو وبقيت هناك سنتين فرايت للجنس الروسى خمسة مطابخ بعضها علـى بعض يعنى أن الطعام عندهم خمس درجات الدرجة العليا لكبار الضباط والثانية للمتوسطين والثالثـة للصغار والرابعة للعرفاء والخامسة لعامة الجيش قال فعلمت أن كلام الفرنسيين كاذب فى دعواه الاشتراكيون القوميون والاشتراكيون الشيوعيون كلهم مخادعـون وصدق الله العظيم اذ يقول فى سورة البقـرة : ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقـد اصطفيناهفىالدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بهـا ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفـى لكـم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . وقال تعالى فى سورة آل عمران يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » .

مكنـــاس : تقي الدين الهلالي

التدين
من مزايا القائد المنتصر

للواء الركن محمد شيت خطاب

— 1 —

عزمت على اخراج كتاب للناس عن : (قيادة النبي) صلى الله عليه وسلم ، اتحدث فيه عن صفات القائد المثالي ، ثم اطبق تلك الصفات على مزايا النبي صلى الله عليه وسلم القيادية ، فهو القدوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان ، وهو المثال الرائع للمشرعين والاداريين والسياسيين وللقادة ايضا .

وكان منهاجي في البحث بعد كتابة المقدمة ، دراسة صفات القائد في التراث العربي الاسلامي اولا، ودراسة صفاته في الكتب العسكرية الاجنبية الحديثة ثانيا ، ومقارنة ما جاء في تراثنا بما جاء في المصادر العسكرية الجديدة التي كتبها اشهر قادة الحرب من عهد نابليون حتى اليوم .

وبغير مباهاة بتراثنا العربي الاسلامي واعتزاز، واقرارا للحق وحده ، وبلون انفعال ولا عاطفة ، فقد وجدت أن ما جاء في تراثنا اغزر مادة واكثر تفصيلا واشمل دراسة واعمق فكرا مما جاء في المصادر العسكرية الحديثة ، ابتداء بما قاله نابليون وانتهاء بما سطره مونتكومري في كتابه : (السبيل الى القيادة) الذي صدر باللغة الانجليزية قبل اعوام .

والواقع أن في تراثنا العربي الاسلامي كنوزا من العلم والمعرفة يندر وجودها في تراث آخر لاية امة من الامم ، ولكن المناهج التعليمية التي حرص المستعمر على وضعها ، وحرص ايتامه على اقرارها من بعده ، عملت عملها الهدام في التقليل من شان تراثنا العريق ، وصورته بصورة المتخلف عن ركب الدراسات العلمية والادبية والفنية ، وجعلت التلاميذ والطلاب يشيحون بوجوههم عنه ، مبهورين بكل ما جاء به الاجنبي .

ومن المؤسف حقا ان تراثنا الشامخ ، اصبح مجهولا حتى من أساتذة الجامعات ، فهم يرددون ما قاله الاجنبي فلان والمستشرق فلان .

لقد قرات مؤخرا بحثا مستفيضا عن مؤرخ عربي قديم ، كتبه استاذ جامعي كبير ، فكانت كل مصادره اجنبية ، ولم (يتواضع) حتى في الاعتماد على مصدر عربي واحد ... ! كان أولئك الاجانب ابتكروا المعلومات التي اوردوها عن ذلك المؤرخ العربي ، بينما الحقيقة هي ان الاجانب نقلوا معلوماتهم عن تراثنا مستهدفين اظهار العيوب واخفاء المزايا .

واذا كان للمستشرقين والاجانب من غير العرب عذرهم الواضح في التقليل من شأن تراثنا العربي الاسلامي ، فما عذر المستغربين العرب في اقتفاء آثار الاجانب والمستشرقين !

لقد توخى المستعمر قلع صلة تلاميذ العرب وطلابهم من جذورها بتراثهم الحضاري العظيم والامة التي ليس لها ماض تعتز به لا يكون لها حاضر ولا مستقبل ، لان معرفة الماضي هي وحدها تطوع لنا تصوير المستقبل ، فالماضي والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل الى انفصامها ، ومعرفة الماضي هي الوسيلة لتشخيص الحاضر وتنظيم المستقبل .

في هذه الدراسة سأركز على ما جـاء عـن (العقيدة) كميزة من مزايا القائد المنتصر في تراثنا العربي الاسلامي أولا وفي المصادر الاجنبية ثانيا (1).

والتراث العربي الاسلامي في الناحية العسكرية ضخم جدا ، يملأ مكاتب أوروبا ومتاحفها ، وتزخر به مكاتب المخطوطات العربية في شتى اصقاع الدنيا ، ويكفي ان نذكر كتاب فهرست ابن النديم الذي عدد فيه : (الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح، وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الامم (2) لنرى اي تراث عسكري أصيل كان للعرب والمسلمين منذ اقدم العصور .

واذا كان الزمن قد ابقـى عـددا كبيرا مـن المخطوطات العسكرية العربية ، فكـم هـو عـدد المخطوطات العسكرية التي عفى عليها الزمن ؟

ومن مقارنة ما جاء في كتاب الفهرست لابـن النديم عن الكتب العسكرية العربية التي علـم بها ، بالكتب العسكرية العربية التي وصلـت الينـا في الوقت الحاضر ، يتبين لنا ان كثيرا من تراث العرب العسكري لا يزال مفقودا .

ولكن ما بقي من المخطوطات العسكرية العربية، يدل على ان العرب والمسلمين بلغوا شأوا بعيدا في العلوم العسكرية النظرية .

وسأقتصر على ايراد ما جاء في ثلاثة كتب من تراثنا العربي الاسلامي عن (العقيـدة) وعلاقتهـا بصفات القائد المنتصر : كتابان منها مطبوعان والثالث لا يزال مخطوطـا .

جاء في كتاب (مختصر سياسة الحروب) (3) للهرثمي الذي عاش الى ما بعد سنة (243) الهجرية في باب : (في أن نظام الامر تقـوى الله والعمـل بطاعته) ما نصـه :

« فينبغي لصاحب الحـرب أن يجعـل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده وكثـرة ذكـره والاستعانة به والتوكل عليه ، ومسألتـه التأييـد والنصر والسلامة والظفر ، وأن يعلم أن ذلك انما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيـف شاء ، لا بالارب منه والحيلة والاقتدار والكثرة ، وأن يبرأ اليه جل وعز من الحول والقوة في كل أمر ونهي ووقـت وحال ، والا يدع الاستخارة لله في كل ما يعمل به ، وأن يترك البغي والحقد وينوي العفو ويترك الانتقام عند الظفر الا بما كان فيه لله رضى ، وأن يستعمـل العدل وحسن السيرة والتفقد للصغير والكبير بمـا فيه مصلحة رعيته ، وأن يعتمد في كل ما يعمل بـه في حربه طلب ما عند ربه عز وجل ليجتمع به خيـر الدنيـا والآخـرة » (4) .

وجاء في كتاب : (الاحكام السلطانيـة) (5) لابي الحسن علي بن محمد بن حبيـب البصـري البغدادي الماوردي المتوفى سنة (450) الهجرية عن (العقيدة) في صفات القائد المنتصر : (ان يأخـذ جيشه بما أوجبه الله من حقوقه وأمر به من حدوده ، حتى لا يكون بينهم تجور في دين الله ولا تحيف في حق ، فان من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام احكامه ، والفصل بين حلاله وحرامه) (6) .

وجاء في كتاب : (الادلة الرسمية في التعابي الحربية) (7) لمحمد بن منكلي نقيـب الجيـش في سلطنة الاشرف شعبان (764 هـ — 778 هـ) وقد الف هذا الكتاب سنة (770) الهجرية : (ان تقوى الله هي العمدة العظمى ، والفوز الاكبر الاعلى ثم قال:

---

(1) انظر التفاصيل في كتابنا : بين العقيدة والقيادة .
(2) انظر التفاصيل في الفهرست ، ابن النديم ص 314 — 315 ، بيروت ، 1964 م .
(3) تحقيق المرحوم عبد الرؤوف عون ، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة .
(4) مختصر سياسة الحروب ص 15 .
(5) الاحكام السلطانية ، الماوردي ، القاهـرة ، الطبعة الثانية 1376 هـ .
(6) الاحكام السلطانية 44 — 49 وفيها تفصيل ذلـك .
(7) كتاب مخطوط منه نسخة في مكتبة آيا صوفيا (في تركيا) برقم (3839) واخرى برقم (2875)، واعمل الان في تحقيقه واخراجه للناس نظرا لفائدتـه العظيمـة .

ويلزم امير الجيش ان يؤلف بين قلوب رفقائه ، وان يراعي فى جيشه ما أوجبه الله من حقوقه ..) .

— 3 —

تلك لمحات مما جاء فى التراث العربي الاسلامي عن صفة (العقيدة) فى القائد المنتصر .

وأكاد المح قسما من القراء يطالبون بايراد ما جاء فى المصادر الاجنبية الحديثة عن ميزة (العقيدة) فى القائد المنتصر .

واستطيع ايراد امثلة لا تعد ولا تحصى من المصادر الاجنبية ، ولكنني سأقتصر على ايراد ما جاء فى آخر كتاب صدر عن القيادة هو كتاب : (السبيل الى القيادة) الذي الفه المشير اللورد مونتكومري ابرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وهو قائد معروف اشهر من ان يعرف .

يتساءل مونتكومري : (هل من علاقة للدين بالقيادة) ؟ وهو يجيب على هذا التساؤل جوابا جازما فيقول : « ان القائد لا بد من ان يكون متمسكا بمثل عليا وبالفضائل الدينية » .

ومجمل الفضائل الدينية التي يراها مونتكومري هي :

ا) **الهدي :**

« وهي عادة ارجاع جميع الامور الى الارشاد الالهي ، والى هذه الفضيلة تستند الحكمة والانصاف وحسن التصرف » .

ب) **العدالة :**

وهي اعطاء كل فرد حقه : حق الله وحق الانسان نفسه ، والى هذه الفضيلة تستند الواجبات الدينية والطاعة والشكران ، وكذلك النزاهة والاستقامة وحسن النية نحو الآخرين » .

ج) **الانضباط :**

« وهو السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية الى ارفع المستويات للاغراض الاجتماعية والشخصية ايضا ، والى هاتين يستند الطهر والتواضع والصبر » .

د) **الجلادة :**

« وهي الروح التي تقاوم وتتحمل وتتغلب على محن الحياة واغراءاتها ، والى هذه الفضيلة تستند الشجاعة الادبية والمثابرة وضبط النفس » .

— 4 —

ثم يتساءل مونتكومري : « من هم أعظم القادة فى كل الازمان » ؟ ثم يجيب : « انهم ولا شك مؤسسو الديانات العظمى : المسيح ومحمد وبوذا » .

ثم يقول : « هل كانت الحياة الخاصة لهؤلاء الثلاثة احد الاسباب لنفوذهم ونجاحهم ؟ وهل يجب ان تكون حياة القائد الخاصة فوق الشبهات » ؟

ويجيب مونتكومري على ذلك فيقول : « فى رايي الخاص فى هذه القضية بالذات بل وجميع القضايا الاخرى ان العامل الاكبر هو اخلاص المرء ونفوذه وكونه (قدوة) وخاصة فيما يتعلق بالفضائل الدينية ...

« انني لا ادري كيف يستطيع امرؤ ان يكون قائدا ، ان لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات ، فان لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات ، فلا يحترمه الذين يقودهم ، وسيسحبون ثقتهم منه ، واذا ما حدث ذلك ، فستفقد قيادته تأثيرها ... انني اعتقد ان (الاستقامة) فى القضايا المعنوية وفى الفضائل الدينية أمر ضروري لنجاح القائد » .

ومونتكومري يعتقد : « أن الميزة الاولى للقائد هي أن يكون مخلصا اخلاصا عميقا وعظيما وحقيقيا ، ينبعث من القائد من غير أن يشعر به فهو فيه بالطبيعة ، وهو لا يملك الا أن يكون مخلصا . ويضاف الى الاخلاص نكران الذات ، وأعني بذلك الولاء التام للقضية التي يخدمها ، من غير أن يفكر فى جزاء أو تعظيم » .

ويقول : « يجب أن يكون القائد (مستقيما) كل الاستقامة » ثم يقول : « واني اعتقد انه يجب أن يكون

لدى القائد (يقين) باطني مبني على العقل ، ولكنه يعلو مع ذلك فوق العقل » .

وشاء مونتكومري أن يختم كتابه القيم : (الطريق الى القيادة) بخاتمة هي فى الحق تهويمة صوفية بكل ما فى هذا التعبير من معان ، فهي عبارة عن رؤيا لاقى فيها أباه المتوفى فحدثه حديثا قال له فيه أبوه : « يا بني لا أود أن أبقى طويلا ، وأود أن أقول لك : يتحدث الناس فى الدنيا كلها عن (الحرية)، ولكن هناك حرية إيجابية واحدة هي حرية الاختيار بين الخير والشر ، وأن أفضل تعريف لهذه الكلمة التي قلما فهمها الناس هي : أن الحرية التامة هي فى خدمة الرب » .

ويضيف مونتكومري الأب مخاطبا ابنه المشير مونتكومري فى المنام : « عندما أعاين عالمكم اليوم ، ينتابني القلق أحيانا على الجيل الجديد . عندهم مغريات لم نحصل عليها أنا وأنت ، ويبدو أنهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجري فى عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى أن يجعلوا للأمور (المادية) قيمة كبيرة وأن يهملوا القيم (الروحية) . . . على الشباب أن يتسلح جيدا بالشعور الروحي ، إذا أراد ألا ينحرف أو أراد ألا يجرفه التيار » .

ومن الواضح أن مونتكومري فى كتابه هذا : (السبيل الى القيادة) ردد مرات كثيرة ، أهمية تحلي القائد بالدين ، وقد عزا نجاحه قائدا منتصرا أكثر من مرة فى كتابه هذا الى تمسكه بأهداب الدين .

— 5 —

وربما يتبادر الى الأذهان السؤال التالي: (كيف انتصر الاتحاد السوفياتي وهم لا يؤمنون بالدين) ؟

والواقع أن الاتحاد السوفياتي قد تساهل مع أفراد جيشه فى القضايا الدينية أيام الحرب العالمية الثانية ، فأقبل الناس على الكنائس وظهرت الايقونات والصلبان وحملها العسكريون على صدورهم .

ان المرء حين يكون فى خطر محدق يرجع عادة الى الله ، ويدعوه أن ينجيه من الخطر .

ولكن السوفييت إذا تخلوا رسميا عن دين الله، فهم قد تمسكوا رسميا أيضا بدين البشر .

وتعصبهم لعقيدتهم البشرية المادية معروف ، وهذه العقيدة مهما يكن أمرها أدت الى اشاعة الانسجام الفكري الذي أدى بدوره الى التعاون فى الحرب .

ان العقيدة ضرورية للغاية للقائد وللجنود أيضا، والتمسك بعقيدة فاسدة خير من التخلي عن كل عقيدة ، وقديما قالوا : « لو اعتقد المرء بحجر لنفعه»

وقد كان من جملة أسباب اندحار العرب فى حرب حزيران (يونيو) 1967 هو تخليهم عن عقيدتهم السماوية العظيمة .

لذلك انتصرت العقيدة الفاسدة التي يتمسك بها يهود على من لا عقيدة لهم .

ان العرب اذا عادوا الى الله ، فانهم يستطيعون حشد عشرة ملايين مقاتل لمحاربة اسرائيل ، لان نفوس العرب مائة مليون نسمة .

وان المسلمين اذا عادوا الى الله فانهم يستطيعون حشد سبعين مليون محارب لمقاتلة اسرائيل ، لان نفوس المسلمين اليوم سبعمائة مليون نسمة .

فأين تكون اسرائيل لو صدق العرب والمسلمون ما عاهدوا الله عليه ؟

مرة ثانية :

لو كتب عسكري عربي ما كتبه مونتكومري عن علاقة (الدين) بالقيادة ، فماذا كان يقول عنه الناس هنا وهناك ؟؟؟ !!

ان القائد بدون (عقيدة) كالجسد بدون روح ، وان يفلح قائد تخلى عن عقيدته أو كان بدون عقيدة .

وتاريخ الحروب فى كل العصور لكل الامم ، خير دليل على ما أقول .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

تأملات في الفقه الإسلامي

للأستاذ محمد السائح

تقديـــــــــم :

تعتمد كل امة على أصالتها لتؤكد ذاتها بدلا من ان تكون على هامش شخصيتها باعتمادها على القوانين الاجنبية عنها ، ولهذا يجب ان نظل باحثين ومنقبين فى انتاج علمائنا واحكامهم وفتاويهم ، لتستمد منهم ما يساعدنا على التطور والنماء فى اطار بناء حضاري محكم ، وليس معنى هذا اننا نقفل النوافذ ونتزمت ، ولكننا سنظل نعتمد على صلابة ارضيـــة حضارتنـــا وثقافتنا ، ونعطي ، ونحافظ ونبني ، ونميز الغث من السمين ، ونفسح المجال لكل التنظيمات الجديـــدة التي لا تصطدم مع اصول شريعتنا وحضارتنـــا ؛ لا تعصبا لهذه الشريعة وهذه الحضارة ، ولكن صيانة للشريعة الاسلامية من ان تمس ، وحفظا لحضارتنا من ان تقوض وتؤكد التجربة التاريخيـــة ان الشريعـــة الاسلامية لم تكن قط حاجزا دون التطور ، وانـــه لا يضرها ان تأخذ وتغترف ، وتنفي عنها مـــارث من الآراء والنظريات كما ان حضارتنا بطبيعتها مرنـــة سمحة، غير متعصبة ولا جامدة بل منفتحة دائمـــا ذات قابلية لكل ما لا يصادم اصولها ، واننا فى حاجة الى انتاج بحث موضوعي لنستوعـــب انتاجهـــم ، ونقرا تراثهم قراءة جديـــدة تعتمـــد المصطلحـــات الحديثة ، وفى اسلوب متجدد مقبول لا يتخلى عن الاسس ولا يترك الحاجة الى التطور معطلة ...

واول ما يجب ان نبدأ به ، هو عرض الموضوعات وفهمها وشرحها بوضوح ثم فرزها واخيرا صياغتها فى اسلوب واضح مع مقارنتها بموضوعات القانون المدني فى مختلف المدنيات المعاصرة ، لنعيش عصرنا بكل ابعاده ، ونجدد مؤسساتنا الاجتماعيـــة والثقافيـــة تجديدا واقعيا متكاملا ... وقد اخذنا نشعر بعد ان حققنا الاستقلال السياسي والعمل على الاستقـــلال الاقتصادي بضرورة التركيز على اصالتنا التشريعية بدل أن نتلقف قوانين الامم الاجنبية عنا لان اختلاف التشريعات بين الامم هو نتيجة اختـــلاف الحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية بينها ، وايضـــا لاختـــلاف المثل والقيم التي تستلهمها كل امة وتسير وراءهـــا لتحقق سعادتها وامنها ورخاءها وازدهارها وذلك هو هدف كل تشريع ... والمغرب بلاد اسلامية عريقة اشعري العقيدة ، مالكي المذهب سلوكا واخلاقا ... ولم يصل الى تحقيق هذا النمط الاسلامي الا بعـــد قرون من التجربة والاختيارات المتوالية ، فقد تأرجح عبر ماضيه الثقافي بين تشريعات عديـــدة من الدول التي تعرفت به وتعرف بها ، سواء فى أيام حروبـــه وتحدياته ، او فى ايام سلامه وتآخيه ، حتى حقـــق لذاته شخصية كاملة طبعت قوانينه وانظمته واخلاقه ولذلك فكل اعماله تصدر عن وعي ذاتي اخلاقـــي ، ووعي اجتماعي انساني مميز لشخصيته . واهم هذه الميزة ان الاسلام زواج بين الاخلاق والقانون ولذلك لم يعن المسلمون قط بالقانون المجرد من الاخلاق ، وتبعا لذلك لم يهضموا حقا للدولة او للغير دون حاجة

الى رقابة القضاء ، وذلك لان الشريعة الاسلامية بطبيعتها قادرة على خلق وعي قوي ولان الشريعة الاسلامية تجمع بين التربية الخلقية ، والحقوق الاجتماعية وتصوغ ذلك فى عمل الفرد الذي يصبح فى سلوكه نزيها مستقيما يؤجر على عمله ، فهذه النزاهة والاستقامة تتجاوز الاعتدال وجاء الثواب على اخلاصه للمجتمع كله ووفائه للانسانية جمعاء ، لان العمل عبادة والاسلام قول وعمل .. ولا تتحقق القيم الاخلاقية فى البلاد الاسلامية الا بدعم ديني يبنى على اساس الايمان بالله وبرسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعلى عدالة الشريعة الاسلامية الصالحة لكل زمان ولكل بيئة ، تلك الشريعة المرنة التي تقر الاجتهاد والاستحسان ، والمصالح المرسلة ، وسد الذريعة والعرف والعادة وكل ما يخدم الانسان ويطوره ، ويحقق سعادته ، بل ان الاسلام لا يمكن ان يعوق اى تطور للمصالح الانسانية .. وتلك احدى خصائصه .. وقد جاء الاسلام ليحرر العقل الانساني ويقضي على رواسب الكهانة والخرافة والاستغلال ، ويصلح الفرد والمجتمع ، ولذلك فان ركائزه التي بني عليها نظامه هي العقيدة الصافية والخلق القويم ، والتنظيم المحكم والعدل الاجتماعي فى المعاملات الاقتصادية ، وهذه المعاملات تضمن الحقوق المدنية وحسن المعاشرة والتآزر الاجتماعي، والحقوق والالتزامات ، فالحقوق المدنية يضطلع القانون والفقه بمسؤولية تطبيقها على أساس الشريعة الاسلامية ، والمعاشرة الطيبة المتآزرة يسهر عليها المجتمع كله . وهذا ما يجعل المجتمع الاسلامي يعيش حياة موفورة العدالة والكرامة والسعادة لخدمة الصالح العام ، وتطبيقا لذلك فالشريعة الاسلامية اعطت للائمة والعلماء كل الصلاحيات للعمل على اصلاح المجتمع ، فالامام له صلاحيات تشريعية وتنفيذية غير محدودة ، وله اصدار الاوامر الزمنية التي تعتبر الآن فى الدول المعاصرة (السلطة التشريعية) واعماله كلها تقوم على رعاية الاصلاح . واذا كان من الواضح ان القانون انما هو لخدمة المواطنين فان من الاستيلاب ان يظن بعض فقهاء القانون المعاصرين ان الشريعة الاسلامية لا تستطيع مواجهة المشاكل المعاصرة ، وليس يخاف ان جانب المعاملات فى الشريعة الاسلامية اذا كان يرتكز على الثوابت كحسن النية والرضائية والمسؤولية فانه فى نفس الوقت يعتمد على (المتحرك) فى ميدان القانون مستوحيا ذلك من المصلحة العامة والتيسير والضرورات ، زيادة على مرونة الفقه الاسلامي وما نجد فيه من قابلية للاخذ من تجربة المؤسسات المعاصرة والاصطلاحات الجديدة . ويهمنا ان نلاحظ ان الاحكام الفقهية تنقسم الى عدة اقسام من جملتها الاحكام المتعلقة بافعال الناس ومعاملاتهم فى الاموال والحقوق ، وكذلك الاحكام المتعلقة بسلطة الحاكم والحقوق الواجبة على الرعية ، والاحكام المتعلقة بالآداب الاجتماعية وما يدخل فى ميدان الاخلاقيات من استقامة فى السلوك . وكما اكدنا من قبل . فان الاسلام يعتمد العبادة والحضور الالاهي ومراقبة الخالق جل علاه فى السر والعلن ، لانه دين روحي ومدني معا ، يؤلف بين الاخلاق والمعاملات ، ويحرص على عمل الحلال وترك الحرام ، فى تشريعات واضحة، والقيم الانسانية شيء موجود ، موجود غير وهمي والمثل الاعلى بين واضح فى الكتاب والسنة ، فلا مجال للعبث والتلاعب والغش والخداع ، ولذلك فالمسلم قادر على حفظ مجتمعه لانه طوع اوامر خالقه الهادفة لخيره وهو وحده المسؤول عنها ، ومهما تصدر السلطة من المراسيم والقوانين لمكافحة التلاعب والانحراف فان الانسان قادر على التلاعب بالنصوص والتحايل عليها لان العقل البشري له قدرة على الابتكار والحيل لا يكبح جماحها الا رقابة الخالق فى السر والعلن ولذلك اذا اضفنا هذه الرقابة الدينية لمرونة الفقه الاسلامي وقدرته على التكيف والتطور لتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، وسد الذرائع ومراعاة تغيير الازمنة والبيئات ظهر واضحا الى اي حد يضمن الاسلام للمجتمع الانساني السعادة والاطمئنان .

ان رجال القانون سوف لا يجدون فى التنظيمات الاسلامية الشرعية ما يخيف ، بل على العكس سوف يجدون فى الشريعة الاسلامية هدفهم الانساني لتحقيق العدل والمساواة ، فالفقه الاسلامي متطور لانه اعتمد على الثوابت وهي الكتاب والسنة والاجماع ثم فتح باب الاجتهاد الذي لم يسد أبدا رغم زعم كثير من الفقهاء انه سد بعد عصر الائمة المجتهدين المعروفين ... والاجتهاد فى الفقه الاسلامي هو اكبر دليل على حيوية الفكر الفقهي وتطوره ... وسوف يجد رجال القانون فيما كتبه الفقهاء المسلمون فى ميدان التنظيمات المدنية والاصلاحات الاجتماعية والسهر على حقوق المواطنين بمختلف الاساليب مجالا خصبا لحركة الفكر القانوني وحيويته لخدمة المجتمع المغربي الحديث الذي كما تحرر من الرواسب السياسية والاقتصادية ، سيتحرر حتما

من الرواسب القانونية ، نبعث هـذه الدراسـات الاصلية التي سيستفيد منها المجتمع بدلا من الاغراق في الدراسات والنظريات الاجتماعيـة ، سواء من الجانب الستاتيكي او من الجانب الحركي بفصلهما او بعدم فصلهما ... او في النظرية الاجتماعية الغربية لتنظيم العلاقات المجاورة للجانب الاقتصادي ... كل ذلك نقل حرفي لنظريات غربيـة لا يستفيـد مجتمعنا منها ، ان لم يكن يزداد ارتباكا ، وتارجحـا وابتعادا عن عدسة المكبرة . اما العودة الى الاصول السليمة لتنظيم العلاقات الاجتماعيـة في اطارهـا الفطري التلقائي ، وتطورهـا على اساس قاعدتهـا الاصيلة المتينة ، فذلك ما يضمن لنا التطور والعدالة الاجتماعية الحقة .

ان المجتمع المغربي يتسم بشخصية قويـة ملتزمة متماسكة ولهذا فقد توفرت عوامل الوحـدة الوجدانية والفكرية في الحفاظ على قوة شخصيته .. وتظهر هذه العوامل واضحة عندما يرد عنـه غارات المعتدين على شخصيته لذلك استطاع بسهولـة ان يحطم امبراطورية روما التي لم تعجز عن استيلاء على أوروبا .. وان يثور في وجه الخلافات المذهبيـة المسيحية ويجد في الاسلام عامل الوحدة لانه وجد فيه شخصيته ومسايرة لهذه النزعة كان سنيا مالكيا متضامنا في مذهب فقهي واحد واشعري العقيدة دون الخوض في الخلافات العقائدية ثم صوفيا على طريقة التصوف الجنيدي السني ، ورغـم ظهور بعـض النزاعات المذهبية فانها ظلت ضعيفة محدودة لـم تنل من وحدته ، وكانت هي نفسها في صميم الوحدة وعاملا في خلق حوار ايديولوجي .. ولم يعرف الا بعض الفرق الضالة كالمكاكزة التي تكلم عنها اليوسي وقاوم ضلالاتها ... كما لم يعرف الانعزالات طائفية او شخصية كانت .

وكم حاول المستعمـرون تفويـت الاصالـة الاسلامية والحضارة المغربية ، ولكن لم ينجحوا في تقليم اظفار المغاربة ، سعوا الجهد لتقوية الحضارة الغربية عن طريق تفويت اللغة العربية سواء على يـد المستعمرين والمستشرقيـن وتفويـت العقيـدة الاسلامية على يد المبشرين .

وللمغرب شخصيته الحضارية التي تعتمد على تقدير الانسان والايمان به فهي تقدر كرامته وتوصي باحترامه وتعتبره عضو بناء وتشييد ، يراه القانـون بريئا الى أن يظهر اتهامه ، صادقا الى ان يظهر كذبه ، ونزيها الى ان تظهر سرقته عكس الثقافة الغربية التي يرى الانسان فيها أقرب الى عدم الاستقامة يؤخـذ بعين الحذر والشك سواء في أقواله او في تصرفاته ... ومن هنا كان الفقه الاسلامي انسـب لعقليـة المغربي ونظامه الاجتماعي والشخصي .

(يتبـع)

مصادر معتمدة وللتوسع :

- الموافقـات . . . . الشاطبي
- المدخل الفقهي العام . . . . مصطفى الزرقاء
- اصـول الفقـه . . . . للحضري
- الملـل والنحـل . . . . . الشهرستاني

بحث في معنى الاله

للدكتور عبد الله بن الصديق

لفت نظري — حين تدريسي للطلبة شرح البناني على السلم بزاويتنا الصديقية — انه مثل بلفظ الاله ، لنوع من الكلى فلم يعجبني هـذا التمثيل ، وكتبت عليه ثمـان ملاحظـات ، احببت ان انقلها الى القراء الكرام

قال صاحب السلم :

فمنهم اشتراك الكلـى
كأسد وعكسـه الجزئـى

قال العلامة البناني في شرحه :

يعني أن الكليّ ، هو الذي يفهم الشركة في معناه : اي لا يمنع نفس تصور معناه ، من صدقه على متعدد ، كانسان واسد . فدخل في تعريف الكلي انواع ، فذكر النوع الاول ، ثم قال :

وثانيها : ما وجد منه فرد واحد ، اما مع استحالة وجود غيره ، بدليل خارج عن تصوره ، كالالـه اي المعبود بحق ، فان مجرد تصور معناه ، لا يمنع من صدقه على متعدد . لكن قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالالوهية ، واستحالة ثبوتها للغيـره .

وتفسير الاله بالمستغنى عن كل ما سواه ، المفتقر اليه كل ما عداه ، لا يمنع كونه كليا . اذ لا يوجـب تشخصه ، لانه بهذا المعنى يحتمل ان يصدق على كثير، على سبيـل البدليـة اهـ .

وقال محشيه العلامة على قصارة :

كان ينبغي اسقاط هذا القسم من اقسام الكلى ، لانه موهم فى مقام الالوهية ما لا يصح فى حقه تعالى مـن التعدد والجسمية والتركيب . فلا ينبغي اطلاقه ، كمـا صرح به القرافى فى شرح التنقيح ، ونصه : اطلاق لفظ الكلي على واجب الوجود ، فيه ايهام ، تمنع من اطلاقه الشريعة ، فلذلك تركته أدبا اهـ .

قال سيدي عيسى السكتاني : وكذا الجزئـى ، يوهم النسبة الى جزء الشيء الموضوع للمجموع ، فذلك

مستحيل فى حقه تعالى اه . علم من هذا ان اطلاق لفظ الكلى على الاله ، لا يجوز شرعا ، للايهام المذكور ، (1) وهذا اول خطأ من البنانى رحمه الله .

الثانى : — ويشاركه فيه القرافى واهل المنطق — ان الاله ليس بكلى ، بل هو خاص بالله تعالى كالرحمن. وفى الناس كثيرون ، اسمهم عبد الاله .

قال الفيومى فى المصباح المنير : الاله المعبود ، وهو الله سبحانه وتعالى . ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى اه .

وقال الراغب فى مفردات القرآن : واله حقه الا يجمع ، اذ لا معبود سواه ، لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه ، فقالوا : الآلهة اه .

وفى القرآن الكريم (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان). وهذه الآية ، من ادلة القائلين بأن اللغة توقيفية .

تبين من هذا ان الاله علم خاص ، كما قلنا .

وانه لتضمنه معنى العبادة ، اطلقه العرب على معبوداتهم على سبيل الاستعارة .

وتوهم أهل المنطق أن هذا اطلاق حقيقى ، فزعموه كليا ، مع انه علم خاص .

ونظير هذا : اطلاقهم لفظ حاتم على الكريم ، اشتقاقا من معنى الكرم الذى اشتهر به حاتم الطائى المعروف ، ولم يخرجه ذلك الاطلاق ، عن علميته الشخصية .

كذلك لفظ الاله ، لا يخرجه اطلاقه على المعبودات ، اشتقاقا من معنى العبادة ، عن علميته الخاصة بالله تعالى .

الثالث : أن الكلى انما يتأتى فى الممكنات ، كالنبى والملك والعرش والكرسى واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والانسان والحيوان والنبات وما الى ذلك ، مما يتركب من اجناس وفصول ، ويدخل فى دائرة المقولات (2) العشر المجموعة فى قول القائل :

زيد الطويل الابيض ابن مالك
ببيته بالامس كان متكى

بيده غصن لواه فالتوى
فهذه عشر مقولات سوا

أما واجب الوجود سبحانه ، فهو منزه عن ذلك.

ليس شىء من اسمائه وصفاته كليا يتركب من جنس يشترك به مع غيره ، ولا من فصل يميزه عنه .

بل اسماؤه وصفاته خاصة به ، لخصوص العلم الشخصى بمسماه .

الرابع : أن الكلى ، لا يتصور كونه محالا ، اذ هو ما له جزئيات موجودة كالحيوان،او ممكنة الوجود، كجبل ياقوت .

والمحال ، عدم محض ، ليست له صورة فى الذهن ، ولا يمكن أن تكون له صورة ، بل لا يدرك الا بطريق التشبيه ، كان يعقل اجتماع السواد والحلاوة فى العنب مثلا ، ثم يقال : مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض . واحيانا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه ، ككون الشىء موجودا معدوما فى آن واحد.

فكيف يتصور كونه كليا له جزئيات ؟ !!

والذين اعتبروا الاله وشريك البارى ، كليين مخطؤون واهمون ، لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته

---

1) صرح العلماء أيضا بأنه لا يجوز وصف علم الله بأنه ضروري ، وان كان له معنى صحيح ، لايهامه معنى لا يليق بالله تعالى .

2) أخذت هذا العلم عن شيخنا العلامة المحقق الشيخ العباس بنانى بجامعة القرويين اعاد الله لها مجدها . وهو احد أربعة علماء عرفوا بالتحقيق ، وثانيهم : العلامة مولاي عبد الله الفضيلى ، اخذت عنه رسالة الوضع ، ومقدمات جمع الجوامع . وثالثهم : العلامة الشيخ الراضى السنانى صاحب الشذرات ، اخذت عنه بعض جمع الجوامع . ورابعهم : العلامة مولاي احمد القادري ، اخذت عنه باب الجنايات من المختصر بشرح الخرشى ، واجازنى اولهم بما يرويه عن سيدي احمد بن الخياط رحمهم الله جميعا ، واثابهم رضاه .

أو اشتبه عليهم الامر ، حين وجدوا كليا جزئياته معدومة ، كجبل ياقوت وبحر زئبق ، فاعتبروا المحال كليا مثله . لكن بينهما بون شاسع ، لان الممكن المعدوم قابل للوجود. وقد أخبر الله أن فى الجنة أنهارا من لبن لم يتغير طعمه ، وانهارا من خمر لذة للشاربين، وأنهارا من عسل مصفى .

وهذه أمور ممكنة غير موجودة فى الدنيا ، وهى موجودة فى الآخرة .

أما المحال ، فانه مغرق فى العدم ، لا يقبل الوجود بحال ، لا فى الخارج ، ولا فى الذهن . ووجود جزئيات الكلى ، مترتب على وجود صورة له فى الذهن. والمحال لا صورة له ، ولا يذكر الا منفيا . والخلاصة: أن الكلى لا يكون الا فى الممكنات فقط ، دون الواجب والمحال .

الخامس : قول البنانى فى بيان كلية الاله : مجرد تصور معناه ، لا يمنع من تعدد مصدوقه . لكن قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالالوهية ، يشتمل على تناقض .

اذ حاصله : أن الاله مصدوقه جائز التعدد عقلا.

والاله واجب الانفراد فى واحد عقلا .

وهذا تناقض واضح ، لاخفاء فيه .

السادس : وهو مبنى على ما قبله — : ان جواز تعدد الاله ، ثابت . وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرد الله بالالوهية لا يمنع منه ، لان جواز التعدد مفهوم الاله ، فهو ذاتي ، وما بالذات لا يتخلف ، وفى هذا من الخطر ما لا يخفى ، بل هو هدم للتوحيد .

السابع : ان زيادة لفظ « بحق » فى معنى الاله، لا اصل لها فى اللغة ، ولا علاقة للعقل بها . فالاله هو المعبود ، وكونه معبودا بحق ، حكم شرعى . والحكم لا يدخل فى الحد ، قال صاحب السلم :

وعندهم من جملة المردود

ان تدخل الاحكام فى الحدود

الثامن : قوله أيضا : تفسير الاله بالمستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه ، لا يمنع كونه كليا ، اذ لا يوجب تشخيصه ، لانه بهذا المعنى يحتمل ان يصدق على كثير على سبيل البدلية اهـ .

اغراق فى الخطا ، وتشبث به الى حد التزمت، حتى انه لم يفرق بين ما يعين المسمى ويخصصه ، وبين ما ليس كذلك .

ومن البدهيات فى علم المنطق أن التشخص فى الجزئى ، يمنع الاشتراك فيه . فانسان كلى ، يقبل الاشتراك . وزيد جزئه لا يقبل الشركة ، لتشخصه وتعينه .

فلو فرضنا أن الاله بمعنى المعبود كلى كما قال، فان تفسيره بالمستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه ، تخصيص له بما لا يشاركه فيه غيره من المعبودات ، فهو بمنزلة التشخص فى زيد .

ذلك أن المعبودات بجمع انواعها من ملائكة وانس وجن وحيوان واصنام ، لا يجيز العقل فى شىء منها أن يكون مستغنيا عن كل ما سواه ، مفتقرا اليه كل ما عداه .

لانها ممكنة ، والممكن لا يستغنى عن المحل والمخصص .

التاسع : قوله : اذ لايوجب تشخصه ، والصواب: أن يقول : اذ لا يوجب تعينه . لان التشخص لا يجوز أن يضاف الى الله سبحانه وتعالى (3) .

---

(3) وحديث : لا شخص أغير من الله ، من تصرف بعض الرواة ، ولفظه الثابت فى اغلب الطرق : لا أحد اغير من الله ، وفى رواية : لا شىء اغير من الله على ان النووي فى شرح مسلم أول : لا شخص بلا أحد ، وقال : عبر بشخص عن احد استعارة . وقيل : لا يدل الحديث على اطلاق لفظ شخص على الله ؟ وانما يدل على وصفه بالغيرة ، لان « افعل من » يدل على المشاركة فى الصفة فقط ، يقال : لا خيل أسرع من فلان . وكان يقال فى سلمة بن الاكرع : أسرع من الخيل .
يوضحه : انك لو قلت : لا انسان اغير من الله ، لم يفد أن الله يسمى انسانا .

يرد فى هذا المقام ثلاثة ايرادات ، نذكرها مع الجواب عنها .

1 — دعوى أن المحال ليس بكلى ، يخالف ما اطبق عليه أهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليا ، وكذا الاله ، وان يذكره بعضهم تأدبا كما مر ، وتعريف المحال يقتضى كليته أيضا .

والجواب : مسائل المنطق ، يعمل فيها بما يقضى به العقل والفكر السليم ، لا بالاجماع أو قول الاكثر .

والمنطق الحديث ، أبطل نظريات اطبق عليها القدماء فى المنطق القديم .

ومما لا يخفى على دارس : أن الكليات مبادى التصورات التي هي حدود ورسوم ، لماهيات الموجودات الممكنة .

فالحدود والرسوم ، تتركب من أجناس وفصول

وخواص ، كما هو معلوم .
والموجودات نوعان :

موجودات بالفعل ، كالانسان والشمس .

موجودات بالقوة ، كنهر لبن وبحر زئبق وجبل ياقوت . فان هذه الاشياء ، ممكنة الوجود ، وامكان الشيء كوقوعه ، فهى موجودة بالقوة .

والكليات التى تدخل فى التعريف ، تقع على أشياء موجودة فى الذهن او الخارج أو فيهما .

والمحال لا يتصور فى العقل وجوده ، ويسميه الحكماء منفيا .

وحكى شارح العقيدة الطحاوية اجماع العقلاء على أن المحال ليس بشيء .

والخلاف الذي حكاه صاحب جمع الجوامع بقوله « فعلى الاصح المعدوم ليس بشيء ولا ذات ولا ثابت ، انما هو فى المعدوم الممكن ، كما قيده به شارحه الجلال المحلى ، فثبت أن المحال ، لا يكون كليا .

والعقل لا يمكنه أن يتصور شخصا قائما قاعدا ، ولا ثوبا ابيض أسود .

وبالضرورة : لا يمكن تصور افراد لما لا يمكن تصوره فى نفسه .

2 — قال الشيخ سعيد قدورة ، فى بيان افراد الكلى الممتنع :

فان الجمع بين البياض والسواد ، جمع بين الضدين ، والجمع بين القيام والقعود ، جمع بين الضدين . والجمع بين الترقى والتدلى ، جمع بين الضدين . فتبين أن الجمع بين الضدين ، واقع على كثيرين ، وأفراده كلها ممتنعة الوجود فى الخارج أه .

وهذا الكلام ، يشتمل على أوهام :

1 — أن الجمع بين الضدين ، مثال لمحاولة فعل المحال الذى هو اجتماع الضدين .

2 — أن افراد الكلى ، ما يتحقق فيها مفهومه كالانسان ، يتحقق فى جزئياته مفهومه الذي هو حيوان ناطق .

وهذا انما يتأتى فى الماهيات الممكنة التى يتمايز افرادها بالتشخيص وغيره ، فى الوجود الذهنى أو الخارجى .

وماهية المحال ، عدم بحت . لا تقبل الوجود فى الخارج ولا فى الذهن والعدم لا تمايز فيه بين المعدمات.

3 — أن الكلى ، انما يطلق على شيء موجود بالفعل او بالقوة ، والمحال ليس بشيء ، كما مر بيانه .

4 — أن تعدد الافراد فى الامثلة التى ذكرها الشيخ سعيد ، انما هى امثلة لمتعلق المحال اعنى الضدين، فانه لفظ عام ، يشمل الابيض والاسود، والقيام والقعود وغير ذلك من الاضداد الموجودة . «فالتعدد واقع فيها ، والترقى والتدلى ، والليل والنهار ، والحياة والموت ، لا فى المحال الذي هو اجتماعها ، وهو المحكوم بنفيه.

وقد اشتبه الامر على الشيخ سعيد ، رحمه الله تعالى .

يوضح ذلك أن المحال الذى لايتعلق بضدين مثلا، كشريك البارى ، لا يتصور له افراد ابدا ».

3 — من الايرادات — : دخول النفى العام ، على الــه ، فى قولنا : لا اله الا الله ، يؤيد القول بكليته ،

لانه لا يجوز ان يقال : لا زيد فى الدار ، وانما يقال : لا انسان فى الدار .

والجواب : أن النفي توجه باعتبار الاطـــلاق المجازي اي لا معبود الا الله .

وهذا كما يقال : لا حاتم الا فلان ، اي لا كريم ، او لا قيس الا فلان ، اي لا فصيح ، وهكذا .

فاله فى الكلمة المشرفة ، كلى فى المعنى المجازي ، كما أن لفظ حاتم كلي ، لاستعماله فى الكريم مجازا ، مع انه فى الحقيقة علم شخصى .

وكذلك قيس ، كلى لاستعماله فى الفصيح مجازا ، وهو فى الحقيقة علم شخصى ، لقيس بن ساعدة .

4 ــ اختار السنوسى أن معنى اله ، فى كلمـــة التوحيد :

لا مستغنيا عن كل ما سواه ، ومفتقرا اليه كل ما عداه الا الله ، فهو على هذا كلـــى .

والجواب : أن اختيار السنوسى لهذا المعنى ، هو الذى غر البنانى ، واوقعه فى ذلك الخطأ الذي مر بيانـــــه .

والسنوسى انما اختاره ، ليدعى ان كلمة التوحيد شاملة لصفات الواجبة لله تعالى .

لكن اختياره غير صحيح لامور :

احدها : انه تكلف فى ادخال تلك الصفات ، بما لا دليل عليه ، ولا حاجة تدعو اليه .

ثانيها : أن الاله لم يستعمله العرب الا بمعنـــى المعبود . وكذلك جاء فى القرآن الكريم (انهم كانـــوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون .. وهو الذي فى السماء اله وفى الارض اله .. اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب .. أاله مع الله .. وقال الله لا تتخذوا الهـــين اثنين انما هو اله واحـــد) .

فالاله فى هذه الآيات وغيرها ، مفردا ومثنـــى ومجموعا ، معناه المعبود . ونفى المعبـــودات ، فى الكلمة المشرفة ، يكفى فى اثبات التوحيد ، ونبذ الشرك ولذلك جعلها الشارع دليلا على الاسلام ، وعنوانا له . لانه يلزم بالضرورة من نفى المعبودات ، نفـــى الخصائص الالوهية عنها ، وهى منتفية بضرورة العقل والمشاهدة ، كما قال الله تعالى « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا »

فلا حاجة الى ما تكلفه السنوسى وغيره ، فى شرح الكلمة المشرفة .

طنجة ــ عبد الله بن الصديق

فوائد الصوم العسكرية

للواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

حل شهر رمضان المبارك على طلاب الكلية العسكرية سنة (1356 هـ — 1937 م) وغمرت انواره قلوب المؤمنين فى كل مكان ، فاستقبله قسم من الطلاب العسكريين بما يستحقه من حفاوة بالغة وصمموا على الصيام مهما تكن الصعوبات والمشاكل..

لقد تعود هؤلاء على صيام هذا الشهر المبارك حين كانوا تلاميذ فى المدارس المدنية ، وليس من السهل على من اعتاد الصوم أن يتخلى عنه ، فهم قد تذوقوا فرحة الصائم ، وبركات الصوم ، وحلاوة الايمان ، وليس من ذاق كمن حرم ، ومتاع الدنيا كله لا يساوي شيئا بالنسبة الى ما تذوقوه ..

ومضى اليوم الاول من أيام الصيام ، واجتمع الطلاب الصائمون على مائدة الافطار والسحور ، تحف بهم الملائكة ، وترتسم على وجوههم سمات العزم والانشراح . وكما عزموا على الصوم ، عزموا على ابراز اثر الصوم فى الصائم الحق : معاملة حسنة للناس واخلاقا محببة للنفوس ، ومضاعفة للعمل المثمر البناء ، وامتيازا فى النجاح دون الاكتفاء بالنجاح وحده.

كان الصائمون من طلاب الكلية العسكرية اقلية، وكانت الاكثرية تشك فى امكان الصوم وتحمل المشاق العسكرية فى آن واحد ، وكان المسؤولون فى الكلية والطلاب يتوقعون الاخفاق للصائمين فى مجالى العلوم العسكرية والتدريب العسكرى ، وكانوا ينتظرون ان يتناقص عدد الصائمين بالتدريج حتى يتلاشى ، وكانوا بين مشفق على الصائمين ومستقبلهم وبين مستهجن لاصرارهم على الصوم .

ومضت ايام رمضان يوما بعد يوم ، وعدد الصائمين يزداد كل يوم ، ومضى الصائمون يثبتون عمليا ان الصوم حافز من اقوى حوافز العمل والانتاج والنجاح. وكان من اشد المقاومين للصائمين ضابط برتبة نقيب ، وكان هذا الضابط قائدا لفصيلة من فصائل الكلية العسكرية ، وكان قادة الفصائل يتنافسون فيما بينهم على التفوق ، وحين تفشى الصوم بين طلابه تنادى بالويل والثبور . وقد كانت فصيلته متميزة قبل رمضان، فظن بعد حلوله انها ستصاب بنكسة قاصمة . ولم ينقض الشهر المبارك الا ولمس تقدما مذهلا فى فصيلته فقد كان طلابه الصائمون يرتفعون كل يوم وينالون قصب السبق فى التدريب والالعاب والدروس ، فما حل العيد الصغير الا وكانت فصيلته قد بلغت درجة من التفوق لا تضاهى ، حتى اصبحت فصيلته بفضل الصائمين ، هى الفصيلة النموذجية بين فصائل الكلية العسكرية قاطبة ، واصبحت مضرب الامثال فى التدريب والتهذيب والعلوم العسكرية والالعاب الرياضية .

وصادفت هذا الضابط بعد عشر سنوات وقد اصبح برتبة عقيد قائدا لوحدة من وحدات المشاة فى فلسطين سنة (1948 م) ، وزرت وحدته فى شهر

رمضان من تلك السنة ، فرايته صائما يقاوم الافطار ويأمر بالصوم ، ووجدت وحدته كلها ضباطا وضباط صف وجنودا صائمين ، ووجدته مهتما الى ابعد الحدود باحضار الافطار والسحور لرجاله ، فرحا غاية الفرح باجماع اتباعه على الصوم وحرصهم الشديد عليه .

وقال معللا سر تحوله عن مقاومة الصوم والصائمين : « لقد تعلمت من طلاب الكلية العسكرية الصائمين ان الصوم سر من أسرار التفوق والامتياز ، وكنت قبل ذلك واثقا من أن الصوم يضعف الهمم ، ويحث على الكسل ، ويقلل من الانتاج وفرص النجاح »

ان كل فرائض الاسلام وكل تعاليمه خير وبركة ، اذا طبقها المسلمون كما ينبغي . ولو طبق المسلمون تعاليم دينهم تطبيقا سليما ، لقادوا العالم ، وسيطروا على مقاليده عسكريا وسياسيا وحضريا .. ولكن اين من يطبق تعاليم الاسلام كما يجب .. اين ؟

— 2 —

وطالما سمعت غير الصائمين يقولون : كيف تستطيعون الصوم عن الطعام والشراب ساعات وساعات ؟ هؤلاء وأمثالهم لم يؤمروا بالصوم حين كانوا صغارا ، ولم يشاهدوا آباءهم وأمهاتهم يصومون ، فلما كبروا استقر فى أذهانهم ان الصوم صعب لا يحتمل ولا يطاق ! ولو انهم صاموا وهم صغار وشاهدوا أبويهم يصومون لتغلغل حب الصوم فى افئدتهم ومعه نور الله ، ولاصبحوا يقولون : كيف يستطيع المسلم القادر على الصوم الافطار فى رمضان؟ كيف يصبح المرء عبدا لبطنه ؟ كيف يعصى المؤمن الحق اوامر الله ؟

قبل بضع عشرة سنة ظهر طبيب المانى كبير درس آثار العقاقير فى الجسم البشري ، فوجد ان قسما منها يفيد من ناحية ويضر من ناحية اخرى ، فهى تبنى وتهدم ، وقد يكون ضررها أكبر من نفعها . كما وجد أن قسما من هذه العقاقير الطبية تترك آثارا سيئة فى الجسم ، اذا لم تظهر اليوم فانها تظهر غدا ، لانها تعتمد على المواد السامة فى تركيبها .

وبعد بحوث مستفيضة اجراها ذلك الطبيب ، وجد أن العلاج الطبيعى الذي يعتمد على الحمية والهواء الطلق ، والتعرض لاشعة الشمس ، **والايمان بالقضاء والقدر هو انجع علاج لامراض البشر** .

والف هذا الطبيب كتابا عن العلاج الطبيعى ، اشاد فيه بالصوم الاسلامى ، وبالايمان بالقضاء والقدر ، وقال : « ان هذين العلاجين انجع العلاجات على الاطلاق » ..

فقد ذكر ان المعدة واجهزة الهضم الاخرى تضرها التخمة ، وان فضلات الطعام تترك سموما قاتلة فى الجسم وان الصوم يذيب هذه السموم بالتدريج حتى يتخلص الانسان منها ، فتعود اليه صحته ويتعافى .

كما ذكر ان المكثرين من تناول الادوية الصناعية ، تكون نسبة السموم فى اجسامهم اكثر من المقلين من تناول تلك الادوية ، وقد اورد قول الكاتب البريطانى برناردشو عن مضار العقاقير : « لو القينا الادوية فى البحر لمات السمك » ..

وانشأ هذا الطبيب فى المانيا مصحا صغيرا لم يفتأ ان اصبح مستشفى ضخما يقصده المرضى من جميع انحاء العالم للتطبيب بالعلاج الطبيعى ، ثم انتشرت مستشفيات العلاج الطبيعى فى المانيا وفى العالم المتمدن ، واصبح لهذا العلاج كراسى فى كليات الطب ومختصون من الاطباء ، كما تخرج فى تلك الكليات اطباء عرب يمارسون مهنتهم فى البلاد العربية ويلاقون النجاح ويحظون بثقة المرضى .

وكما علل الطبيب الالمانى اهمية الصوم فى تخليص الاجسام من السموم ، علل اهمية الايمان بالقضاء والقدر فى العلاج الطبيعى . فقد ذكر أن المريض الذي تنتابه الهواجس يكون قلقا خائفا ، والقلق يقوض الجسم والخوف يحطم البدن ، وهما عاملان من عوامل استشراء المرض وتفاقمه . اما الايمان بالقضاء والقدر ، فيدخل الهدوء الى روع الانسان ويصاول القلق والخوف ، ويشيع الاطمئنان فى النفوس ، مما يؤدي الى شفاء المريض .

والاسلام هو الرائد فى الصوم والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى ، ولم يكن الطبيب الالمانى هو الرائد على الرغم من ادعاءاته وادعاءات غيره من الاطباء والناس .

ولكن الاسلام — مع الاسف الشديد — مظلوم حتى بين معتنقيه جغرافيا وبالوراثة ، وما اكثرهم عددا واقلهم جدوى ، وصدق الشاعر :

انــي لافتــح عينــي حين انتحهــا
علــى كثير ولكن لا ارى احـــدا

— 3 —

ان فوائد الصوم العسكرية ظاهرة للعيان ، ولعل ابرازها فى مثل هذه الايام له اهمية خاصة نظرا للظروف العصيبة التي يجتازها العرب والمسلمون وهم فى حرب مصيرية على اسرائيل وعلى من وراء اسرائيل من دول الاستعمار القديم والجديد .

واحراز النصر على اعدائنا لا يكون الا بالايمـان العميق ، وهذا الايمان هو السلاح الذي نتفوق بـه على الاعداء ، فاذا تخلينا عنه تفوق علينا اعداؤنا بما يمتلكون من سلاح وعتاد ومكر وخداع .

فى العسكرية نوع من التدريب يطلق عليـه : (التدريب العنيف) وهو تدريب العسكريين علـى النهوض بواجباتهم فى ظروف صعبة ، كالحرمان مـن الطعام والماء والترفيه عن النفس ، وتحمل التعـب والسهر ، وقطع المسافات الشاسعة، واجتياز العقبات وعبور الموانع واقتحام العراقيل .

واهم ما فى هذا التدريب العنيف ، هو الحرمان من الطعام والماء ، لان الجيش يمشى على بطنه كما يقول نابليون ، وهذا الحرمان هو الصوم .

ان الصوم يهيىء الاسباب للتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب ، اما بقية فروع التدريـب العنيف ، فهى ميسورة لكل شاب سليم الصحـة ، ومعظم عناصر كل جيش فى العالم هم الشباب .

ان ظروف الحرب قد تقتضى انقطاع سابلـة الطعام والماء من جراء القصف الجوي او نسـف الجسور ، فاذا لم يكن الجندي قادرا على تحمل الجوع والعطش يوما او اياما عند الضرورة فانه بدون شك يستسلم للاعداء ويرضخ لارادتهم .

اما اذا كان الجندي قادرا على تحمل الجـوع والعطش حتى تنجلى الغمة ، فانه يقاوم الاعـداء ويصاولهم ويحبط محاولاتهم لاجبارهم على الرضـوخ والاستسلام .

والتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب، هو فى نفس الوقت تدريب على الصبر الجميل ، ومن المعلوم ان الجندي الصابر يتغلب دوما على الجندي الذي يعوزه الصبر ، وما اصدق المثل العربـي : « الحرب صبر ساعة » ..

ثم ان أعدى اعداء المرء نفسه ، والرجـل اذا استطاع السيطرة على هوى نفسه ، فأدى ما « يجب » أن يؤدي لا ما « يهوى » أن يؤدي ، أصبح جنديا مثاليا فى تصرفه ورجولته واقدامه وتضحيته . وما الصوم الا سيطرة على النفس الامارة بالسوء ، يوجهها الى ما « يجب » أن تعمل لا الى ما « تحب » ان تعمل .

فاذا كان الجندي مسيطرا على نفسه ، فانـه يحول بينها وبين وساوسها فى التولي يوم الزحـف وغيره ، ويحملها على التمسك بفضائل الجندية الحقة .

وصوم رمضان يحتاج الى عزم صادق ، وهـذه المزية من مزايا الجندي المتميز ، اذ لا فائدة من القرار الصائب بدون عزم على تنفيذه ، ولا نصر فى الحرب بدون عقد العزم على تحقيقه .

وكيف يمكن ان ينتصر الجندي ، اذا كان مترددا لا يقر له قرار على خطة او راي ؟

ان الصوم يربى مزية العزم فى النفوس ، ويقضى على رذيلة التردد .

— 4 —

والصوم الاسلامى يطهر النفس وينقيها من الدرن ويرتفع الى معالى الامور ، ويقتلع منها الخبـث ، وحينذاك تقبل على التضحية بالمال والنفس وتطلب الشهادة او النصر ، والحرب فى الاسلام هى احدى الحسنيين : الشهادة او النصر .

فما احوجنا اليوم الى جنود طاهرة نفوسهـم ، يقبلون ولا يدبرون ، ويؤثرون ولا يستأثرون .

والصوم يحث على التعاون الوثيق ، لان الصائم الحق يكون قريبا من الله بعيدا من الشيطان ، فيعاون اخوته فى الدين افرادا ، ويعاونهم جماعات ، والتعاون مبدأ من مبادىء الحرب ، فاذا تألف الجيش من افراد متعاونين على النطاقين الفردي والجماعى ، اصبـح قوة لا تقهر ، لانه سيكون متعاونا على نطاق الاسلحة المختلفة والقيادات المختلفة ، ويكون هدف رجالـه المصلحة العليا للامة دون المصلحة الشخصية للفرد ..

والصوم يغرس الخلق الكريم فى النفوس ، لان الصائم الحق متسامح دمث ، يحب لغيره ما يحبه لنفسه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد يبدأ الصائم فى التمسك بالخلق الرفيع فى أول امره (تطبعا) ، اذا غاضبه احد قال : انى صائم .. ثم يمسى التطبع بالتدرج (طبعا) فيه .

والدين المعاملة ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » . وقد كان عليه افضل الصلاة والسلام اعظم القادة ، لانه كان اعظمهم اخلاقا ، والقائد المتمسك بالخلق الكريم ، والجندي المتمسك بالخلق الكريم ، عناصر مفيدة ودعائم قوية لكل جيش فى العالم .

فما احوجنا اليوم الى قادة وجنود متمسكين بخلق القرآن الكريم .

والصائم يطيع الله وينفذ تعاليمه ، فيحرم نفسه من الطعام والشراب ومتاع الدنيا حتى يفطر .

وقد يكون جائعا فيخلو الى نفسه ويجد الطعام الشهى والشراب الهنى ، ولكنه يمتنع عن تناولهما مرضاة لله وتنفيذا لاوامره .

هذه الطاعة فى السر والعلن هى ارقى درجات « الضبط المتين » التى تنص على : اطاعة الاوامر وتنفيذها عن طيبة خاطر فى مختلف الظروف والاحوال دون رقيب أو حسيب ..

ومن المعلوم ان الفرق بين الجندي الجيد والجندي الردىء هو تحلى الاول بالضبط المتين وتحلى الثانى بالتسيب والتمرد والعصيان .

ومن المعلوم ايضا ان الفرق الاساسى بين الجيش القوي ، والجيش الضعيف ، ان الاول قوي الضبط والثانى ضعيفه لا يتميز عن العصابات بشىء .

أعرف اشخاصا يخشون رؤساءهم كخشيتهم لله او اشد خشية ، ولكنهم يعصون الله خالق الكون وفالق الحب والنوى القوي العزيز .

وطاعة المرءوس للرئيس ما اطاع الرئيس الله واجبة ، ولكن طاعة الله هى من أوجب الواجبات .

فمتى يعرف الانسان قدر نفسه ، فيطيع الذي منحه الصحة والعافية والرزق والحياة ؟

— 5 —

تلك هى مجمل فوائد الصوم العسكرية ، اذا استغلها العرب اليوم واستغلها المسلمون تبدل حالهم الى أحسن حال .

انها تطبيق لمبادىء التدريب العنيف ، وسيطرة على النفس الامارة بالسوء ، والتحلى بالعزم الصادق ، وتطهير النفس من الخبث والدرن ، والتمسك بمبدأ التعاون الوثيق الذي هو مبدأ من مباديء الحرب ، والتخلق بالخلق الكريم افرادا وجماعات ، والالتزام بالضبط المتين الذي هو من اهم مزايا الجندية ، والتشبث بالصبر الجميل الذي هو قوة كل جيش منتصر

والذي اريده من اخوانى قادة العرب والمسلمين ان يأمروا بالصوم ويشجعوا الصائمين ، وأن ينهوا عن الافطار ويؤنبوا المفطرين ، حتى يحققوا لامتهم وجيوشهم تلك الفوائد الحيوية ، والله مع المتقين ، وما النصر الا من عند الله .



للأستاذ حلمي محمد القاعود

ان المتحاملين على الاسلام ينظرون اليه نظرة أنانية تنبع من خلال مصالحهم الشخصية ومستقبلهم الفردي انهم يذكرون على انه حال بأولئك النفر من قريش الذين حاربوا الاسلام في اول عهده معتقدين انه يسب آلهتهم ويشتم أصنامهم ويسفه أحلامهم الوردية في التسلط والزعامة والديكتاتورية والطاغوت وحين سئلوا عن سر تمسكهم بتلك المظاهر التافهة والنظم العفنة قالوا : « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » (1) وحينما يسألون عن سر التمسك بشيء لا يفيد في حين أن ما جاء به محمد أكثر فائدة واتزانا مع الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية كانت اجابتهم نوعا من المكابرة والحمق الممقوت قال : او لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » (2) .

وقد تعثر على نماذج أكثر سخفا وتفاهة وسطحية حين يسألون عن سر اعتمادهم على الاصنام والاوثان ، وهي من حجر وخشب لا يسمع ولا يبصر او اولياء من لحم ودم لا يملكون لانفسهم خيرا ولا نفعا ، فيقولون : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (3) أما النماذج المعاصرة فهي لا تقل عن هؤلاء سخفا وتفاهة وسطحية بحال من الاحوال وإن تمسحوا في العلم والايديولوجيات والنظريات الفلسفية والتربوية الناقصة

وان السمة المميزة لهؤلاء المعاصرين للفكرة الاسلامية في بلاد الاسلام انهم تشبعوا بأفكار غريبة عن البيئة التي ولدوا ونشأوا فيها ، وهم متعصبون لدرجة الحمق ، وسرعان ما نجدهم يغرقون في انفصام غريب بين ذواتهم وبين مجتمعاتهم ؟ ولا تعليل لهذه الشيزوفرانيا سوى سيادة الروح الانانية وانغماس اصحابها في نرجسية لا تهتم بسواها ، ولا تعبأ بما يقال خارج اطارها الفكري ، وان تصادمت خارج هذا الاطار مع أفكار أخرى كانت محنتها في المكابرة والاصرار الاعمى على ما وعته ذاكرتها من فكر متخلف وسلوك قاصر .

ان الاسلام لم يفرض ذاته على احد ، « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (4) . وانطلاقا من هذه المقولة اتاح الاسلام للعقل البشري داخل الانسان ان يؤدي واجبه على الوجه الاكمل في حمل الامانة ومواصلة الطريق نحو الرقي والتطور الحضاري الذي يسعد ويدعم الجماعة البشرية ، ويعطيها الامل في سلم دائم لا تعكره الشهوات التدميرية ولا الرغبات الشيطانية الجامحة .

---

1) الزخرف الآية 23 .
2) الزخرف الآية 24 .
3) الزمر الآية 3 .
4) البقرة 256 .

وكانت النظرة الاسلامية للعقل فى قمة التحضر والتمدين حين طلبت منه اكثر من أن ينظر فى ملكوت السموات والارض ، ويفكر ، ويتأمل ، ويأخذ العظة والعبرة ، ويحاول لو استطاع أن يخترق اجواء الفضاء وينفذ من اقطار السموات والارض . « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السماوات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » (5) ، وقبل ذلك طلب منه ان يحترم ذاته ، ويمارس دوره فى فهم ما يجرى حوله « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (6) .

من ثم نرى الاسلام لم يضع اي عقبة من العقبات فى سبيل التطور الحضاري والرقى المادي . انه دعا الى ذلك بكل مرارة وقوة على اساس من اليقين الذي يصل الى الايمان الكامل لا تشوبه شائبة ولا شك من الشكوك . ولكن الناظر الى واقعنا التعس وتخلفنا المادي ركب التكنولوجيا المعاصرة يجب أن يرجع الى تخلف روحى مقيت ، أهمل العقيدة ، واندماج مع التيارات الفوضوية والكسولة بفعل عوامل مختلفة نشأ عنها تخلف فى كل الميادين ، وان كان الواقع يقول اننا الامة الاستعمارية الوحيدة التى ينعقد عليها الامل فى انقاذ العالم من الوثنية الغربية والماركسية الشرقية والشوفينية اليهودية وغيرها .

ان الدين الاسلامى لم يكن بحال من الاحوال عقبة فى سبيل تطورنا الحضاري حين شرع الطلاق وأباح تعدد الزوجات وقسم المواريث بالقسطاس بين المستحقين . ان مشروعيته للطلاق كانت جانبا مضيئا من جوانب هذا الدين رغم انه أعلن سلفا ان الطلاق ابغض الحلال الى الله . ولن نستطرد طويلا فى بيان ذلك ، اذ ان الاحداث المعاصرة بوقعها الهائل قد اثبتت أن الاسلام كان على صواب حين شرع الطلاق ولم يحرمه كما فعلت بعض الاديان الاخرى التى تفرض أن يعيش رجل مع أنثى أبد الدهر حتى ولو لم يتوافقا مزاجا وروحا وطبيعة ! ان هذه المحنة « تحريم الطلاق » قد ادت الى كثير من العنت والتمزق فى الاسر الاوربية التى تدين بالكاثوليكية . تصور مثلا : اثنان يعيشان فى غرفة واحدة لا تتلاقى نظراتهما ولا اجسادهما ولا قلبهما ؟ لابد اذن أن يفكر كل منهما فى رفيق آخر « غير مشروع » يقضى معه بعض عمره الباقى مهما كان ذلك عبئا على ضميره وايمانه ، لانه مقيد ومربوط بحكم قاس لا مبرر لـه .

ولننظر الى ما حدث فى ايطاليا يوم صوت الشعب الايطالى على قانون اباحة الطلاق ضد رغبة المتزمتين والمختلفين عن الفطرة الانسانية ، وهو القانون الذي هز كل مخيمات الغرب ، كتبت مجلة « نيوزويك الامريكية » تصف ابتهاج شباب ايطاليا بانتصار الطلاق « لقد اذهلت نتيجة الاستفتاء السياسيين كما اطلقت موجة من الابتهاج فعلى درجات السلم الاسبانى فى روما كان الشبان المبتهجون يوقفون السائحين ويقولون بفـرح :

ـ اننا نستطيع ان نطلق مثلكم

ولقد بلغ التأثر بالاديب الايطالى «البرتو مورافيا» حدا دفعه أن يعبر عن نتيجة الاستفتاء قائلا :

ـ « انه نصر لكل شيء حر وسعيد وصحى وعقلى ضد كل شيء جبان ومريض ومجنون وغامض » (7) .

ان بعض الذين عاشوا على فتات الثقافة الغربية يصيحون فى مصر والعالم الاسلامى بأن الطلاق شرعة رجعية ومتخلفة ولا تتوافق مع ايقاع العصر ، ولا تنسجم مع عجلة التطور ، فضلا عن وقوفها عقبة فى سبيل تحضرنا ! واذا كانت ايطاليا قلعة الكاثوليكية فى القرن العشرين قد هزت الطلاق وأباحته ؟ اما أولى بنا ـ ونحن أصحاب الدين الذي توافق مع الفطرة منذ نشوئه ـ ان نتأمل قليلا شريعة الاسلام ولا نصدر احكامنا الجزافية المشرعة عليها ؟ ان الاسلام لا يرضى بالطغيان ولا بالطاغوت . ولذا ، فان معيشة ذكر وانثى معا رغم انفهما فيه من الطغيان والطاغوت ما لا يقره أحد فضلا عن الاسلام ، وقد سن لنا الاسلام الحكيم مبدأ متقدما منذ اربعة عشر قرنا حين قدم لنا هذه الصورة المشرقة العادلة ، حين طلب التحكيم بين

---

5) الرحمن الآيـة 33

6) آل عمـران الآيتـان 190 ـ 191

7) نقلا عن الاعتصام ـ القاهرة ـ عدد رمضان 1394 هـ .

الزوجين المتنازعين « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا » (8). ثم، لنر سماحة هذا السلوك الاسلامى الرفيع « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (9) ، وعلى اتساع الآيات القرآنية نستطيع أن نلمس هذا النمط الراقى من التفكير الاسلامى فى رفع الغبن عن كل الاطراف ، وتحقيق العدالة للجميع مستشهدا بالفطرة الانسانية واشباعها اشباعا سليما ومتزنا ومستتبا .

بعدئذ نتساءل هل الطلاق فى الشريعة الاسلامية عقبة فى سبيل تطورنا الحضاري ؟ لعلى قد استطعت الاجابة ؟

— 5 —

لنقف قليلا أمام ما يثار حول تعدد الزوجات من كونه علامة على التأخر والتخلف والتدهور . واورد ان أوضح سلفا ان طبيعة العصر وسيادة النزعة الانتهازية فى مجتمعاتنا تجعل من الصعب على المرء — ولو كان غنيا — ان يعدد زوجاته بسهولة . فنحن امام ظاهرة المغالاة الفاحشة فى المهور ، وازمة المساكن ، وتأصل العادات والتقاليد السيئة فى اذهان الكثيرين يصرون على الاهتمام بالمظاهر والسطحيات، وهذه الظاهرة اصبحت تتسبب فى تأخير الزواج بين الشبان الى سن تكاد تصل ببعضهم الى الزواج فى مرحلة الكهولة ومن يدري فربما تؤخرهم حتى الشيخوخة .

هذا من ناحية ، اما الاخرى فان انتشار الوعى والتعليم واجهزة الاعلام جعلت من ظاهرة تعدد الزوجات مسالة لا تكاد تذكر باي اهتمام فى المجتمع ، لانها منتشرة بين عدد ضئيل جدا اذا قارناه بنسبة السكان .

اذا فان اعتبار هذه الظاهرة مظهر للتاخر الحضاري او عقبة فى سبيل التطور يصبح عبثا وجهلا بالوقائع الاجتماعية وظواهر المجتمع .

أما ظاهرة التعدد فى ذاتها ، فانها تعبر عن اسلوب الشريعة فى معالجة مطالب الانسان معالجة تتفق مع فطرته ، كما اسلفنا فى اكثر من موضع، اذ ان الاسلام يجعل لبعض الناس الذين تحتم عليهم الضرورة الانسانية البناء بزوجة اخرى او اكثر ، الحق فى هذا مع اشتراط العدل بين الزوجات ، واذا تعذر العدل فلا . قال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ، ذلك أدنى الا تعولوا » (10) .

ولنفترض ان رجلا ما تفرض عليه طبيعته الانسانية ان يسكن الى زوجة اخرى ثم حرمنا عليه هذا مع استطاعته العدل ، ماذا ستكون النتيجة ؟ ان النتيجة بالضرورة ستكون بناء بزوجات اخريات ، ولكنهن للاسف زوجات غير شرعيات ، وحينئذ تكون قد كسرنا رتبة النظام الاجتماعى السليم ، واضطررنا للفوضى رغم انفنا ، ويصبح من المحتم علينا أن نقوم بثورة لتصحيح هذه الاوضاع المطلوبة التى تتعارض مع الفطرة الانسانية كما فعل الايطاليون مع مشروع اباحة الطلاق .

وثمة حالات يمر بها المجتمع تفرض عليه ان يتكفل ويتضامن ويضمد جراحه بنفسه ، ولو نظرنا مثلا الى حالة الحرب وما يتخلف عنها من استشهاد العديد من الرجالات يتركون وراءهم زوجات فى نضارة

---

8) النساء الآية 35

9) البقرة الآية 231

10) النساء الآية 3 — وسوف انقل هنا ما ورد فى كتاب الاستاذ وحيد الدين خان — الاسلام يتحدى يقول عن كثرة احصائية للامم المتحدة عام 1959 اثبتت أن العالم يواجه الان مشكلة الحرام اكثر من الحلال ، شأن المواليد ، وجاء فى هذه الاحصائية ان نسبة الاطفال غير الشرعيين قد ارتفعت الى ستين فى المائة . واما فى بعض البلاد ، وعلى سبيل المثال « بناما » فقد جاءت هذه النسبة الخمسة والسبعين فى المائة ، اي أن ثلاثة عن طريق الحرام من كل أربعة مواليد ! وارتفع نسبة لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين فى أمريكا اللاتينية ، وتثبت هذه النشرة ايضا ان نسبة الاطفال غير الشرعيين تصل الى العدم فى البلدان الاسلامية ، ان نسبة هؤلاء الاطفال أقل من واحد بالمائة فى جمهورية مصر العربية مع انها أكثر البلاد الاسلامية تأثرا بالحضارة الغربية ويقول محرر النشرة ان البلاد الاسلامية محفوظة من هذا الوباء لانها تتبع نظام تعدد الزوجات راجع ص 148 — 149 .

العمر ! ان الاسلام الحنيف يهيب بنا أن نتقدم لنضـم هؤلاء الزوجات الحزينات على فقد عوائلهن ، ويعوضهن لوعة الخسارة التى لحقت بهن . وهذا بالطبع أفضـل كثيرا من تركهن يهددن حياتهن بطرق غير مشروعـة تتنافى مع الانضباط الاجتماعى والاتزان الخلقى خاصة وانهن فى ذلك الحين يتمتعون بالكثير من الشبـاب والحيوية والرغبة الصاخبة .

أليس من الافضل اتباع ما جاء فى شريعتنـا ودراسته بعمق وحكمة واتزان ؟

— 6

ما يقال عن المواريث يجب أن يفهم على أساس أن الشريعة الاسلامية اناطت بالمسلمين اقامة العدل فى أرض الله ، وان تسود فيما بينهم شريعة العدل . والميراث كما أوضحته الشريعة الاسلامية كفل هـذا العدل بين الوارث والموروث ، وبين الورثة انفسهم فأعطى كل وارث ما يستحق بقدر صلتـه بالموروث وقرابته له ، وبقدر تكليفه وواجباته ازاء الآخرين . فاذا جاء من يقول لنا ان المرأة تتساوى بالرجل فـى كل شيء حتى الميراث ، فاننا نقول له ، وهل حقـا تتساوى المرأة بالرجل تماما ؟ ان التساوي لا يكون الا فى الاشياء المتماثلة برجل = رجل ، امرأة = امرأة لان خصائص الرجل وطبيعته تختلف عن خصائص المرأة وطبيعتها . والذي نفهمه أن هناك علاقة تكامل بينهما ، اذ لا يمكن اعمار الكون بأحد الطرفين دون الآخر ، لو افترضنا ضرورة المساواة بينهمـا فكل منهما له واجبه الذي يؤديه ويشارك به مع الآخر فى بناء المجتمع . لان أيا منهما لا يستطيع أن يستغنى عن رفيقه والانفراد وحده . حينئذ اي عند الاستغناء والانفراد — ستتغير الطبيعة وتذبل الرغبة الحيوية ، وتضحى الحيـاة غير الحياة ، والاحياء غير الاحيـاء .

وقد اقتضت علاقة التكامل هذه أن ترمى علـى كاهل الرجل بالعمل المنتج المربح والانفاق على المرأة ومن ثم فان حصول المرأة على نصف ما يأخذه الرجل أو اقل منه أو اكثر انما هو لطبيعة العلاقة الانسانية بينهمـا .

« تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلـك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين » (11) .

واود هنا أن اقتبس بعض ما قاله الدكتور على عبد الواحد وافى فى هذا الشأن :

« ولا يفرق الاسلام بين الرجل والمرأة الا حيث تدعو الى هذه التفرقة كل من الجنسين وما يصلـح له أو حيث تدعو الى هذه التفرقة مراعاة الصالـح العام وصالح الاسرة وصالح المرأة نفسها ، واليكـم مثلا تفرقة الاسلام بين الرجل والمرأة فى الميراث اذ يقرر ان المرأة لها فى معظم الاحوال نصف نصيب الرجـل المساوي لها فى القرابة ، فقد بنيت هذه التفرقـة على أساس اقتصادي سليم ، بنيت على أسـاس التفرقة بين اعباء الرجل واعباء المرأة وذلك ان مسؤولية الرجل فى الحياة أوسع كثيرا من مسؤولية المرأة واعباؤه فيها اشق واثقل كثيرا من اعباء المرأة ، فالرجل هو رب الاسرة ، وهو القوام عليها والمكلف بالانفاق على جميع افرادها ، على حين ان المرأة لا يكلفها الاسلام حق الانفاق على جميع افرادها ، على حين ان المرأة لا يكلفها الاسلام حق الانفاق على نفسها ، فنفقتهـا واجبة على ابيها أو ولي امرها ما دامت غير متزوجـة ونفقتها ونفقة بيتها واولادها واجبة على زوجها بعد زواجها ، لا فرق فى ذلك بين أن تكون موسرة أو معسرة فاقتضت العدالة اذن أن يكون نصيب الرجل من الميراث اكبر من نصيب المرأة حتى يكون فى ذلك ما يعينـه على القيام بهذه الاعباء الثقيلة التى وضعها الاسـلام على كاهله واعفى المرأة رحمة بها وحدبا عليها وحفاظا على سعادة الاسرة بل ان الاسلام قد بالغ فى رعايته للمرأة اذ قرر لها نصف نصيب نظيرها من الرجال فى الميراث مع اعفائه اياها من جميع الاعباء ووضعها على كاهل الرجل (12) .

الا ان الاسلام بالقياس الى غيره من الديانات أو الشرائع أو الفلسفات قد أعطى للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ، ونستطيع ان ندرك الفارق لو سمعناهم فى الزمن القديم يتكلمون عـن المرأة كأنها نجـس أو شيطان أو مخلوق لا يستحق التعليم أو الاطلاع على المعرفة أو المشاركة فى الرأي والعمل خارج البيـت ،

---

(11) النسـاء الآيتـان 13 ، 14 .

(12) محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكـر الاسلامى فى الجزائر ، جمادى الثانية 1390 هـ ص 35 .

ولن نستغرب الان ما تدعو اليه بعضهن فى الولايات المتحدة من دعوة للحياة كالمراة الشرقية (يقصدن المراة الاسلامية) .

اذن فهل يوصم الاسلام بانه عقبة فى سبيل التطور لانه اعطى المراة نصف الرجل فى الميراث ؟ انى ارجو الباحثين المتأثرين بثقافة اوربا ان يتمهلوا حين يدرسون الاسلام ويفهمون احكامه ، وسوف يتضح لهم سلامة المنهج ووضوحه .

— 7 —

لا يمكن للمرء ان يجيب فى هذا المجال الضيق عن كل التساؤلات التى يطرحها البعض امعانا فى كراهية الاسلام واسمه ومكابرة فى القراءة والفهم لاصوله واحكامه فضلا عن منهجه ولكننا نود ان نشاركهم الراي فى اننا بحاجة الى ثورة من اجل الدين وليست ثورة كما يعتقدون ، اذ ان البون بينها شاسع ، للغاية ، فالثورة من اجل الدين تعنى ان هذا الدين قد انتهكت حرماته ، واعتدى على حدوده العالية، واحتلت بعض المناطق او معظم المناطق داخله من قوى خارجة عليه ، ومتربصة به ، اما الثورة الدينية فتعنى ان الدين ذاته يجب ان يتغير ويستبدل بما يصلح بديلا عنه ليرضى الطبيعة الانسانية ، والظروف الاجتماعية التى تفرض على الثائرين القيام بثورتهم والتضحية فى سبيلها ، واعتقد اننا لسنا بحاجة الى هذه الثورة ، لان طبيعة الاسلام كما اسلفنا قد تواءمت الى درجة مدهشة مع طبيعة الانسان وفطرته الحية . لم تتعارض معها قط ولم تغرر بها ، اذ انها اقامت من ذاتها سياجا يحمى الفطرة والطبيعة معا ؟ وكل ما يخالف ذلك فليس من الاسلام الاصلى بشىء ، ونقول الاسلام الاصلى الذي يعتمد على الكتاب والسنة المطهرة فقد دخلت الى الاسلام كثير من مظاهر التزيف والتزوير والترخيص فى مهمة والغباء فى فهمه ايضا والتفسير لصالح الحكام واغراضهم الشخصية . الخ . كل هذا يتنافى مع الفكرة الاسلامية فى جوهرها الاصيل .

ان الثورة الدينية التى قام بها مارتن لوثر « زعيم البروتستانية المحدثة ، كانت نتيجة لتصور شديد فى المذهب الكاثوليكى ، وقد استطاع ان يقود ثورة للتحرر من مبادىء هذا المذهب وتعقيداته وتفسيراته وراح يقود الجماهير التى تلظت بالمعاناة الروحية من اجل الانطلاق والانعتاق من اسر الجمود والخرافات التى لا تستقيم مع الفطرة والطبيعة البشرية . . وقد تمضى عن ثورته هذه ما عرف بالمذهب « البروتستانتى » . . ولكن أيا كانت نتائج هذه الثورة ، فان احدا لا يستطيع ان يقول قد حققت طموحات الانسان الاوربى فى الاستقرار النفسى والاطمئنان الروحى ، فما زال الانجليز غارقين فى نوع جديد من الوثنية : يستعبدهم راس المال والقيم المادية ، ويفتقدون العلاقات والحمية والاتزان الاجتماعى والسياسى .

فهل يفكر بعضنا فى القيام بثورة تشبه هذه الثورة ؟

ان اي عاقل لا يفكر فى هذا الموضوع اطلاقا ، ولكنه يتجه بتفكيره الى واقع هذا الدين الاسلامى ، بالعمق وبالعرض الى ما كان وما سيكون فضلا عما هو كائن .

لقد كان مسلمو العصر الاول . او الطليعة الاسلامية — يملكون ذواتهم فقط ، وبهذه الذوات المؤمنة المتمكنة استطاعوا ان يذهلوا القوتين العظيمين حينئذ — فارس وروما — وينتشرون الى الافاق يجوبونها فاتحين وهادين ومرشدين ، ومخلصين الشعوب من نير العبودية واغلال القهر والمهانة والذلة ولكنهم — يا للهول — تراجعوا وانكسروا ، ودالت دولتهم واصبحوا مجموعة من الدول لا حول ولا طول ، يطأ ارضها الغريب ، ويحتل اوطانها الاجنبى . .

فهى على فرقتها ما زالت ، وعلى تباين اتجاهاتها وسياساتها لم تزل — وعلى تخاذل معظمها وتقاعسها عن نصرة الحق والجهاد لا تريم .

ان اي مسلم يشعر بالفخار والعزة يوم يتحرك المسلمون بامكانياتهم وقدراتهم ومواهبهم المحتملة ، فى ركب التطور العالمى والانسانى ، بل وقيادة هذا التطور والسيرية قدما الى الامام باستمرار .

ان بعض الدول الاسلامية التى تتحرك بمبادرات فردية فى ميدان الفكرة الاسلامية دعما وتوجيها وكفاحا لتستحق كل تقدير واعزاز ، ولكن هل نتركها وحدها ونحن نقارب من نصف سكان العالم ونحتل مناطقه الاستراتيجية ؟ الاجابة بالطبع لا . بل انها تفرض علينا ان نتحرك ، وبمزيد من اليقظة والوعى حتى نحقق ما نصبوا اليه ، ونعوض ما فاتنا وذهب منا .

ولن يكون ذلك الا بالبحث عن سبب هذا البلاء الذي نعيشه ، والمحنة التى نحياها ، وفى اعتقادي ان هذا يجب ان يتشكل على صورة حركة تثور من اجل

الدين واجلاء الدخلاء على ارضه ، وتطهير ساحته من المعتدين .

— 8 —

ان الواقع الدينى الراهن يثبت ما يلى :

أ — تراجع الدين الاسلامى الى مؤخرة الاهتمامات الحكومية فى البلاد الاسلامية باستثناء عدد قليل من هذه الحكومات ، يعتمد الدين فى كل اهتماماته وسلوكه .

ب — ان الفهم الدينى على امتداد الساحة الجماهيرية غير واصل الى اللباب . وان اغلب ما تفهمه الجماهير المسلمة واكثرها الاعم هو القشور نقط مختلطة ببعض الخرافات والاسرائيليات والتفسيرات الساذجة للدين .

ج — ان معظم القائمين على امر الدعوة الاسلامية والارشاد الاسلامى غير مؤهلين فكريا وعلميا وسلوكيا لشرف هذا الامر وخطورته .

د — ان التعليم فى كثير من المجتمعات الاسلامية اصبح لا يلقى بالا للتعليم الشرعى باعتباره — فى عرفهم — اصبح نمطا لا يؤهل لحياة معاشية كريمة ولرزق يتساوى او يتناظر مع ما يحققه اي نوع آخر من التعليم ، فضلا عن تأثر سياسة بعض الدول الاسلامية بضغوط اجنبية تضع فى اهتمامها الاول محو اثر الدين الاسلامى ، وترحيله من ذاكرة المسلم حتى يصبح مسلما بالاسم فقط وليس بالوجدان تمهيدا لغزو فكري يطيح بكل ما تبقى من آثار ولو شكلية .

ومن ثم فاننا نري كثيرا من وزارات التعليم تهمل تعليم الدين اهمالا شديدا حتى يصل الامر الى فرض منهج ما كنوع من ذر الرماد فى العيون .

والواقع الراهن للدين الاسلامى يغص بهذه الحقائق وغيرها . اذا ما العمل لكى نغيرها الى الوضع الافضل الذي ينحو بالمسلمين الى الحركة الايجابية من اجل مستقبل اكثر اشراقا وبهجة ؟ الحق ان هذا الامر منوط بالحكومات الاسلامية ، خاصة بعد ان اصبحت انفاسها ، وبدات تاخذ زمام البادرة لتقف وقفة واحدة شهد بها الكل امام يهود القوى الاجرامية العالمية لقد اثبت المقاتل المسلم وهو يهتف باسم (الله اكبر) انه يستطيع ان يحرز كثيرا من النجاحات لو توفرت له الوسائل . واثبتت الثروة الاسلامية دورها فى وقف الاجرام العالمى عند حدوده وفرض التفكير عليه فى مستقبل هذه القوة الجديدة التى بدات تثبت وجودها بعد طول سبات عميق ، كما ان مؤتمر لاهور (13) الذي اجتمع فيه قادة العالم الاسلامى وتنبيهه الى خطر تصرفاته الحمقاء ازاء القوة الاسلامية .

بيد اننا للاسف لا نستطيع ان نتيقن تماما من تجاوب الحكومات المعينة فى مثل هذه المسالة ، اذ ان بعضها ما زال محكوما بضغوط كثيرة ومتعددة ، ومع ذلك فلا مندوحة من القول بأن الجماعات الاسلامية المستنيرة يقع عليها عبء الالحاح المستمر والتنبيه الدائم ، والاذان فى كل وقت لدعم الفكرة الاسلامية من قبل الحكومات والهيئات وتنشئة دعاة اكفاء يستطيعون اداء دورهم باقتدار ، وتعديل مناهج التعليم بما يزرع الناشئة والشبيبة مفاهيم صحيحة وقوية وثرة للاسلام كما ان انعقاد المؤتمرات الاسلامية واللقاءات المستمرة للبحث فى الشؤون الاسلامية عامل هام فى اثارة القضايا الملحة التى تبلور صورة الفكر الاسلامى الصحيحة وتزيل كثيرا من الشوائب التى علقت بها وترسبت فوقها .

---

(13) انعقد المؤتمر فى مدينة لاهور بالباكستان فى المحرم 1394 هـ ، — فبراير 1974 م

حديث خرافة

في ميزان النقد الحديثي

للاستاذ فاروق حمادة

قال الامام احمد في مسنده 6 ـ 157 : حدثنا ابو النضر ، ثنا ابو عقيل ـ يعني الثقفي ـ ثنا مجالد ابن سعيد عن عامر عن مسروق عن عائشة ، قالت: حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا ، فقالت : امرأة منهن : يا رسول الله ، كان الحديث حديث خرافة ، (اي مستملحا) فقال : اتدرون ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلا من عذرة ، اسرته الجن في الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا طويلا ، ثم ردوه الى الانس ، فكان يحدث الناس بما راى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة .

قال عبد الله بن الامام احمد : قال ابي : ابو عقيل هذا ثقة ، اسمه عبد الله بن عقيل .

واخرجه الترمذي في الشمائل ـ باب السمر ـ قال : حدثنا الحسن بن صباح البزار ، حدثنا ابو النضر ، حدثنا ابو عقيل الثقفي ، (عبد الله بن عقيل) عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه . . . الحديث

1 ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول الا حقا في جميع احواله ، رضاه وغضبه ، قد اخبرنا عن كثير من احوال الامم الغابرة والقرون الخالية ، بما لم يصلنا في كتاب ولا تاريخ ، ولم ينقل عن طريق سوى طريق النبوة الذي قال الله تبارك وتعالى عنه : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » فقد حدث الناس عن بدء الخلق ، وعن آدم وحواء ، وعن كثير من الانبياء واممهم بما هو مخرج في الصحاح والسنن والمسانيد ، ولا يتسع المجال لذكره ، وهو كثير متواتر .

فاذا صح السند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق بشهادة الله تبارك وتعالى « ولوتقول علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين »

وكما قال عليه الصلاة والسلام : لا اقول الا حقا ، فقال له بعض اصحابه : فانك تداعبنا يارسول الله ؟

قال : اني وان داعبتكم لا اقول الا حقا ، اخرجه احمد في مسنده والترمذي في جامعه من حديث ابي هريرة ، وهذا امر اعتقد انه محل اتفاق بين علماء المسلمين .

2 ـ فهل حديث خرافة من الباب ؟

هناك امر من الانصاف العلمي وضعه في حسابنا ، الا وهو ان كثيرا من المفاهيم التي كان لها اصل عند العرب صحيح ، ثم شوهت مع مرور الزمان وتوالي الايام، فتغير فيها وجه الحقيقة قد جاء الاسلام بمصدريه الاساسيين (القرآن والسنة) ليكشف الحقيقة مجلوة عن اصل ذلك ، ويرد الامر الى نصابه وهذا من ايجابية الاسلام في تحرير الانسان من الاوهام والاساطير .

وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم عن اول من حرف العرب عن الحنيفية السمحاء وطريقة ابراهيم الغراء ، اذ قال عنه فيما اخرجه احمد والشيخان : رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه (امعاءه) في النار ، وكان اول من سيب السوائب ، وبحر البحيرة وفي رواية اخرى لسلم ، رايت عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندف اخا بني كعب ، وهو يجر قصبه في النار ، وامثال هذا كثير ، ومنه حديث خرافة الذي بين ايدينا فهل اسناده صحيح لنبني اطمئنانا عن صحة هذا الخبر ؟ !

3 ـ اما اسناد احمد فقال: حدثنا ابو النضر ، وهو هاشم بن القاسم الليثي ، ابو النضر الخراساني ، قصير الحافظ اخرج له الستة ، اي جاوز القنطرة باخراج الشيخين له ، وقد وثقه العجلي ، فقال : ثقة صاحب سنة ، وكان اهل بغداذ يفتخرون به ، وروى عنه

احمد واسحق ، ويحيى ، وابن المديني وهم من اجلة المحدثين .

حدثنا ابو عقيل ـ يعني الثقفي ـ وهو عبد الله بن عقيل الكوفي نزيل بغداد ، وثقه احمد كما رايت بعد رواية الحديث هذا ، ووثقه النسائي وغيرهما ، واخرج حديثه اصحاب السنن الاربعة . حدثنا مجالد بن سعيد : بن عمير الهمذاني الكوفي ، احد الاعيان ، روى عن الشعبي وابي الوداك وطائفة وروى عنه الثوري وابن المبارك وخلق ، وقد اختلف متقدمو علماء الجرح والتعديل في مجالد واليك بيانها مع تمحيصها .

قال ابن معين : مجالد ضعيف واهي الحديث ، وقال عبد الرحمان بن مهدي : حديث مجالد عند الاحداث ليس بشيء ـ يعني انه تغير باخرة ـ ويحيى بن سعيد القطان يقول في نفسي منه شيء ، وابو حاتم الرازي يقول : ليس بقوى الحديث ، وقال ايضا : لا يحتج بحديثه وهو احب الى من بشر بن حرب وابي هارون العبدي ، وشهر بن حوشب . وهذه اراء اكثر الذين جرحوا مجالد ان لم نقل كلها .

اما تجريح ابن معين ويحيى بن سعيد القطان وابن معين من المتشددين فقد رده عليه الحافظ الامام ابو بكر بن ابي خيثمة وجاها وانكر على ابن معين قوله هذا ونقل ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل ذلك ج 4 ـ 1 ـ 360 فقال : ابوبكر بن ابي خيثمة ـ فيما كتب الى ـ قال : سمعت يحيي بن معين يقول : مجالد ضعيف واهي الحديث ، قال ابوبكر : قلت ليحي بن معين كان يحيى بن سعيد القطان يقول لو أردت أن يرفع لي مجالد حديثه كله رفعه ، قال نعم ، قلت : ولم يرفع حديثه ! قال : لضعفه ! !

فابن ابي خيثمة احتج على ابن معين وابن القطان بانه لو كان كما زعمتما لفعل . وقد نقل عن ابن معين ذاته انه قال مرة صالح ، كما ان النسائي قال عنه مرة ليس بالقوي ، ومرة قال : ثقة (1) مما يجعلنا نسلك اقوالهم في التضعيف مسلك النسبية (اي انه ضعيف بالنسبة لفلان او اذا قرن بفلان) وهذا مسلك معروف وطريق واضحة عند اهل الجرح والتعديل وتجدها واضحة في كتبهم . (2)

وابو حاتم الرازي ـ وهو متشدد كذلك في الجرح ـ لم يجعله في الطبقة الاولى في الحجية ، ولم ينزله الى درجة الضعف بل قال : هو احب الى من بشر بن حرب ، وابي هارون العبدي ، وشهر بن حوشب . . . وليس مجالد بقوى الحديث (3)

وهؤلاء الذين قرنهم به وفضله عليهم قد وثقوا واخرج لهم الائمة ، فبشر بن حرب اخرج له النسائي في سننه (وهو صاحب المسالك الدقيقة في انتقاء الرجال) وقد قيل : ان شرطه اشد من شرط الشيخين وروي عنه شعبة والحمادان : ، وقال ابن عدى : لا اعرف له حديثا منكرا .

وشهر بن حوشب ، وان كان فيه مقال ، فقد وثقه ابن معين واحمد ، وابو زرعة ، ويعقوب بن سفيان ، واخرج حديثه مسلم والاربعة ، وغيرهم .

فهل قول ابي حاتم لا يحتج بحديثه ، . . ليس بقوى الحديث اتهام وانكار يوصله الى درجة الرواة الواهين ؟ !

واما قول ابن مهدي : حديثه عند الاحداث ليس بشيء فان الراوي عنه لهذا الحديث عبد الله بن عقيل الكوفي وابرز شيوخه مجالد ، وهشام بن عروة ، وما رايت احدا ضعفه في مجالد او اشار الى اخذه ، عنه حال الكبر والتغير ، فقضية الاختلاط منتفية عن عبد الله بن عقيل .

ولنتساءل هل اتهمه احد بالوضع ؟ اننا نقول بكل تاكيد لا ، لم يتهمه احد بذلك ، وبعد تعرية هذه المطاعن التي وجهت اليه لننظر الذين عدلوا ، فنجد ان البخاري يقول : صدوق (4) وقال عنه النسائي ثقة ، وقال احمد بعد ان اشار الى ما تقدم : احتمله الناس ، وقد روى عنه كبار الائمة المحدثين امثال الثوري ، وابن المبارك ، وشعبة وحماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وحفص بن غياث ، وبعضهم لا يروى الا عن ثقة ! ! وناهيك رواية يحيي بن سعيد القطان عنه ، كما ان ابن مهدي قد حدث عن رجل عنه (5) فان كان يحيى القطان يعرف مغمزا فيه لغمزه وفيه يقول شعبة مخاطبا له : ومن يطيق مثل نقدك يا احول .

وخلق غيرهم ، وقد اخرج حديثه في دواوين الاسلام وفي مقدمتها : صحيح مسلم ـ وان كان مقرونا ـ والسنن الاربعة وغيرها .

---

(1) انظر شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب الحنبلي ص 126

(2) والدلالة عن صحة ما نذهب اليه استعرض الاقوال خصوصا راي ابن مهدي في تهذيب التهذيب 10 ـ 40

(3) انظر الجرح والتعديل ص 4 ـ 1 ـ 361

(4) انظر الاعلام : 6 ـ 161

(5) كما وثقه يعقوب بن سفيان اذ قال : تكلم فيه الناس هو صدوق ، وانظر تهذيب التهذيب 10 ـ 40

وبعد هذا نقول ان الحافظ الذهبي ، وهو من اهل الاستقصاء التام ، وحجة في علم الرجال ، يقول في جزء الدينار من احاديث المشايخ الكبار ان حديثه حسن ، وهو القول الفصل الذي نرتضيه ونعتمد عليه وكما لا يخفى عن اهل هذه الصنعة ان الضعف درجات ، كما ان العدالة درجات فليس هو من الدرجة الاولى في العدالة وذلك من ناحية الحفظ والضبط ، لا من ناحية الديانة والثقة . وبعد تبيان ما تقدم :

وروى هذا الحديث عن الشعبي ، : عامر بن شراحيل ، الامام العلم علامة التابعين والذي روى عن عدد من الصحابة ، ويقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ، وكان يستفتى والصحابة متوافرون ، رواه عن :

مسروق بن الاجدع الهمذاني الامام القدوة صلى خلف ابي بكر وروى عنه وعن عمر وغيرهما من اعيان الصحابة وكما قال ابن معين : لا يسأل عن مثله .

رواه عن عائشة ام المؤمنين الصديقة بنت الصديق . ولا يطعن فيها الا مبتدع او ضال او زنديق

4 — اما اسناد الترمذي فرواه عن شيخه الحسن بن الصباح البزار عن ابي النضر . . كاحمد . والحسين بن الصباح هو ابو علي الواسطي ، ثم البغدادي احد اعلام السنة ، وثقة احمد وغيره ، وروى عنه البخاري وابو داوود ، والترمذي والنسائي .

5 — وبعد هذا نقول : ان احدا لم يعد هذا الحديث في الموضوعات حتى ان علي القاري وله كتاب ضخم في الموضوعات بل اكثر من كتاب قد شرحه في الشمائل ولم يعلق على اسناده بأدنى كلمة تضيف الحديث .

ومنهم الفيروز آبادي صاحب القاموس : عندما ذكره في القاموس ذكره بصيغة التقرير فقال : رجل من عذرة استهوته الجن . . .

وقد تناقل هذا الخبر الى جانب المحدثين الادباء القدامى ، في مصنفاتهم ، وهو معروف مشهور وبحضرني منهم الآن الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في معرفة المضاف والمنسوب)

والميداني المتوفى ، 518 هجرية (وهو ممن سمع الحديث ورواه) في كتابه مجمع الامثال رقم المثل (1028) فقال هو رجل من عذرة استهوته الجن — كما تزعم العرب — مدة ، ثم لما رجع اخبر بما راى منهم فكذبوه حتى قالوا : لما لا يمكن حديث خرافة ،

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : خرافة حق ، يعني ما تحدث به عن الجن حق » .

ومنهم : الاصفهاني في محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،

ومن المتاخرين كذلك ذكره العلامة المحقق عبد الحي الكتاني ، في التراتيب الادارية ولم يعمزه 2 — 352

6 — واذا نظرنا الى معناه فليس فيه ما ينكر او يخالف المعقول او المنقول او يناقض الاصول ، فلهذا لا يلتفت الى من طعن في هذا الحديث ، لا سيما وانه لم يات بحجة معتبرة .

7 — وقد اورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ ، رحم الله خرافة انه كان رجلا صالحا ، وعزاه للمفضل الضبي في الامثا لمن حديث عائشة ، وتمامه كما ساقه المناوي : ذكر اسماعيل بن ابان عن زياد البكالي عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه القاسم بن عبد الرحمن قال سألت يعني عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن حديث خرافة ، فقال : بلغني عن عائشة انها قالت للنبي . . . الحديث

واخرجه كذلك ابن ابي الدنيا في ذم البغي من حديث انس رضي الله عنه ، وقال ابن حجر : رجاله ثقات الا معاوية ابن سخينة فلم اعرفه .

بهذا تبين صحة ما ذهبنا اليه علما بان الحافظ ابا الفيض الغماري الذي تتبع الحافظ السيوطي في الاحاديث الموضوعة الموجودة في الجامع الصغير في كتابه المغير فلم يذكره ؛ وهو معروف بالاستقصاء والتدقيق ، وبهذا فان مجالدا لم يتفرد به وتعددت طرقه .

8 — وختاما لهذا كله اقول : لو رجع اي طاعن في هذا الحديث وهو في المسند المبجل للامام أحمد بن حنبل — لما كتب حول المسند خصوصا « القول المسدد في الذب عن المسند للامام احمد » لابن حجر واصله للعراقي وذيله للمحدث محمد صبغة الله المدارسي الذين تعقبوا ابن الجوزي وهو قمة المتشددين في ادخال الضعيف وحتى الصحيح مع الموضوع لما وجد هذا الحديث لا في موضوعات ابن الجوزي ولا في القول المسدد وذيله مما يدل على بعده عن الوضع او الضعف الشديد ، ثم انه معلوم لاهل هذه الصنعة انه « لا يجوز الاقدام على الحكم بالوضع قبل التدبر والتأمل » (6) ونسأل الله ان يلهمنا الصواب والسداد ،

الرباط : فاروق حمادة

(6) عبارة الحافظ ابن حجر رحمه الله .

أهمية الإيمان للحياة

والجهاد من أجلها

للأستاذ محمد حمادي العزيز

الحياة نعمة كبرى من نعم الله على الانسان الذي يعرف بفضلها الوجود وعظمته وقيمته.

والحياة ايمان وجهاد لان مبتداها ومنتهاها وغايتها الايمان، ولان وسيلتها لتحقيق الفوز بالسعادة والهناء والامان الجهاد.

ولا ينبغي ان نستغرب من كلمة «الجهاد» او نفزع منها، فالعمل اليومي جهاد، والاجتهاد في الدرس او في الانتاج جهاد، التفاني في اداء الواجب جهاد، والاخلاص للعقيدة جهاد والرغبة في التقدم والارتقاء جهاد، وارادة النصر جهاد، والتضحية جهاد .. وغيرها وبمعنى اخر ان الانسان يجاهد دائما ويوميا عرف ام لم يعرف، وعى ام لم يع هذه الحقيقة.

اجل، ان الحياة «ايمان لان خالقها هو الله الحي المطلق الحياة، والذي لولاه ولولا حياته الدائمة لما كان لها اي وجود، ولظل العدم سائدا لانعدام وجود الاحياء وبخاصة ابناء الانسان العاقلين الواعين القادرين على التمييز بين الوجود والعدم (اي اللاوجود) وبين الحياة والممات (الحياة الروحية الغيبية) وبين الخير والشر، وبين التطلعات العليا والنزوات الدنيا.

والله الخالق الحي المطلق الحياة مؤمن مطلق الايمان بنفسه، وبقدرته، وبخالقيته وبما اوجده من موجودات، ولذلك كان لا بد ان يكون الايمان هو السبيل الواجب على الحياة نفسها سلوكه في مسيرتها اللانهائية من الازل نحو الابد.

نعم، بوجود الله الخالق وايجاده الوجود والحياة انتهى العدم انتهاء كليا، ولم يعد بالنسبة للانسان الواعي الا جانبا لا مرئيا من الوجود يصعب عليه ادراكه حتى يشاء الله.

وهكذا يظل العدم في الواقع الحياتي مجرد وهم يفهمه كل انسان حسب مبلغه من فهمه الوجود والحياة او مجرد معنى مرادف مجازا للموت او للاوجود الارضي، او للاموجود المدرك بالحواس، اومجرد معنى يقصد به تلقين الياس والملل والفشل والعجز للضعفاء والمستكينين.

لهذا فهو يعتبر بالنسبة لنا نحن ابناء الانسان امتحان نختبر به استطاعتنا مد رؤيتنا العقلية، حينما تقف رؤيتنا البصرية وتعجز حركتنا الجسمية عن الامتداد الذاتي او الالي لتدرك نشاطات جميع الكائنات الحية والاحاطة بكافة اسرار الحياة على ضوء ما وصلت اليه معرفتنا.

وحسب هذا يعتبر كل ما لم نتوصل الى معرفته باعيننا او بعقولنا عدما او كالعدم نقيس به الحياة باعيننا او بعقولنا عدما او كالعدم وان كان موجودا.

ان معرفتنا الانسانية بوسائلها البصرية والعقلية هي «معيارنا» الذي نقيس به الحياة واسرارها، ونحاول ان نفهم على ضوئه كل شيء خارج ارضنا.

ولذلك فهي «معيار» خاص صغير محدود نهائي اذا ما قيس بالمعايير العامة الشاملة العظمى اللامحدودة اللانهائية التي تخضع، او يمكن ان تخضع لها الحياة اللانهائية اللامحدودة في الوجود اللانهائي اللامحدود.

ويعني هذا انه يتعين علينا نحن ابناء الانسان ان نقيس، او نحاول ان نقيس، الحياة بالمعايير العامة الشاملة العظمى اللانهائية اللامحدودة لا بمعيارنا الخاص الصغير النهائي المحدود.

ولن نجد معايير اشمل واعم واصدق وادق واعدل من معايير الله الخالق الحي الدائم الباقي.

وعليه، ان ما نظنن ان الحياة غير موجودة فيه قد تكون فيه الحياة ولكن بشكل لم تصل بعد عقولنا الى ادراكه وفهمه، ولذلك يكون ظننا خاطئا لانه ظن قسناه على معيارنا الخاص للحياة على ضوء فهمنا الانساني الارضي على الارض، وحسب مبلغنا من العلم في آخر مراحل تقدمه.

والعلم يتقدم باستمرار، او بعبارة اكثر دقة، وان عقولنا هي التي تتقدم باكتشاف العلم والمعارف، وما لم تدركه عقولنا هي التي تتقدم باكتشاف العلم والمعارف، وما لم تدركه اليوم ستدركه غدا مثلما ادركت اليوم ما لم تستطع ادراكه بالامس.

ويعني هذا ان ظننا الخاطىء اليوم بسبب قصور عقولنا عن ادراك الحياة واسرارها بمفهومها العام الشامل يصبح غدا غير ذي موضوع.

ان فهمنا الحياة، اذن، يجب ان يندرج في فهمنا لها لا نهائية لا محدودة متاطرة في وجود لا نهائي لا محدود تحكمه قوانين علم مطلق لا نهائي لا محدود أوجدة الله الخالق منذ وجوده ، واخذ يظهر معارفه وتفرعاته التقنية والتطبيقية بالتدريج تبعا لتقدم الامكانات والاستعدادات العقلية لابناء الانسان، وتبعا لاجتهاداتهم وطموحاتهم النازعة الى التجاوب مع المطلق بنشداتهم التوصل الغائي الى ادراك ما هو مطلق لا نهائي لا محدود.

هكذا يقودنا التجاوب مع المطلق الى ان نفهم ان الحياة بعامة ، والحياة الانسانية الارضية بخاصة بذات غيبية لا مرئية لا يمكن ان تعرف عن مبدئها شيئا معرفة عينية طبيعية تجريبية تطبيقية، وانما كل ما تستطيع ان تعرف عنها هو معرفة نظرية تأملية (ميتافيزيقية) نسبية تقريبية تخمينية، وكذلك الشأن بالنسبة لاستمرارها في ديمومتها الابدية مجالات اللانهاية الى ما شاء الله .

اما الفترة الوجيزة القصيرة التي تعرفها من المولد الى الوفاة على الارض على ضوء ما توصلت اليه عقولنا من اكتشاف المعارف فانها ليست شيئا مهما بالنسبة للمعايير العامة الشاملة التي يجب ان نفكر فيها ونقدرها حق قدرها ونقيمها قيمتها الحقيقية اذا اردنا ان نقيس الحياة قياسا عادلا وصائبا.

وان الاكتشافات العلمية الحديثة، وبخاصة الاختراعات التقنية، تؤكد لنا اهمية التأملات النظرية (الفكرية) التي تمتاز بنزعتها الميتافيزيقية رغم تجسيداتها الطبيعية المادية.

ولا ريب في هذا، فالعلم جملة وتفصيلا ميتافيزيقي (غيبي) نظري يدرك بالتأمل والاجتهاد العقلي، ولا يمكن ان يتوصل الى الاحاطة باسراره الا الذين يقومون بتأملات نظرية مثابرة في مجالاته الميتافيزيقية متجاوزين الزمان والمكان منسلخين، في حدود الممكن عما هو طبيعي مادي رغم تقيدهم القسري به، ولا يمكن ان يتم هذان التجاوز والانسلاخ الا عقليا فكريا بارادة عازمة حازمة في اطار اجتهادات روحية معنوية جريئة غايتها نشدان التجاوب مع المطلق.

وهذه خاصة يمتاز بها العلماء والمفكرون الكبار الذين يكرسون اوقاتا ثمينة من حياتهم للتأملات النظرية متوخين اكتشاف معارف جديدة يستفيدون منها في تاكيد وجهات انظارهم في مقاصد شتى من مقاصد الحياة.

ان ما هو ميتافيزيقي ما ينفك يجذب العقل الانساني جذبا ساحرا لاكتشاف المجاهيل الكبرى في مجالات المعارف التي لم يتوصل اليها الانسان.

واذن يجب ان تحرر عقولنا من القصور العقلي لكي نتمكن من ممارسة الحياة ممارسة واعية في اطار علمي حقيقي مندرج في السبيل الحق الذي اراده الله الخالق للانسان .

وتحريرنا عقولنا من القصور العقلي انما يعني تحريرها من الجمود، ومن التبعية، وتخليصها من تأثيرات الدعوات الضالة الى سيطرة ما هو مادي وحده في الواقع المجتمعي الذي يتيح الفرصة لاستمرار «الجاهلية» الملحدة، وتجديدها عبر الزمان ابقاء على غريزة استعباد القوي للضعيف وهيمنة من يملك الامكانيات على من لا يملكها .

وان ايماننا بالحياة يجب ان يعني ايماننا اليقيني بالعلم.

العلم وحده هو الذي يستطيع ان يحقق السعادة للانسان في حياته على الارض وفي حياته الروحية خارج اجوائه.

والعلم هو التقدم ولا يمكن ان تتحقق اية تطورات او تنميات تقدمية بدونه.

واذا اردنا ان نحقق المساواة الممكنة في ظروف الحياة الاجتماعية فينبغي ان ننشدها في تحقيق المساواة في الحصول على العلم.

ان كل تفاوت في الحصول على العلم يعني حدوث تفاوت المساواة في ظروف الحياة الاجتماعية. ومن المسؤول على هذا ؟

لا شك ان الذي يتيح له المجتمع جميع الظروف والوسائل الممكنة للحصول على المستوى اللائق من العلم ولا يحصل عليه لاسباب كثيرة كالغياب عن حضور الدروس، او الكسل، او السقوط في الامتحانات او السلوك الشيء مع الاساتذة .. الخ هو المسؤول عن كل ما يمكن ان يحدث له من تأخر عن مواكبة الركب الاجتماعي ومسايرته، ولا يحق له ان يلقي باللوم على المجتمع، او على غيره او على الاوضاع المجتمعية وانما يجب ان يلوم نفسه اولا واخيرا ان كان يتحلى بالانصاف.

ويعني هذا ان التقدم والتقدمية لا يجب ان ينظر اليهما نظرات «مريبة غريبة» باعتبارهما خارج نطاق الايمان بالله، او باعتبارهما من اختصاصات ايديولوجيات خاصة وحدها فقط ولا غير او انهما تفرضان على كل من يريد ان يكون «متقدما» او «تقدميا» ان يترك ايمانه جانبا ويصبح ملحدا كافرا !

كــــلا !

ولذلك فان مجتمعنا مدعو لان يستمر في ان يظل دائما متقدما وتقدميا في اطار الايمان بالله الذي يستطيع ان يحقق في مجالاته ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية متوازنة روحيا وماديا.

واذا اعتبرنا التقدم الناتج عن العلم هدفا ساميا من الاهداف التي يسعى اليها الانسان ليفوز بالسعادة والهناء والامان والرفاه فان الاجتهاد هو الوسيلة الغائية للحصول عليه.

وليس الاجتهاد في حقيقة امره الا الجهاد الباطني والظاهري الذي يجلي بصدق الارادة والنشاطات المركزية والمنظمة والموجهة لتحقيق الغاية المرسومة.

نعم، انه جهاد من اجل تحقيق الغاية او الهدف.

وكل جهاد يتطلب توجيه الارادة توجيها غائيا خاصا وضبطها والسيطرة عليها وتنظيمها وتركيزها توخيا للاستفادة منها في الفوز والنجاح والنصر.

وان اي جهاد لا تكون الارادة العازمة الحازمة المركزة والمضبوطة والموجهة والمنظمة له الحافز الاصلي فيه سيبوء دوما بالفشل .

ومثلما يتطلب كل جهاد تركيز الارادة وتوجيهها يستوجب ايضا التحلي بالشجاعة للتمكن من مواجهة جميع انواع الصعوبات ومعالجة كل المشاكل الكبيرة والصغيرة التي تخص بها الحياة.

والحياة اليومية التي نحياها غاصة بالمشاكل من كل الانواع ولذلك يجب ان يتحلى كل انسان بالشجاعة تحليا اصليا ثابتا ودائما ليتمكن من حلها .

لقد آن للانسان ان يدرج عمله اليومي الخاص في الاطار المفهومي للجهاد الوطني الذي يستهدف تحقيق ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية متوازنة روحيا وماديا في ارض الوطن، وعليه ان يعي هذه الحقيقة لئلا يظل يحيا معزولا غائيا وهدفيا عن الحياة الوطنية.

ان المطر يتكون من قطرة واحدة من الماء تصاحبها ملايين الملايين من القطرات الاخرى، وكذلك الشأن بالنسبة للحضارة الوطنية، انها هي الاخرى

تتكون من جهود انسان واحد تصاحبها جهود الملايين من ابناء الانسان الاخرين.

وان الكثيرين من ابناء الانسان في مجتمعنا الوطني يعملون، ويبذلون جهودا محمودة لتحقيق ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية خاصة وعامة ولكنهم لا يعرفون انهم يجتهدون او انهم يساهمون في جهاد وطني دائم، وهذا نقص كبير جدا وخطير في توجيههم ووعيهم، وهو نقص قد يؤثر على المجهود الوطني العام الذي يحتاج اليه الوطن في الظروف المصيرية الحرجة الصعبة.

وتقضي ارادة التقدم ان يتعلم الانسان منذ نعومة اظفاره الامل والنجاح والفوز والنصر.

ويعني هذا انه يجب ان يتعلم وجوب طلب العلم، ووجوب الاجتهاد، اى العمل وبذل الجهد، ووجوب التحلي بالشجاعة والصبر والمثابرة اثناء اجتهاده وعمله.

وما دام الانسان المسلم يمارس مسؤوليات الجهاد الاكبر ممارسة يومية فيجب ان يعرفها ويعيها ويفهمها فهما حقيقيا في اطار فهمه للحياة اللانهائية اللامحدودة.

وتبعا لهذا ينبغي الا تقتصر ارادة النجاح والفوز والنصر على الحياة الدنيا وحدها فقط وانما يجب ان تتطلع الى امل احراز النجاح والفوز والنصر في حياة ما بعد الموت، وهذا لا يتم ولن يمكن ان يتم، الا بالايمان بالله، وفي اطار تعاليم دينه الحنيف.

ان الايمان بالله وبدينه الحنيف هو العقيدة الحقيقية الكفيلة بتامين الارتقاءات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الانساني شرط ان يفهمها كل انسان الفهم الصحيح، وهي عقيدة ستظل دائما قوية ثابتة امتن من صخور الجبال تكسر محاولات الذين يريدون الاعتداء عليها او النيل منها.

وحياة بلا ايمان انما تعني حياة فارغة من جوهرها ومن اصالتها، ومن غايتها الحقيقية اللانهائية اللامحدودة وان كانت ظاهريا وشكليا حياة بكل « معطيات الحياة ومفاهيمها » وان كان الانسان يبدو فيها سعيدا !

وما ذلك الا لان الانسان اذا فقد الايمان فقد بفقدانه الاتصال بالله الخالق وبالتالي بالوجود اللانهائي اللامحدود واصبح تائها في بيداء «الجاهلية» والجهالة رغم ما يمكن ان يحرزه من علم.

لهذا كان الجانب الروحي (الباطني) الاعتقادي (الديني) في الحضارة والارتقاءات الاجتماعية والاقتصادية دعامة اساسية لا بد منها لاقامة صرح مظاهرها وتجسيداتها التنظيمية والانجازية تامينا لادامة التوازن بين الروح وما هو روحي وبين المادة وما هو مادي في حياة الانسان والمحافظة على اتصاله الغيبي بالله الخالق واندماجه في الحياة اللانهائية اللامحدودة في الدنيا على الارض وفي الاخرة بعد الوفاة.

ومن الانصاف ان نعزو كل تقصير في تحقيق الارتقاءات الاجتماعية والاقتصادية الى قصور اجتهادنا (عملنا العقلي بصفة خاصة) عن فهم دورنا الحاضر كهمزة وصل بين ماضينا الحافل بالاشعاعات الحضارية والثقافية المنبثقة من اشراقاتنا الروحية وبين مستقبلنا المتطلع الى اضافة مكتسبات ارتقائية عصرية حديثة اليها تجعلنا في مقدمة المجتمعات الانسانية التي تساير التقدم العلمي المتقدم في كل آن.

ان غايتنا الارتقائية الهادفة الى تحقيق ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية تفرض علينا ان نجتهد دائما وندرجه في جهادنا الوطني اليومي وفي جهادنا الاكبر الدائم.

ولن نكون شيئا مذكورا بدون ايماننا بالله !

دراسات مغربية

- ابعـاد الحضـارة المغربيـة
- ملامـح من تطـور المغـرب العربـي
- بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين من خلال الوثائق الديبلوماسية وحجج الوقف المغربية
- هل هو سلطـان للشعـراء ؟
- أمجـاد تتكلـم والتاريـخ يسجـل
- ابـن بطـوطـة
- الشاعر محمد ابن موسى ـ 3 ـ
- حـروب البرتغاليـين في المغـرب
- كتـب الزواجـر والعظـات



رحمه الله
مفدي
زكرياء

● قبل ان يسافر الى تونس ليلقى ربه هناك بعد أيام قلائل من وصوله اليها جاءني مودعا ... ورجاني أن أبعث له بهذا العدد الى عنوانه بتونس بدل عنوان الدار البيضاء . وكانت آخر جلساتي مع شاعر المغرب العربي الكبير ... قدم لي مقالا عن موقف علماء الجزائر من نفي جلالة المغفور له محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ سنة 1953 مع نسخة مصورة لعدد « البصائر » التي كان يصدرها الشيخ البشير الابراهيمي وهو يتضمن النص الكامل للبيان التاريخي الذي أصدرته « جمعية العلماء المسلمين بالجزائر » ..

وكعادتنا كلما التقينا تشعب بنا الحديث الى الوضع في الجزائر . واشهد أني اغترفت من علمه الغزير الشيء الكثير عن الاتجاه اللاديني الذي يسلكه حاكم الجزائر المتنكر لأواصر العقيدة والاخوة والدم بين الشعبين الشقيقين ..

كان يتحدث ببساطة وصدق وعيناه تشعان بذلك البريق الذي عهدناه في عيون المجاهدين ... وكان مؤمنا بالمغرب ايمانه بالقيم المثلى والمبادىء الخالدة التي شرد من أجلها ... وكنت أقول له دائما : ألا تشغلك هموم السياسة عن الشعر ؟ . وكان ينوي ان يستمر في تقديم الوثائق التاريخية الكاشفة للمؤامرة ضد وحدة شعوب المغرب العربي المسلم ..

وكنت احب الرجل لصدقه وطهارته وتضحياته وجهاده الشاق من اجل مغرب عربي يبني حاضره ومستقبله على أساس الاسلام ومن منطلقه .. وكنت أوثره على كثير من شعراء العصر لتعلقه بهذا المغرب نظاما وتراثا وحضارة وشعبا ... وكانت له برجاله وعلمائه وأدبائه وشعرائه علاقات مودة ومحبة واخاء ..

قال لي وهو يودعني الوداع الاخير : « أرجو ان تحتفظ بالوثيقة الى أن أعود » ... فيا ابن تومرت ... يا شاعر الثورة الجزائرية في ايامها الاسلامية المجيدة قر عينا وثق اننا للعهد حافظون وعلى الدرب سائرون وليس لنا والله الا هذا الاسلام العظيم والعرش : هما معا عروتنا الوثقى التي لا تنفصم .. رحمك الله ●

عبد القادر الادريسي



الاسم مفدي زكرياء

اللقب آل الشيخ

تاريخ ومكان الولادة بني يزقن في واحات وادي ميزاب 12 أفريل سنة 1913م

الجلسية جزائرية

الوظيفة الحالية مدير معهد حر بالدار البيضاء باسم (محمد الحسن الداخل) ثانوي مختلط

عنوان المراسلة محمد الحسن الداخل 18 مكرر شارع 11 يناير بالدار البيضاء أو بصندوق البريد رقم 298 بالدار البيضاء

عنوان القصيدة المخطوطة إقرأ كتابك

كتب في 17 أكتوبر 1974 بتاريخ ....

الامضاء

مفدي زكريا

بطاقة تعريف مفدي زكرياء بخط يده

نبذة حية ~~نبذة~~ مختصرة عن حياة مفدي زكرياء

ولد ببني يزقن سنة 1913 - تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بكل من (مدرسة السلام) و
و (المدرسة الأهلية) و (الخلدونية) و (مدرسة الآداب والترجمة بالعطارين) وأخيرا
بجامع الزيتونة المعمور كل ذلك بتونس -
تزوج عام 1948 وأنجب ابنتين وولدا (صلاح الدين سليمان) (عائشة استقلال)
(صالحة فداء)
حياته النضالية - انخرط في سلك الشبيبة الدستورية بتونس أيام دراسته عام 1922
ثم دخل الجزائر وانخرط في حزب نجم إفريقيا الشمالية بالجزائر عام 1937 ثم انتخب أمينا عاما له
1936 ثم بعد أن حدث السلطة الاستعمارية على حل (نجم إفريقيا الشمالية) وتأسيس
بدلا عنها (حزب الشعب) بقي أمينا عاما له ثم واصل نضاله في حزب (الانتصار للحريات الديمقراطية)
بدلا عن حزب الشعب بعد حله من لدن السلطة الاستعمارية . ثم أخيرا في منظمة (جبهة التحرير)
عام 1955 في بداية الثورة - فدخل السجن من أجل النضال المرار العديدة قضى في مجموعها
(متفرقة) بسبع سنوات . أفرج عنه عام 1959 وفر إلى المغرب ثم تونس حيث تعاون
مع جهاز الحكومة الجزائرية المؤقتة في وزارة الأخبار
نشاطه الفكري - كان يشارك بأحاديث أدبية وأبحاث فكرية في إذاعات وتلفزيونات
المغرب العربي . الجزائر - المغرب - تونس . ونظم جل قصائده الثورية في أعماق السجون . وله
من الدواوين المطبوعة (اللهب المقدس) و (تحت ظلال الزيتون) وله الآن تحت الطبع (الإلياذة الجزائرية)
في ألف بيت وبيت ، وديوان (من وحي الأطلس) وديوان (الانطلاقة) وديوان (الخافق الهزيع)
في الشعر الذاتي - وله من التآليف الغير المطبوعة (الأدب العربي بالجزائر عبر التاريخ) (تاريخ الصحافة
العربية الجزائرية) (الفولكلور الجزائري) - ديوان محاولات صغيرة (قاموس المغرب العربي الكبير في اللهجات
العربية) (العادات والتقاليد في المغرب العربي الموحد) وطائفة أخرى من روايات وقصص ومحاضرات
وله ديوان ينوي طبعه هذه السنة (الزحف المقدس) باللغة الشعبية عن الثورة الجزائرية
على غرار (اللهب المقدس) وهو صاحب النشيد الجزائري الرسمي (قسما) ونشيد الجهاد السياسي
(فداء الجزائر) - ونشيد (تحت العلم الجزائري) و (نشيد جيش التحرير الجزائري) ونشيد (بربروس) ونشيد
(الشهداء) ونشيد (حواء الجزائر الخالدة) ونشيد (الطلاب) و (نشيد العمال) ونشيد (معركة بنزرت) ونشيد
(مؤتمر الصحف) بتونس - ونشيد النادي الإفريقي الرياضي بتونس - و (ملحمة بجاية) وهو بصدد نظم
الإلياذة المغرب وبعدها الإلياذة تونس وتطبع الإلياذات الثلاث في ديوانه بعنوان (الإلياذة المغرب العربي الكبير)
كتب في تاريخ ....

حامل (لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى) من عاهل المغرب - ووسام (الاستقلال الصنف الثاني)
من رئيس جمهورية تونس . ووسام الاستحقاق الثقافي من رئيس الجمهورية الأعظم تونس
يشتغل حاليا بإدارة مدارس حرة بالدار البيضاء

كتب في 17 أكتوبر 1976 مفدي ز

حياة مفدي زكرياء بقلمه

من وثائق التاريخ التي لا تهمل

مواقف الرّجال

إعداد : الأستاذ مفدي زكرياء

في العشرين من مثل شهر أغسطس 1953 امتدت الايدي الاثيمة من استعمارية وعميلة لرائد الجهاد الوطني فانتزعته من عرشه وابعدته مع افراد أسرته الماجدة الى جزيرة مدغشقر واهمة كعادتها انها بهذه العملية الصبيانية الخرقاء ستعطل عجلة التاريخ ، وتوقف مسيرة الشعب الهادرة نحو انتزاع حريته وفرض استقلاله وكانت لهذه الحماقة الاستعمارية رجة هزت كيان أبناء العمومة في كل مكان وحركت ضمائر الاحرار في مشارق الارض ومغاربها ، وتدفقت موجة عارمة من الاستنكار والتشهير بل التحدي الذي لا يعرف التوقف عند حد ويحدثنا التاريخ فيما يحدث عن صدق مشاعر الاشقاء الابرار ، الذين لم يحقروا ذمام الجوار فنجد في عدد 4 شتمبر 1953 من جريدة البصائر (لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وعلى طول الصفحة الاولى والثانية (بلاغا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وبامضاء الشيخ محمد خير الدين أحد اقطابها الموجود حاليا مع رفاقه الاحرار في سجن (بومدين) بالجزائر لوقوفهم بشجاعة الرجال الى جانب الحق الهضيم ، والمبادي المهدورة على يد حكام نصف الليل المدسوسين كشهادة زور على الشعب الجزائري الذبيح

ونجد الى جانب هذا البلاغ (فتوى شيخ الازهر سماحة الشيخ الخضر حسين) في تايد فتاوي علماء المغرب آنذاك وحكم الله في مدبري هذه الجريمة التاريخية النكراء ونحن ننشرهما بمجلتنا الحبيبة (دعوة الحق) في عددها السابع وفي شهر اغسطس بالذات كعبرة للذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل ، ويسعون في الارض فسادا

مفدي زكرياء

بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بسم الله الرحمن الرحيم

ان العلماء الجزائريين بعد دراسة عميقة لحوادث المغرب الاقصى المزعجة وبعد عرض القضية على لجنة الافتاء المختصة بدراسة القضايا من حيث وجهتها الدينية الصرفة يفتون :

1 — باستمرار امامة سيدي محمد بن يوسف ولزوم طاعته لجميع المغاربة .

2 — بطلان امامة (السلطان) المفروض محمد بن عرفة .

3 — بمروق العصابة التلاوية والكتانية من الدين وتبريء الاسلام منهم لخيانتهم ونكثهم العهد ورفعهم السلاح في وجه امامهم الشرعي .

4 — ويستنكرون موقف الحكومة الفرنسية المخالف لتعهداتها ، ويعتبرون عملها يوم اجتماع المسلمين في مناسك الحج بمكة احتقارا لعواطف جميع المسلمين ومحاربة للاسلام .

اقدمت العصابة التلاوية المفسدة على تنفيذ مؤامرتها الدنيئة تحت اشراف السلطة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة بواسطة حرابها وكان من جملة افتراآتهم انهم ينفذون ارادة اغلبية الشعب ، ويدافعون عن الشرع الاسلامى ، ويخلعون سلطانا لم يبق له حق فى ولاية الدين او سلطة الدنيا ، وكل هذا افتراء على الدين وبهت وتزوير للحقائق الثابتة .

ولجنة الافتاء تعلن باسم علماء الجزائر المسلمين ما يلى :

1 — ان امامة سيدي محمد بن يوسف الدينية والدنيوية ، امامة شرعية ، وطاعته تلزم كل مسلم مغربى انى يوجد ، وهذه الامامة والطاعة مستمرتان رغم ما فعله المبطلون .

2 — ان امامته كانت بمبايعة علماء المغرب واجماعهم على تنصيبه — والاجماع من مصادر التشريع الاربعة عند المسلمين — ومن المعلوم ان العلماء هم اولو الاختصاص فى هذا الشان ، لقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » واولو الامر من المسلمين هم الامراء الشرعيون والعلماء الصالحون كما قرره الامام مالك عندما سأله خالد بن نزار عن اولى الامر من هم ؟ فأشار الى العلماء وكانوا هم الحاضرين مجلسه ، فالعلماء المسلمون فى النظام الاسلامي لهم من سلطة اختيار الامام للمسلمين دينا ودنيا ما للجمعية الوطنية الفرنسية المؤلفة من اعضاء مجلسى النواب والشيوخ فاذا انتخب الامام من مجموع علماء المسلمين فى وطن ما ، صار الامام الشرعى للمسلمين ، وصار اميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه هو الذي سماه وعينه وصارت سلطته من سلطة الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم : « من اطاع اميري فقد اطاعنى ، ومن اطاعنى فقد اطاع الله ، ومن عصى اميري فقد عصانى ومن عصانى فقد عصى الله » . وبهذا وجب على الامة السمع والطاعة للامام المنتخب وحرم على اي فرد من افراد الامة نكث العهد والخروج على الطاعة .

ان امامة سيدي محمد بن يوسف يقل مثلها فى الصحة والشرعية بين امراء المسلمين اليوم لمطابقتها تمام المطابقة لنصوص الشرع ورضاء جميع المذاهب الاسلامية عنها ، وكل فرد خرج على الامام — بعد عقد البيعة له من اولى الامر — فللامام ان يؤاخذه بجريمته مجتهدا فى عقوبته ما لم يرفع سلاحا او يؤلف عصابة للفتنة والفساد ، فان هو فعل ذلك فهذا نص على عقوبته القرآن الكريم وليس للامام اجتهاد الا فى اختيار نوع العقوبة التى خيره الله فى واحدة منها لقوله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ، ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » ؟

وقد قال علماء الاسلام : اذا امتنعوا على الامام العدل القيم للشرع وعثوا فسادا فى الارض — اي مفسدين لما صلح من امور الناس — كان جزاؤهم ما ذكر فى الآية بنص قوله تعالى : « ويسعون فى الارض فسادا » ويتحقق الفساد ولو لم يصحبه حمل السلاح فالعصابة التلاوية بامتناعها عن الامام وحملها السلاح فى وجه الامام العدل الشرعى قد سعت فى الفتنة وافسدت ما صلح من امور المسلمين فجزاؤها هو ما ذكر فى الآية .

ولو فرضنا ان افراد هذه العصابة مسلمون صالحون لكانوا غير ذوي اختصاص فى امر التولية والعزل للامام لانهم وكلاء عنه امناء على مهمتهم فان غدروا وخانوا فهم معزولون عن وكالتهم وقد غدر كل منهم وخان امامه بمجرد اشتراكه فى المؤامرة ولولا مظاهرة السلطة الاستعمارية لهم وتسخيرها اياهم لنفذ فيهم العزل واقيم عليهم الحد على ان هذه العصابة التلاوية والكتانية قد تولت الكافرين واتبعت غير سبيل المؤمنين وكما ناصرت الظهير البربري الذي اعلنته السلطة الفرنسية لتنصير المغرب سابقا وضعت نفسها الآن كآلة فى يد السلطة الاستعمارية لخلع امير المؤمنين الذي ضحى بعرشه فى سبيل الدفاع عن بيضة الاسلام « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » « ومن يتولهم منكم فانه منهم » هذه نصوص خص بها اعداء الاسلام ومن شايعهم من الخونة المسلمين ، اما غير المسلمين من أهل الاديان المسالمين لهم فقد قال الله فيهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم » .

ولذا فاننا نقر علماء المغرب على فتواهم ونعتبر العصابة التلاوية والكتانية مارقة من الاسلام يجرى

عليهم من الاحكام ما يجرى على المارقين وليس لهم من صفة تخولهم الكلام باسم الامة التى نبذتهم .

ونعلن ان الولاية الوحيدة الصحيحة المستمرة انما هى ولاية سيدي محمد بن يوسف وان طاعته مستمر لزومها لكل مسلم مغربى يؤمن بالله ورسوله ، وان كل ولاية فى المغرب باطلة ما لم تكن مستمدة من ولايته كما نقرر ان كل فعل او قول يصدر عن أي انسان فى المغرب تحت الضغط والتهديد والاكراه باطل لا يلزمه ولا يلزم الامة المغربية كما قرر الاسلام « ان كل افعال المكره لا تلزمه » .

كما نقرر أن كل ما يفعل باسم الامام المفروض الجديد باطل غير شرعى لان ولايته باطلة ، وانما هو آلة مسخرة فى يد عصابة الفساد والاستعمار .

ونحن نعلم اليوم كما يعلم العالم اجمع انه لا سلطة اليوم بالمغرب الا للادارة الفرنسية الاستعمارية فهى التى تعمل وحدها باسم المغاربة وباسم فرنسا ، وهي الخصم والحكم وكان فعلها فى خلع الامام الشرعي يوم العيد احتقارا لعواطف المسلمين ومحاربة للاسلام واننا لنحيى فى امير المؤمنين وامام المسلمين سيدي محمد بن يوسف العزة الاسلامية والشهامة العربية ، فقد قاوم الضغط والاكراه واختار ما يختاره كل بطل شهم غيور فلم يطاطىء الراس ولم يذل امته ولا دينه ، فله من الله النصر والتاييد .

عن لجنة الافتاء وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، نائب الرئيس :

محمد خير الدين

تحريرا يوم 14 ذي الحجة 1373

فتوى شيخ الازهر

سأل مندوب المصري فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر عن موقف فضيلته وعلماء مصر من الجلاوي باشا مراكش لخروجه على السلطان وقوله أن فرنسا تحمى الاسلام فقال فضيلته :

ان الجلاوي باشا خارج على الاسلام فعلا لخروجه على السلطان الشرعى وان فرنسا لا تحمى الاسلام لانها هي عدوة الاسلام ولا سلطان لها عليه مطلقا وانما الذي يحمى الاسلام هو سلطان مراكش نفسه .

يؤيد علماء مراكش

وانا وعلماء مصر نؤيد علماء مراكش فى فتواهم بانه خارج على الاسلام ونؤيدهم كذلك فى كل آرائهم وما يتخذونه من قرارات ضده وضد اتباعه والمتعاونين معه وضد فرنسا المعتدية — وقد اشرنا امس الى فتوى علماء مراكش فى هذا الموضوع — ومضى فضيلة شيخ الازهر يقول : ونطلب من العلماء المراكشيين وشعب مراكش ان يعملوا على تمكين السلطان من اعماله الوطنية الاسلامية ونحن نستنكر افعال الجلاوي باشا وفرنسا اشد الاستنكار .

يقول الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين » ويقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

عن صحيفة المصري عدد 5645



إقرأ كتابك...

نظمها الشاعر بقعر الزنزانة رقم ٧٥ - ٣ (بسجن البرواقية) بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية
يوم فاتح نفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٨، وألقيت بالنيابة في إذاعة صوت العرب بالقاهرة

هذا (نفمبر) ... قم وحيّ المجد فعا … واذكر جهادك ...... والسنين الأربعا!

واقرأ كتابك، للأنام مفصلا … تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا!

واصدع بثورتك الزمان وأهله … واقرع بيد ولتلك الورى، و(المجمعا)!

واعقد لحقك، في الملاحم ندوة … يقف الزمان بها خطيبا مصقعا!

وقل: الجزائر... !!! واصغ إن ذكر اسمها … تجد الجبابر... ساجدين وركعا!

إن الجزائر في الوجود رسالة … الشعب حررها... وربك وقعا!

إن الجزائر قطعة قدسية … في الكون... لحنها الرصاص ووقعا!

وقصيدة أزلية، أبياتها … حمراء... كان لها (نفمبر) مطلعا!

نظمت قوافيها الجماجم في الوغى … وسقى النجيع رويها.. فتدفعا

غنى بها حر الضمير، فأيقظت … شعبا الى التحرير شمر مسرعا

سمع الأصم دويها، فعنا لها … ورأى بها الأعمى الطريق الأنصعا

ودرى الألى جهلوا الجزائر، أنها … قالت: «أريد»!!! فصممت أن تلمعا

ودرى الألى جحدوا الجزائر، أنها … ثارت... وحكمت الدما... والمدفعا!

شقت طريق مصيرها بسلاحها … وأبت بغير المنتهى أن تقنعا

شعب... دعاة إلى الخلاص بناته … فانصب مذ سمع النداء، وتطوعا

نادى به جبريل في سوق الفدا … فشرى، وباع بنقدها، وتبرعا!

فلم تصارع والزمان... فلم تجد … فيه الزمان - وقد توحد - مطمعا!

واستقبل الأحداث... منها ساخرا … كالشامخات..... تمنعا، وترفعا...

وأراده المستعمرون، عناصرا … فأبى - مع التاريخ - أن يتصدعا!

واستضعفوه ... فقرروا إذلاله … فأبت كرامته له أن يخضعا

واستدرجوه .... فدبروا إدماجه … فأبت عروبته له أن يبلعا!

وعن العقيدة... زوروا تحريفه … فأبى مع الإيمان... أن يتزعزعا!

وتعمدوا قطع الطريق... فلم ترد … أنسابه بالعرب أن تتقطعا!

نسبت بدنيا العرب... زكى غرسه … ألم... فأورق دوحه، وتفرعا

سببت، بأوتار القلوب.. عروقه … إن رن هذا... رن ذاك ورجعا!

إما تنهد بالجزائر موجع.. … آسى الشآم جراحه، وتوجعا!

واهتزَّ في أرض الكنانة خافقٌ... وأقضَّ في أرض العراق لمضجعا!
وارتجَّ في الخضراء. شعبٌ ماجدٌ لم تثنه أرزاؤه أن يفزعا
وتحوَّت مراكش حوله وتألمت لبنانُ، واستعدى جديسَ وتبَّعا
تلك العروبة.... إن تثر أعصابها وهز الزمانُ جبالها، وتضعضعا!
الضاد.. في الأجيال... خلَّد مجدها وللجرح وحَّد في هواها المنزعا
فتماسكت بالشرق وحدة أمةٍ عربية، وجدت بمصر المرتعا

ولمصر... دارٌ للعروبة حرةٌ تأوي الكرام... وتسند المتطلعا...
سحرت روائعها المدائن عندما ألقى عصاه بها الكليم.. فروَّعا
وتحدَّث الهرم الرهيب مباهيا بجلالها الدنيا... فأنطق يوشعا
والله سطَّر لوحها بيمينه وبنهرها... سكب الجمال فأبدعا
والنيل فتَّح للصديق ذراعه والشعب فتَّح للشقيق الأضلعا!!
والجيش. طهَّر بالقتال (قنالها) والله أعمل في حشاها المبضعا!
والطور... أبكى من تعوَّد أن يرى في (حائط المبكى) يسيل الأدمعا
و(السدُّ) سدَّ على اللئام منافذا وأزاح عن وجه الذئاب البرقعا!
وتعلَّم (الناميون) عن أبنائها و(السين) درسا في السياسة مقنعا
وتعلَّم المستعمرون، حقيقةً تبقى لمن جهل العروبة مرجعا
دنيا العروبة، لا تزحزح جانبا في الكتلتين... ولا تفضل موضعا!
للشرق، في هذا الوجود، رسالةٌ علياء... صدقٌ وحبها... فتجمعا!

"يا مصر... يا أخت الجزائر في الهوى لكِ في الجزائر حرةٌ لن تقطعا
هذي خواطر شاعرٍ... غنَّى بها في (الثورة الكبرى) فقال... وأسمعا
ونشوقاتٌ... من حبيبٍ، موثقٍ ما انفكَّ صبًّا بالكنانة، مولعا
خلصت قصائده... فما عرف البكا يوما... ولا ندب الحمى والمربعا
إن تدعه الأوطان... كان لسانها أو تدعه الجلَّى... أجاب وأسرعا
سمع الذبيح (ببربروس) فأيقظت صلواته شعر الخلود.. فلعلعا!
ورآه كبَّر للصلاة مهللا في مذبح الشهداء... فقام مسمِّعا!
ورأى القنابل بالصواعق.. إن هوت تركت حصون ذوي المطامع بلقعا
ورأى الجزائر بعد طول عنائها سلكت بثورتها السبيل الأنفعا
وطنٌ يعزُّ على البقاء... وما انقضى رغم البلاء.. عن البلى متمنعا!

لم ترض يوما بالوثاق ولم تزل ... متشامخا ... فمهما النكال تنوعا

هذي الجبال الشاهقات، شواهد ... سحقت بمن مسخ الحقائق وادعى

(سل جرجرا...) تنبئك عن غضباتها ... واستفت (شليا) لحظة.. و(شلعلعا)!

واخشع (بوارشنيس) إن ترابها ... ما انفك للجند (المعطر) مصرعا

كسرت (تلمسان) الطليعة ظلمه ... ووهى (بصبرة) صبره فتوزعا

ودعاه (مسعود) فأدبر عندما ... لاقاه (طارق) سافرا، ومقنعا

الله فجر خلده، بترولنا ... وأقام عزرائيل... تحمي المنبعا!!

تلك الجزائر... تصنع استقلالها ... نهدت له مهج الضحايا ... مصنعا

طاشت بها الطرقات.. فاختصرت لها ... نهج المنايا للسيادة مهيعا

وامتصها المنزعجون!! فأصبحت ... شلوا... بأنياب الذئاب ممزعا

وإذا السياسة لم تفوض أمرها ... للنار... كانت خدعة وتصنعا!!

إني رأيت الكون يسجد خاشعا ... للحق ... والرشاش... إن نطقا معا!!!

خبر فرنسا... يا زمان... بأننا ... "هيهات في استقلالنا أن نخدعا!"

واستفت يا ديغول شعبك.. إنه ... حكم الزمان... فما عسى أن تصنعا؟

شعب الجزائر قال في استفتائه ... لا.... لن أبيع من الجزائر إصبعا

واختار يوم (الاقتراع) (نوفمبرا) ... فمضى... وصمم أن يثور.. ويفزعا!!

(جرجرا) سلسلة جبال شامخة ببلاد القبائل الكبرى من مجموعة الأطلس الجبلي (شليا) أعلى جبل بسلسلة الأطلس الممتدة على أوراس (شلعلع) جبل شاهق بأوراس، سجل فيه المجاهدون أنصع صفحات الجهاد، (وارشنيس) جبل بالجهة الغربية من سلسلة الأطلس. (صبرة) معتقل الابطال، قرية قريبة من تلمسان على الحدود المغربية (مسعود) إشارة الى (حاسي مسعود) أحدى منابع البترول بصحراء الجزائر - (طارق) اشارة الى الطوارق الملثمين بصحراء الجزائر (الاستفتاء والاقتراع) اشارة الى مناورة فرنسا عام ١٩٥٤ في تصفية الثورة الجزائرية باقتراح اجراء استفتاء على المواطنين هل يرغبون في مواصلة الثورة أم لا. وهل يريدون بقاء فرنسا أم لا. والجواب الصحيح هو للقارعة بالسلاح، لا الاقتراع بالأوراق والألواح، وقد قال الشعب الجزائري كلمته الفاصلة يوم غرة نوفمبر ١٩٥٤ -

الصفحة الاخيرة من قصيدة : « اقرأ كتابك »

امجاد تتكلّم ..
والتاريخ يسجّل .

للأستاذ مفدي زكرياء

ان تاريخ كفاح المغرب العربي الكبير من أجل الانعتاق ، والوفاق، لحافل بالاحداث الرائعة التي طواهـا التاريخ طي السجل للكتاب ، ولـم يعد يذكرها الا من عاشها أو بقيت في ذاكرته آثاره من علمها ، وان استجلاء ملامحها من جديد من شانه ان يصل الرحم بين جيل صنع الاستقـلال ، وجيل يتمتع بالاستقلال من غيـر ان يعرف شيئا عن البطـولات التـي احترقت في أتون النضال المرير سنوات من أجل تجسيد هذا الاستقـلال كحقيقة ثابتة شامخة كالقدر العاتي امام الاعاصير ونقيق الضفادع والصراصير، كان الاستقلال عند هذا الجيل الصاعد النازل .. مائدة نزلت من السماء، فلم تكن عيدا لآخرنا مثلما كانت عيدا لاولنا ، وأن الوحدة التي ينخر كيانها اليوم قطاع الطريق ، تفانى في تركيز دعائمها منذ عشرات السنين رجـال صدقوا ما عهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، ومـا بدلوا تبديلا ، ونحن اذ نستوحي من أعماق ماضينا القريب هذه الصفحات البيضاء ، ونسعى جاهدين في نشرها انما نعمل على توعية شبابنا الـذي أريد له أن لا يعلم شيئا عن تضحيات ابطاله . وان يبقى في قمقم سليمان مع حماقات الإيديولوجيات المستعارة على حساب مئاثره وأمجاده وأصالته المستعصاة عن الذوبان ...

واذا كانت هذه النـدوة المغربية بباريس سنـة 1952 مسجلـة بالحرف الواحد . فالفضل في ذلك يعود الى المجاهد المثالي الاستـاذ احمد بنسودة الذي كان يلتقط الكلمة من فم صاحبها قبل ان يتحرك بهـا لسانه ، فيطير بها اختزالا بوفاء المناضل فتسكبها روحه الملتهبة سبائك سبائك على الورق . وناهيك بشهادة فضيلة المرحوم الامام الشيخ البشير الابراهيمي الذي قال للاستاذ بنسودة بعد ان اطلع على خطابه مكتوبا « انهـا المرة الاولى التي أرى خطابي كان الكاتب هو قائله ، فكان وفيا لم يفلـت منه كلمة ولا فاصلة ولو وجـدت بجانبي مثل ابن سودة لما ضاع الجـم الغفير من انتاجي وكلماتي » واذا ذكرنا الاستاذ بنسودة بالذات فلانه ــ لا يزال ــ امد الله في عمره ــ شاهد عيان ومن طلائع أبطال الميـدان ، ولا يسعه ان يكون غير من قيل فيهم « وشهد شاهد من أهلها » ...

فعسى أن نوفق في التنقيب عن هذا التراث المجيـد ــ ونقدمـه كذكرى لمن القى السمع وهو شهيد ،على صفحات مجلتنا (دعوة الحق) ذات الهدف البعيد .

مفدي زكرياء

مائدة الاتحاد

وقد كتبت جريدة « الراي العام » المغربية عن هذا اللقاء التاريخي ما يلي :

« اقامت الشعبة المركزية لجمعية العلماء الجزائريين بباريس حفلة عشاء على شرف الوفود العربية والاسلامية بمنظمة الامم المتحدة يوم الثلاثاء 29 يناير 1952 على الساعة الثامنة مساء بفندق « العالمين » بقرب الاوبرا ، وما كادت الساعة الثامنة تدق حتى بدات الوفود تصل ، وكان فضيلة الشيخ الابراهيمي واعضاء شعبة جمعية العلماء يستقبلون الزوار بغاية الترحيب ، وقد حضرت جميع الوفود التي بلغتها الدعوة ، ورغم كون معالى عزام باشا كان مريضا مرضا الزمه الفراش فقد حضر واثر المرض باد عليه ، وقد كانت الحفلة رائعة وامتازت بانها ضمت جميع احزاب اقطار شمال افريقيا ، فمن تونس حضر ممثلون عن حزب الدستور الجديد ، والدستور القديم ، والجبهة الوطنية ، ومن الجزائر حضر ممثلو حزب البيان ، وحزب انتصار الديمقراطيات ، ومن المغرب حضر نواب جميع الاحزاب ولم يتخلف اى واحد ، الامر الذى جعل هاته الحفلة تستحق عن جدارة لقب « مائدة الاتحاد » وفي الساعة التاسعة دخل المدعوون لقاعة الاكل وتصدر مائدة الشرف فضيلة رئيس جمعية العلماء المسلمين وعن يمينه عزام باشا وعن يساره فارس الخورى فبقية ممثلى الدول الاسلامية فزعماء الاحزاب بشمال افريقيا ونواب الهيئات ، وقد حضر هاته الحفلة 120 رجلا ما بين وفود وصحافيين ونواب عن الاحزاب واعضاء الشعبة المركزية لجمعية العلماء ، وبعد تناول العشاء قام الاستاذ الابراهيمى واعتذر عن معالى عزام باشا الذي اضطر للخروج باكرا لانحراف صحته وختم اعتذاره قائلا : فليتفضل بالانصراف معذورا مشكورا ، ولما نهض عزام دوت القاعة بالتصفيق فوقف عزام والقى كلمة رائعة ثم خرج بعد القائها واثر خروجه قام الاستاذ الابراهيمي والقى كلمة ارتجالية رائعة توفق الاستاذ ابن سودة لتسجيل اهم فقراتها ، وبعده قام معالى فارس الخورى والقى كلمة رقيقة اثنى فيها على جهود جمعية العلماء ورئيسها ، وفي الساعة 12 ليلا تفرقت الوفود مودعين من طرف رئيس جمعية العلماء واعضاء شعبة الجمعية بغاية الترحيب والحفاوة ، واخذت للحاضرين عدة صور ، وافترق الجميع هاتفين بحياة جمعية العلماء ومقدرين جهودها ونشاطها ودعوتها للاتحاد والاصلاح ، راجين للشقيقة الجزائر حياة العزة والحرية والاستقلال في ظل الاسلام الصحيح والعروبة المتينة . »

خطاب فضيلة الشيخ الابراهيمي

وفيما يلي النص الكامل لخطاب الشيخ الابراهيمي رحمه الله :

« حضرات أصحاب المعالي الوزراء ، حضرات أصحاب السعادة والعزة ، حضرات الزملاء حملة الاقلام ، حضرات الاخوان :

هذه ليلة ارتفعت فيها الكلف ، وغاب عنها العواذل ، وغفل عنها الرقباء — ان شاء الله — فاسمحوا لي ، ان اخرج عن الوضع المتعارف فى رسوم الخطاب ، فأنا بصفتي رجلا دينيا مسلما امثل الاسلام فى بساطته ، وسماحته ، واعتباراته الروحية يحلو لي ان اخاطبكم بما جاء به الاسلام فى آدابه الراقية ، ومثله العليا ، وهو وصف الاخوة .

ان النبوة هي اكمل الخصائص البشرية واشرف المواهب الالهية ، ولكن الله حين يرفع ذكر الانبياء يضعهم فى الدرجة الاولى من معارج الرقي ، وهي العبودية لله ، فمحمد عبد الله قبل ان يكون رسوله ، وفى القرآن : « واذكر عبدنا ايوب ، واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب » .

فانا حين اخاطب اخواني الكرام الذين أتاح لي الحظ السعيد ان اقف أمامهم فى هذه اللحظة ليحلو لي ان اخاطبهم بهذا الوصف الجليل وهو وصف الاخوة الذي منذ فقدناه لم نجد انفسنا ، الا وكأننا حبات انقطع سلكها فانتثرت ، فاصبحت كل حبة منها فى كف لاقط ، فمعذرة مني الى اخواني الذين أعتز باخوتهم ان خرجت عن النمط المالوف فى رسم الخطاب . (تصفيق متواصل) .

ايها الاخوان المتلاقون على هوى واحد هو حب الوطن الجامع ، المتعبدون بعقيدة واحدة هي تحرير الوطن الجامع ، الطالعون كالكواكب من افق واحد الذي اطلعت سماؤه الشمس والقمر ، واطلعت ارضه الانبياء والحكماء .



العدد ٢٣٠ السنة السادسة من السلسلة الثانية — N. 230 — ثمن النسخة ٣٠ فرنكا

بعد فتوى شيخ الأزهر وعلماء مراكش علماء الجزائر يقولون كلمتهم !..

الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله

« علي بن أبي طالب »

البصائر

« EL-BAÇAIR »
Journal hebdomadaire
Organe de l'Association des Oulémas d'Algérie
13, Rue Pompée — ALGER
Téléph. : 273-17
C.C.P. 539-73
R.C. Alger 7323

يوم الجمعة ٢٥ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ | تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع | الموافق ليوم ٤ سبتمبر ١٩٥٣

بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

فتوى شيخ الأزهر

بيان علماء مراكش

صورة زنكوغرافية لعدد « البصائر » الجزائرية

احييكم باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وباسم شعبتها المركزية بباريس تحية العروبة التي هي اكرم ما انجبت البشرية من سلائل، وتحية الاسلام الذي هو اصفى ما انفتحت عنه صدفات الوحي من لآليء، وتحية الشرق الذي اعتقد مخلصا انكم ازكى ابنائه وانكم الصفوة المختارة من بناته .

واحييكم باسم الجزائر المسلمة المجاهدة الصابرة التي هي غصن فينان من دوحة الاسلام، وغصن ريان من شجرة العروبة، وزهرة فواحة من رياض المشرق، (تصفيق حاد مستمر) تغربت هاته الزهرة، كما تغربت قبلها شجرة عبد الرحمن الداخل بالاندلس فلم تشنها غربة، وما زالت متصلة بالشرق العربي تستمد منه القوة والفتوة، وما زالت متصلة بالشرق الاسلامي تستصبح بانواره، وتتغنى بامجاده،وتعتز بذكرياته،فهي على صلة بالشرق متينة كانت وما تزال متمسكة بحبله الى أن يرث الله الارض ومن عليها، (تصفيق) وما زالت قائمة على غرس عقبة والمهاجر، وحسان بن شريك بالتعهد والحفظ، وما زالت ناطقة بلسان هلال بن عامر بن صعصعة، منذ طفت موجة ابنائه عليها، تلك الموجة التي يسميها المؤرخ المجحف نسفا وتخريبا للعمران ويسميها المؤرخ المنصف المحررة للاذهان، وتعريبا للسان، فحيثما حل هلال من سهولها حلت العروبة، وحيثما سار في ركابه البيان العربي الذي من بقاياه ما تسمعون .

هذه الجزائر التي احييكم باسمها، والتي ترون أبناءها امامكم شيوخ وشباب يلتقيان في غاية واحدة، وان نزغ بينهما الشيطان فكما ينزغ بين الاخوين، ولكنهما في النهاية الى التجمع والاتحاد، فهؤلاء هم أبناء الجزائر الذين احييكم باسمهم يا اخواننا واستحيي ان اقول ضيوفنا، واننا جميعا في دار غربة، وكم وددنا ان نجتمع بهذه الوفود في دارنا « الجزائر » فترون ما يشرح صدوركم ويبهج خواطركم من ارتباط الجزائر بالشرق والعروبة والاسلام .

ايها الاخوان ايها الزملاء حملة الاقلام : احقيقة ما ترى عيناى ام خيال .. ؟ اخوة طوحت بهم الاقدار، وفرقتهم صروف الدهر في الاقطار، فما يلتقي رائح منهم بمبكر، ثم يجتمعون في هذه الليلة وفي هذا البلد على غرة، وعلى غير ميعاد، كما تجتمع اشتات الزهر في ابانها، وفي مكانها، تختلف منها الاشكال والالوان، ولكن يجمعها الشذى والطيب والجمال .

احق أن باريس وهي منبع شقائنا، والصفحة العابسة في وجوهنا، ترفع لحظة عن عادتها، فتتيح لنا ان نجتمع بين حناياها هذا الاجتماع، فلولا حقوق للاوطان في اعناقنا، ولولا عهود يجب ان نرعاها لديارنا، لكدنا نغتفر لباريس جميع ما جنته علينا من مصائب، ونمحو لها ـ بهذه الحسنة ـ جميع السيئات، ولكن تأبى علينا ذلك دماء في تونس تسيل (تصفيق حاد متواصل) وشعب في المغارب الثلاثة يعذب، وشباب تفتح له السجون والمعتقلات وتغلق في وجهه المدارس والمعاهد، ودين في الجزائر يمتهن .. فهيهات ان نصفح عن باريس او نصافحها بعد ان جنينا المر من ثمراتها، وهيهات ان يسميها « دار العلم » من لم ير منها الا الظلم، وهيهات ان يسميها عاصمة النور من لم تعشه منها الا الظلمات، وهيهات ان يسميها دار مساواة من لم يعرف منها الا الاجحاف .

ايها الاخوان :

ها هو الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده يدافعون عن حماه بالحق، ويجادلون عن حقه بالمنطق، وما منهم الا السيف مضاء، والسيل اندفاعا، وان وراءهم لشبابا سينطق يوم يسكتون، وسيتكلم بما يخرس الاستعمار ويسوءه، وأن بعد اللسان لخطيبا صامتا هو السنان .

واننا لرجال، واننا لابناء رجال، واننا لاحفاد رجال، وان اجدادنا دوخوا العالم ولكن بالعدل، وسادوه، ولكن بالاحسان، وان فينا لقطرات من دماء اولئك الجدود، وان فينا لبقايا مدخرة سيجليها الله الى حين .

رمي الشرق باريس بهذه الافلاذ فخاطبوا الامم، وخطبوا في منظمة الامم، هذه المنظمة التي سميت بغير اسمها، وحليت بغير صفاتها، وما هي الا مجمع يقود اقوياؤه ضعفاءه، ويسوق أغنياؤه فقراءه، وما هي الا سوق تشرى فيه « الاصوات » بأغلى مما كانت تشترى به أصوات « الغريض » و « معبد » غير ان الاصوات القديمة كانت فنا يمتزج بالنفوس، اما هذه الاصوات فانها تنصر الظلم وتؤيد الاستعلاء والطغيان، وشتان ما بين الصوتين، وتباع فيه الذمم والهمم

والامم بيع البضائع فى السوق السوداء ، وما هي الا مجلس نصبوه للشورى فكان للشر ، وعقدوه للعدل والتناصف ، فكان فيه كل شيء الا العدل والتناصف.

رمى الشرق باريس بأفلاذ كبده فعز على المغرب العربي ان يبقى بعيدا مع قرب الدار ، فرمى باريس بأفلاذ من كبده ليلقى الاخ اخاه فيتناجيان بالبر والتقوى ، ويهش وجه لوجه ، ويتحرك قلب لقلب ، وتصافح يد يدا ، وترد تحية عن تحية ، ثم يقوى ساعد بساعد ، ويشتد عضد بعضد ، ويمتزج ضعف بضعف فتتكون منهما قوة (وضعيفان يغلبان قويا) « تصفيق »

ايها الاخوان :

لم يؤثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الافريقي ، ولا اثرت الاديان الراحلة اليه جزءا مما اثر الاسلام ، واثرت العروبة ، لان الفاتحين لهذا الوطن قبل الاسلام انما جاءوا بدين القوة وشريعة الاستغلال اما الاسلام فقد جاء بالعدل والاحسان ، وجاء وافيا بمطالب الروح ومطالب الجسم وبالمبادىء الانسانية بمعناها الصحيح على هذه الارض ؛ لذلك كان سريع المدخل الى النفوس ، لطيف التخلل الى الافكار ، قوى التأثير على العقول ، فطال فى هذا الشمال امده ، وسيبقى ما دامت الفوارق موجودة بين الانسان والحيوان .

وان هذا الشمال الافريقي كل لا يتجزأ (تصفيق) تربط بين اجزائه دماء الاجداد ولسان العرب ، ودين الاسلام ، وسواحل البحر من الشمال ، وجبال الرمال فى الصحاري وسلاسل الاطلس الاشم فى الوسط ، واتحاد الماء والهواء والغذاء ، وانها لخصائص تجمع الاوطان المتباينة ، فكيف لا تجمع الوطن الواحد ؟

ان تفرق الاجزاء لم يأت من طبيعة الوطن، وانما جاء من طبائعنا الدخيلة ، ومن تأثراتنا القريبة بالدخلاء ، واني لمتفائل بأن هذه الليلة ستكون فاتحة لعهد جديد واتحاد عتيد ، ونور من الرحمة والاخاء ينظم المغارب فى سلك كما يتفاءل السارون المدلجون بانبلاج الفجر فعسى ان يتحقق هذا التفاؤل فتكون هذه الليلة اول خيط فى نسج الوحدة الافريقية التي هي آخر أمل للمتفائلين مثلي ، وان العنوان الدال على ما وراءه هو اجتماع جميع حركات الشمال الافريقي فى هذا الجمع وان البشير بتحقيق هذا الامل هو امتزاجنا حول هذه الموائد باخواننا الشرقيين ، ومن بركاتهم ان تجتمع حركاتنا كلها فى صعيد واحد ، وكلها لسان يعبر ، وقلب يفكر ، وآذان تستمع ، وانا لنرجو ان تكون قلوبنا غدا غير قلوبنا امس ، وان نفيء الى الحق الذي أمر الله بالفيئة اليه فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (تصفيق) .

ايها الاخوان :

يقول المستعمرون عنا اننا خياليون ، واننا حين نعتز باسلافنا وتاريخنا نعيش فى الخيال ، ونعتمد على الماضي السحيق ، ونتكل على الموتى ، يقولون هذا عنا فى معرض الاستهزاء بنا او فى معرض النصح لنا — وانا لا ادري متى كان ابليس مذكرا — وانا لنعلم ما يرمون اليه ، انهم يريدون ان ننسى ماضينا فنعيش بلا ماض حتى اذا استيقظنا من تنويمهم ونومنا لم نجد ماضيا يبني عليه حاضرنا فنندمج فى حاضرهم ، وهو كل ما يرمون اليه .

وسلوهم هل نسوا ماضيهم ؟ انهم يكذبون ، انهم يبنون حاضرهم على ماضيهم ، انهم يعتزون بآبائهم واجدادهم ، انهم يخلدون رجال الفكر والادب والفلسفة والجنود والفاتحين ، وهذه شوارعهم تشهد ، ان القوم يستصبوننا ويعتقدون اننا صبيان فيذكرون حاضرهم وماضيهم ليبنوا عليهما مستقبلهم، فمن حقنا ، بل من واجبنا ان نعرف ماضينا والرجال الذين عمروه فى ميادين الحياة فنعرف من هو ابو بكر ؟ ومن هو عمر ؟ وما صنع عقبة وطارق ، وموسى وطريف فى الغرب وما صنع المثنى وسعد وخالد وقتيبة فى الشرق .

الا انهم يذكرون ابناءهم بماضيهم ، ويلقنونهم اعمال اجدادهم ، وانهم يذكرون ابناءنا المتأثرين بعلومهم وفلسفتهم بذلك ، ويأتونهم بما يملأ عقولهم وانفسهم حتى لا يبقى فيها متسع لذكريات ماضينا واسلافنا . ان الواحد من هذا الصنف من ابنائنا ليعرف الكثير عن نابوليون ولا يعرف شيئا عن عمر ، ويحفظ تاريخ « جان دارك » ولا يحفظ شيئا عن عائشة وخديجة ، وانها هذه لهي الخسارة التي لا تعوض ، واني اعد من لئيم المكر ان يحرفوا اسماء اعلامنا عندما كانوا يأخذون العلم عنا ، كأنهم الهموا

من يومئذ ان الزمان سيدول وان دورة الفلك علينا بالسعد ستنتهي ، واننا سنعود للاخذ عنهم فحرفوا أسماءنـا لتشتبـه على ابنائنا فـلا يعرفـون ان « افيروس » هو ابن رشد ، وان « فيسن » هو ابن سينا ، وان « جبرل طار » هو جبل طارق ، وهكذا يقرا ابناؤنا اليوم هذه الاسماء ولا يهتدون الى اصحابها حتى يطلعوا على الترجمة ، وقد يبقى اثر الشك فى نفوسهم لما يصحب تثقيفهم الاجنبـي من تحقيـر لجنسهم وحكم على اجدادهم بالعقم الفكري . وانهـا المصيبة يجب علينا ان ننبه لخطرها ، ونبادر بالعلاج ، وان دواءها الوحيد هو تثقيف ابنائنا تثقيفا عربيـا دينيا موحدا ، واقول موحدا لانني اعتقد ان الخلافات السياسية والفكرية التي منى بها الشرق معظمهـا يرجع الى اختلاف الثقافات ، فالمثقف ثقافة انجليزية يحترم الانجليز ، والمثقف ثقافة فرنسية يحتـرم الفرنسيين ، فكاننا استبدلنا من جنسيتنا الواحدة جنسيات متعددة كلها غريبة عنا ، وكلها مجمعة على هضمنا واهتضامنا ، ولولا النزعة الموروثـة عـن الاجداد الذين قهروا الرومان فى افريقيا ، ودفعـوا الصليبيين عن الشرق ، لما بقي لنا شيء من ذلـك التراث الجليل ، بفعل تجهيلنـا الـذي هو غايـة الاستعمار فينا ، وبفعل هذه التعاليم الغريبة عنا .

أيهـا الاخـوان :

ليس من سداد الرأي ان يضيع الوقت فى لوم هؤلاء ، وليس من المجدي ان يقطع الوقت معهم فى جدل . ان من تمام معنى اللوم ان يتسبب فى توبة او انابة ، ونحن نعلم ان القوم لا يتوبون ولا يذكرون والواجب ان نلوم انفسنا عن التقصير ، ونقرعها على السمع لكلام هؤلاء وعلى الطاعة لارشادهم ، اما لومنا اياهم فهو لوم الخروف للذئب ، وامـا طمعنـا فى توبتهم فهو طمع الخروف فى توبة الذئب ، فان اردتم أن تروا المثل الخارق لتوبة الذئب فقلموا أظافـره واهتموا انيابه ، كذلك ان اردتم توبة القوى فاحتقروا قوته ، ثم اروه انكم اقوى منه فيتصاغر ثم يتخذل ثم يساويكم فاذا هو اقل منكم ، ان هذه هي اللغة التي يفهمها الطغاة ، وان هذه هي التوبة التي يجـب ان يحملوا عليها حملا يلجأوا اليها الجاء .

لا نطيل فى التلاوم فنكون كمن قال فيهم الله : « واقبل بعضهم على بعض يتلاومون » فاذا تلاومنـا فليكن زجرا عن الشر ، وردعا عن الخلاف ، ثم رجوعا الى الحق ولقد نبه شوقي اخواننا المصريين حينما كانوا يقطعون اوقاتهم فى التلاوم فيشغلهم ذلك عن الاستعداد ، ويراهم فى موقف تلزم فيـه المؤاخذة الوطنية فقال :

لا يلم بعضكم على الخطب بعضا
أيها القوم كلهـم ابريـاء

فلندع اللوم والعتاب ، ولنفعل ما يفعله الصاحي حين يستيقظ من النوم ، من حزم وتشمير وجد ، فبذلك يلحق القوافل المبكرة لا بالتباطؤ والاخلاد ومعاودة النوم .

ان شبابنا هم احق باستجلاء هذه العبر وهم احق بوصل المبتدا بالخبر ، وهم احق ايضـا بأن ياخذوا العظة عن المتنبـي ، وان ياخـذوا دروس الحياة الفطرية البدوية عليه وان لا يكونـوا شبابـا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة حتى يؤدوا امتحانـا فى منهج المتنبي وعلى طريقته اذ يقول :

واهوى من الفتيان كل سميذع
اريب كصدر الصعدة المتقوم

خطت تحته عيس الفلاة وخالطت
به الخيل لجات الخميس العرمرم

فان فعلوا ذلك فانا كفيل لهم ان يدخلوا البحر ولا يغرقوا ، وان يعبوا من هذه التعاليم ولا يسرقوا .

أيهـا الاخـوان :

ان القوم درسونا وفهمونا وتيقنوا اننا لن نفنى ما دمنا متمسكين بالعرى القوية من الدين واللغـة والشرف ، فرمونا بالوهن فى مقوماتنا وبداوا بالدين فسخروا علماءه ووجدوا ثغرا قديمة فينا من الضلالات فوسعوها وادخلوا على الدين ما ليس منه وشجعـوا القديم والمحدثات بواسطة وبوسائط اعانهـم على ذلك الانحطاط العام الذي ابتليت به العلوم الاسلامية من المائة الثامنة الى الان ثم عمـدوا الى الكبـراء فأغروهم بالمال والالقاب والرتب ، واغروا بينهـم بالعداوة والبغضاء ، ثم عمدوا الى الشباب فرمـوه بهذه التهاويل من الحضارة الغربية وبهذه التعاليـم التي تقضي على العقل والفكر وتحرف المسلم عـن قبلته ، وتحول الشرقي الى الغرب وان من خصائص هذه الحضارة ان فيها كل معاني السحر ، واساليب

الجذب فأصبح ابناؤنا يهرعون الى معاهـــد العلـم فيرجعون الينا ومعهم العلم واشياء اخرى .. وليس منها الاسلام ولا الشرقية ومعهم اسماؤهـــم وليس معهم عقولهم ولا افكارهم ، وان هذه هي المصيبـــة الكبرى التي لا نبعد ان سميناها مسخا ، وليتها مسخ للفرد ، ولكنها مسخ للامم ، ومسخ لمقوماتها .

أيهـــا الاخـــوان :

ان النقطة التي ابتدأ بها بلاؤنا وشقاؤنا هـــي انهم ارادونا على الانقسام ، وزينوه لنا كمـــا يزيـــن الشيطان للانسان سوء عمله ، فانقسمنا ، فوسعـــوا شقة الانقسام بيننا بأموالهم واعمالهـــم وآرائهـــم ، وعلومهم وكتبهم ولم يبقوا اداة من ادوات التقسيـــم الا جندوها فى هذا السبيل ، ولم يغفلوا الاستـــاذ والمعهد والمرأة والسمسار ، حتى بلغوا الغاية فى تقسيمنا شيعا ، ودولا وممالك ، ولو اننا تعاسرنـــا عليهن من اول يوم ، ولذنا بكعبة الوحدة نطوف بها ، ونلتزم اركانها ، لما نالوا منا نيلا ، ولا وصلنا الى هذه الحالة ، اما وقد بلغوا منا ما يريدون واصبحنـــا فى درجة من الضعف نعتقد معها ان الله خلقنا خلقـــة الارنب ، وخلقهم خلقة الاسد ، وجف القلـــم ، ولا تبديل لخلق الله فأول واجب علينا بل اول نقطة يجب ان تبتدىء منها سعادتنا هي ان نفكر بهذا الانقسام ، وان نفكر عليه بضده ، وهو الوحدة الشاملة لجميع الاجزاء ، وكيف يكون ذلك ؟ وقد تسببت على ذلـــك التقسيم اوضاع جديدة ، وملوك وممالك وحدود ، وان تغيير الممالك لصعب ، وان فطام الملوك عن لذة الملك لاصعب منه فلنلتمس مفتاح قضيتنا من بين هذا الركام من الادوات البالية ، ولنعد الى اقـــرب ميسور وهو ان نعتبر المعتدى على جزء معتديا على جميع الاجزاء وعدو العراق عدو مراكش انهـــم ان علموا ذلك منا علموا جدنا فيه تابوا عن سيرتهم توبة المكـــره .

والذي روحي بيده ما يسرني ان تكون للعرب ثمان دول ولا ان يكون للمسلمين عشرون دولة وانما يسرني ويثلج صدري ان يكون المسلمون كلهم شعبا واحدا فى اتجاه واحد وعلى فكر واحد فاذا وجد هذا الشعب لم يبق لهؤلاء الاقوياء الا ان يقولـــوا : ان فى الشرق قوما جبارين وانا لن ندخله ما داموا فيه ، ان القوم استضعفونا ففرقونا فاكلونا لقمة لقمة فاوجدوا هذا الشعب الموحد تحيوا وتحيوا العالم به ، اوجدوه تسعدوا العالم به اوجدوه يكن حكما فى مشكلة هذا العصر وهي مشكلة الغني والفقيـــر ، تكتلـــوا ففي استطاعتكم ان تتكتلوا .. تكتلوا يعنكم العصر بروحه، انه عصر التكتل وان للاقوياء لم تغن عنهـــم قوتهـــم شيئا فاصبحوا يلتمسون انواع التكتـــل ، فهـــذه انجلترا وهذه امريكا تتكتل ، وهذه روسيا تتكتـــل فكيف لا نتكتل ونحن ضعفاء .

اننا ضعفاء ومن القوة ان نصرح باننا ضعفاء لان من كتم داءه قتله ، فيجب علينا ان لا نتعاظم بالكذب ما دام عظماؤنا لا ينالون الا الفتات من مائدة الحياة .

أيهـــا الاخـــوان :

اذا حدثتكم عن الاسلام او اجريته على لساني فلست اعني هذه الظاهرة الموجودة بين المسلمين وانما اعني ذلك الاسلام الذي سعـــد به اصحـــاب محمد (ص) واسعدوا به العالم ، والـــذي بنـــى الحضارة التي سارت الانسانية على هداها قرونا ، والذي حرر الفكر والعقل ، وصحح الاتجاه والتفكير ، والذي وحد القلوب والمشاعـــر ، فان اردتـــم ان تسعدوا فعودوا الى ذلك الطراز العالـــي المتصـــل بالسماء ، ان السعادة منبثقة من النفوس وان الشقاء لكذلك ، وان ارادة الانسان هي زمامه الى الجنـــة والنار وان اول من يجب عليه ان يؤذن بهذا الصوت الجهير هم علماء الاسلام ، فكل عالم مسلم يدعو الى اتحاد المسلمين ولا يعمل له ولا يموت فى سبيله فهو خائن لدينه ولامانة الله عنده ، ان العالم الذي يسكت عن قولة الحق جبان وان الجبن والايمان لا يجتمعان فى قلب مؤمن . وان عهد الله فى اعناقهم لعهد ثقيل، وان امانة الاسلام فى نفوسهم لعظيمـــة ، وانكـــم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف فى هذه الدار وتلك الدار .

فالتكتل التكتل ، والاتحاد الاتحاد ، كرروا هذا اللفظ ، وافهموا معناه ، واعملوا لـــه فانـــه أشرف انواع الجهاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب سعادة عــزام باشــا

اخواني ، لم يكن في استطاعتي أن آتي في هذه الليلة ولكني ما جئت الا بدافع محبتكم ولولا ذلك لما استطعت المجيء لكن حبـي للمغاربـة وبخاصـة الجزائريين قواني فحضرت ، انني اخص الجزائـر بالحب لانها أكثر اقطار الشمال الافريقي نكبة واقدمها

لقد كنت أتمنى ان اتحدث لكم الليلة طويلا عن حياتنا في الشرق والمغرب ، ولكن نظرا لمرضـي سأقصري حديثي على نقطتين :

أولا ــ هو انني اقول لكم ابشروا وثقوا في الله سبحانه وتعالى ، واذا نظرتم للماضي فلا يسعكم الا ان تستبشروا بمستقبل باسم ، انظروا الى قرنيـن وراءكم ثم قارنوا بين الحالة قديما وبين هذا الاجتماع الرائع واستقبلوا حياتكم الباسمة الآتية وتيقنـوا ان الفلك دار دورته وان هاته الامة امة المستقبل وان الله يريدها لاصلاح العالم كله ولانقاذه من ادران هاته المدنية وشرورها حتى تعم رسالتها الخالـدة في الحريـة والسـلام .

اما الامر الثاني الذي ارجوه فهو ان يعلم المغاربة ان عدوهم واحد فلا معنى لان يتفرقوا ، ولا يمكن لهم أن ينالوا شيئا متفرقين ، يجب ان يكون المغاربـة اجمعون جبهة متينة اذ لا معنى لهذا التطاحن والعدو جاثم على صدر البلاد ، ان هذا التطاحن يكـون في الامم الحرة التي تختلف وجهات نظر قادتها اما غايتكم فلا يختلف فيها اثنان .

ان ما انتم فيه من الناحية الاستعمارية فهـو عدوان لا حد له ، وطغيان لم يعرف له التاريخ نظيرا فلا يمكن للفريق المستعمر المظلوم ان يوزع جهوده في احزاب ، هناك حزب واحد هو حزب الخلاص .

ايها الاخوان انني صديق لكم ، بل اخوكم ، وانا كرجل عمل كثيرا في سبيل ما تكافحون من اجلـه وحاولت بالقليل من الوسائل التي عندي لاساعدكم ، وانا كرجل عاصركم واطلع على احوالكـم في تونس والجزائر والمغرب ، وعلم ما أنتم فيه من المصائب لا ارى ان تتفرقوا شيعا بل ارى لشمال افريقيا كلها حزبا واحدا هو حزب الكفاح .

ايها الاخوان ان الناس جميعـا يعلمـون في المشرق والمغرب انني رجل اكره التعصب وانـني أحب المسيحيين المخلصين الذين يعملون من أجل بلادهم ولكنني اقول لكم انكم لا يمكن لكم أن تـردوا مجدكم الغابر ولا يمكن ان تكون لكم اية نهضة الا اذا قامت على مبادىء محمد صلى الله عليه وسلم .

ان ما يثلج صدري الليلة وجود جمعية العلماء بالجزائر ، تلك الجمعية التي ستنشر الدين المحمدي الفطري بعيدا عن التعصب بعيدا عن الخرافات ، بعيدا عن التدجيل ، وانني ارجو لهاته الجمعية النجاح لا في الجزائر وحدها بل المغرب كله ، بـل في العالـم الاسلامي كله وبذلك يعود للعالم السلام والطمانينة لان الاسلام هو السبيل الحق الى الاخـاء البشـري والحرية الصحيحة والسلام العالمي .

خطاب سعادة فارس الخـوري

ايهـا الاخـوان :

انني اقف بينكم لا لاخطب عليكم لان ما سمعتموه من فضيلة الشيخ الابراهيمي زاد عظيم ، تتزود منه ارواحنا وعقولنا فيجب ان نأخذ من كـل فقـرة من فقراتها درسا ، وهي تتطلب الليالي ذوات العـدد للعكوف عليها ودراستها .

انما وقفت لأؤدي شهادة يجب علي أن أؤديها ، وهي انني حضرت في منظمة الامم سنين وسمعت جميع خطبائها ، وما منهم الا الخطيب المفوه المتاز لان أممهم اختارتهم وبعثتهم الى منظمة الامم ليمثلوها بفصاحتهم ، وافكارهم واقتدارهم ، فهم فصحـاء ، وذوو بيان وقد يقف الواحد منهم فيتكلم الساعـة والساعتين لا يتلعثم ولا يتلجلج ، ولكني أشهد ــ وثقوا بشهادتي ــ انني لم أتأثر بكلامهم مثل تأثري الليلـة بكلام فضيلة الشيخ الابراهيمي ؟ وليس تأثري راجعا لبلاغته وفصاحته فقط ، وانما تأثرت بذلك لكونـه يتكلم من عقله وروحه ، ويخرج الكلام مساوقـا لشعوره ومشوبا بصدقه ؛ والخطيب لا يؤثـر الا اذا كان هو متأثرا ، وفضيلة الشيخ لم يخاطبنا الليلـة بلسانه ، وانما خاطبنا بنبضات قلبه ، وبفيض ايمانه وعقيدتـــه .

أما أولئك الخطباء فلا يتكلمون بضمائرهم ، وانما يتكلمون بما تمليه عليهم دولهم ، فهم كاذبون ولذلك لا يؤثرون على اصحاب العقائد الثابتة .

لقد عرفت فضيلة الشيخ في دمشق منذ ثلاثين سنة وهو في ريعان الشباب ، فعرفته عاملا للعروبة، زينة لمجالس الادب ، نابه القدر بين العلماء والادباء، محبوبا عند تلاميذته واصدقائه الكثيرين ، واليـــوم يقدر لي ان اتصل به فاراه انضر شبابا واغض فتوة ، واشد حيوية ، فلقد عاد الى الجزائر ففتح الاعيـــن العمي ، والقلوب الغلف ، كما فعل عقبة وعمـــرو في الاوليـــن .

انني اشهد ثانيا بانه ما دام في الجزائر مثل هذا الشيخ الجليل قائما ـ والحمد لله ـ مطمئنـــون على عروبتها وشرقيتها ، ولن تضيع أمة وفيهـــا مثـــل الابراهيمي ، ولن تخيب أمة وفيها مثله ، ولن تخيب الجزائر وفيها جمعية العلماء التي اعادت للعروبـــة عزتها ، وللغة الضاد بهجتهـــا ؛ فمـــا على اخوانـنـــا الجزائريين الا ان يلتفوا حول هاته العصابة الموفقة التي يغبطهم الشرق عليها ؛ هذه الجمعية التي طلعت نورا ، ونزلت قطرا ، فانبتت زهرا .

ولا يسعني الا ان اهنئكم ولا اطيل عليكم ، لانه ليس لي بعد بيان البشير بيان ، فما علينـــا الا ان نخرج مزودين بخير زاد ، فخير معاد ، ثم ننصرف راشدين كما قال لنا فضيلة الشيخ الابراهيمـــي . فلننصرف راشدين ، وفي الدرس الذي اعطانا اليوم مفكرين ، ولتحقيقه مجدين عاملين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



أبعاد الحضارة المغربية

في افريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

يندرج المغرب جغرافيا فى الكتلة الافريقيـة ويشغل مركزا استراتيجيا يعتبر المفتـاح المشرف على منطقتين حيويتين تتسمان بحساسية متناهية وهما البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطيكي.

وقد ظل المغرب الاقصى طوال الف سنة ونيف فى طليعة الركب العربي يحمل مشعـل الحضـارة الاسلامية ولا يزال يشكل الى الآن صلة وصـل بين عالمين كما يعتبر « هندسيا » ملتقى النقاط الجوهري فى العلاقات الدولية .

فطنجة التي كانت عاصمتـه الديبلوماسيـة المغربية خلال حقبة طويلة من العصور الحديثة هـي واجهة هامة فى منافذ البحر المتوسط تعززها مدينة سبتة التي ما فتئت فى العدوة الجنوبيـة نقطـة ارتباط بين الاندلس والمغرب ومنطلق الفكر الحضاري المغربي الى اوروبا فى تضامين الربوع الاسبانيـة وجبال البرانس ، فالحاضرتان المغربيتـان تشكلان مع جبل طارق بالنسبة للحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ما شكلته قنـاة السويس فى الحـوض الشرقي لهذا البحر الاخضر الذي ظل طوال القرون الوسطى بحرا عربيا بعد أن كان رومانيا ولا يزال حتى فى عصرنا الحاضر المجال الحساس لتجاذب الكتلتين فهذان الطرفان المشرفان على مركز يعتبر عصـب الاستراتيجية العالمية هما اذن معقـلان عربيـان يتواكبان على طول الساحل الجنوبي لهذا البحـر فى ظل خمس دول عربية ـ هي مصر وليبيـا وتونس والجزائر والمغرب ـ ويشهد العالم الآن مجاذبـات بين الدول المتوسطية وغيرها من الدول الاطلنطيكية او القارية ممن تمخر أساطيله عباب هـذه الميـاه المحصورة بين مضيق جبل طارق وقناة السويس ، واذا اعتبرنا أن ثلاثة اخماس هذه الشواطىء تمتد من دمشق الى طنجة لمسنا خطورة الموقع وانعكاسات هذه المجاذبات وضرورة حفاظ العروبة على كلمـة الفصل فى خضم الصراع الذي يكاد يستعر ـ رغم بروده بين كتل باعد بينها تنافي المصالح وتضافـر المطامح ، فالدور الطلائعي الذي تقوم به كتلة العالم الثالث وفى ضمنها العالم الافريقي العربي ـ تدعمه امتلاك الذهب الاسود والمواد الاولية بقدر ما يسنده هذا الوضع الاستراتيجي الحساس الـذي يشغـل المغرب الاقصى الفقرة الحيوية فى جهازه العصبي فللمغرب اذن رسالة افريقية، وهذه الرسالة تقوم بها المملكة المغربية فى اطار تعادلية وتكاملية بين شعوب القارة السمراء التي تحررت من نير الاستعمـار او كادت الا أن اشعاع المغرب الحضاري وخاصة منـه الثقافي انعكس خلال فترة غير قليلة من التاريـخ المشترك الى حدود النيجر جنوبا والنيل شرقـا ، ففى عهد المرابطين امتدت ابعاد هذا الاشعاع فشملت جزائر بني مزغانة والصحـراء الى ما كان يسمـى بالسودان بينما دعم الموحدون جهازا قويا تواصلت حدوده بين قشتالة وطرابلس الى تخوم الصحراء فى وحدة حضارية وفكرية ما زالت معالمهـا شاهـدة بفعالية الرباط ووثوق الصلة بين أقاليم لم تعـرف « حدودا » وضمن مجموعات لم تكـن تشعر قـط بالانصرامية ـ قبل تسريب الاستعمار لهذه الوطنية الضيقة ولتلك النعرة الانفصالية التـي تنافـرت معطياتها بين امم جمعت متناثرها وحدة الفكر والدين واللغة والتاريخ حتى كنت تشهد رجـلا مثـل ابن خلدون التونسي يستكتب فى فاس وبجاية ويستقضي فى القاهرة ويجول طليقا بين أمهات الحواضر العربية فى حرية لم تعرف جمركا ولا تأشيرا انمحى فيها افتعال

السلالات وتمحل الالوان ولم يكن اشعاع المغرب الاقصى عارضا عابرا بل استمر نوره الوضاء متلالئا فى عهود لاحقة من بني مرين الى عصر الحسن الاول عام 1893 حيث ظلت قبائل الصحراء الجنوبية والشرقية تتهاطل كالسيل للالتفاف حول العرش المغربي كما التفت قبائل البربر الافريقية عن بكرة ابيها تلقائيا حول المولى ادريس الاول عندما انتفض فى طفرة صوفية لم يعرف التاريخ لها مثيلا ـ كما قال ابن خلدون ـ وهي صورة تحدد ابعاد الصلة الجذرية التي وثقها الاسلام بين الشرق والغرب والتي يحاول المؤرخون الغربيون ـ حتى غير المغرضين منهم ـ ان يحللوها ويعللوها من خلال نظرتهم الضيقة لمقتضيات القانون الدولي الحديث .

وكان المغرب الاقصى هو «النواة والقوة الحية» للوحدات العميقة فى الربوع الافريقية وعندما وقعت الدول الاسلامية تحت سيطرة الاتراك واندمجت مصر نفسها حوالي 648 هـ / 1250 م فى هذه البحبوحة لم يعد فى العالم قطر عربي مسلم مستقل غير المغرب الاقصى فكان المغرب ـ بفضل مميزاته الخاصة ـ هو البلد الافريقي الوحيد الذي واجه هزات الحدثان ورجات النمو والتطور الطبيعي بحكمة وسداد فاحتفظ بكيانه وذاتيته واستقلاله وظلت هذه الظاهرة فريدة فى حوليات الامم وهي ظاهرة احتفاظ المغرب بقدرته ـ كما يقول ليفي بروفنصال ـ على توطيد وحدته السياسية حتى فى فترات الفوضى

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربي الاسلامي ازاء شعب من بني عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج العنصران ولم يزد توالي القرون هذا التمازج الا قوة وعمقا فتكونت مع الزمان مدنية مغربية مزدوجة القوام انصهر فى بوتقتها تراثان كلاهما شرقي الاصل طبعه الاسلام ووسمته العروبة بميسمها الخاص .

وهنا تظهر حيوية الاسلام فى افريقيا الشمالية بالخصوص تلك الحيوية التي اقر بها الفريد بيل كما اقر بها قبله وبعده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذي استطاع وحده ان يخلق فى هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سموهما واعني بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة ترابها وتراثها وهذا الشيء قد أوجده الاسلام الذي انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على ممر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى ـ هي حضارة الاندلس ـ استمدت روحها من تراث الشرق الذي نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمته ولا سداه ليمتدا الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر فى تكييف العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكري ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحوا من ثلاثة قرون اي منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتي مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هي المنوال الذي حاك عليه رجال الفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ، ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقي والمغربي اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر ادبا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلي.

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها أي اثر يذكر للحضارة اللاتينية التي قدر لها ان تمر مر السحاب فى هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صميمة اي شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالاخص فاسا وقرطبة مع عواصم الشرق فى حمل راية الحضارة العربية الاسلامية فى العالم أيام كان الجهل مخيما بكلكله الثقيل على اروبا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكري والروحي يستمد من نبراسه المشارقة والاروبيون كما هو معلوم عند من له ادنى المام بتاريخ الحضارات . وقد قامت جامعة القرويين التي أسست عام 245 هـ بدور قيادي فى القارة الافريقية فكانت مهبط رواد الفكر من العالم الاسلامي ومن أروبا .

وترجع تقاليد المغرب وطابعه الشرقي الى عهود عريقة فى القدم فقد انهالت على المغرب منذ نحو الفين من السنين موجة من المهاجرين العرب انحدرت اليه من فلسطين فكانت نواة هامة فى

مجتمعهم ثم جاء الفنيقيون العرب من غربي سواحل سوريا القديمة فعززوا وشائج العروبة بعالم امازيغ الذي وجد حتى فى اللغة البونيقية ذكريات لهجتـه العربية العتيقة ولعل هذا هو سبب نجاح البونيقية التي تغلغلت فى انحاء افريقيا الشمالية نحوا من سبعة قرون غب انهيار المراكز الفنيقية الساحلية ولم يزد الفتح الروماني هذه الرابطة الا قوة لان امراء البربر تقبلوا بصدر رحب الفلول القرطاجنية وما حملت معها من حضارة وكتب واساليب فنية (مالية وفلاحيـة) .

ان لدخول اللغة العربية قصة طريفة بدات ادوارها تتشكل منذ اوائل العصور الوسطى حيث انطلق التاثير الشرقي من جبال لبنان الى قرطاجنة ومنها الى الربع المحاذية للمحيط الاطلنطيقي ، واذا اعتبرنا أن دخول الحميريين الى المغرب هو مجرد اسطورة وضربنا صفحا عن لوازمها القاضية بأن يكون قسم مهم من سكان الاطلس البربري قحطانيين ربما كانوا اعرق فى العروبة من سواهم — فان الوجـود القرطاجني قد فسح للغة البونية فى ارباض تونس ثم فى باقي اقطار المغرب الكبير آفاقا شاسعة تبلورت فى وحدة مصطلحاتها مع العامية الدارجة فى الشمال الافريقي . ويتجلى ذلك بصورة واضحة من الرخامة (1) التي كشفها الدكتور البرازيلي السيد الاديزلو نيتو وضمنها الجزء الاول من كتابه الانطروبولوجية وهي تحمل تاريخ 125 ق. م. (أى بعد ان استولى الرومان على قرطاجنة بنحو العشرين سنة) حيث توجد عشرات الالفاظ والتراكيب مفرغة فى قالب عربي مع تحريف لا يخفى حتى على غير الاختصاصيين فى فقه اللغة وعلم الاشتقاق .

فلفة قرطاجنة عربية كنعانية ولفظة قرطاجنة نفسها معناها القرية الحديثة (قرية حداش) ولكنها استحالت — على طريقة التعطيش اللاتينية — — كما قال توفيق المدني — الى قرطاش وقد ذهب بعض المؤرخين الى حد القول بأن اللغة البونيقية مهدت السبيل للغة العربية ومهما يكن فقد اثبت البحث الدقيق أن اللهجات البربرية تتضمن فى قاموسها التقليدي بضعة الاف من الكلمات العربية القحة التي تمثل الجانب الحيوي فيها مما يدل على عراقتها وتغلغل أثرها فى شتى مناحي الحياة .

ولسنا فى حاجة الى ان نرجع للعهد الجاهلي لابراز الطابع الشرقي فى المغرب اذ يكفي ان نلاحظ مع ميشوبيلير انه (عندما حمل عقبة بن نافع الاسلام الى المغرب للمرة الاولى تقبل السكان الدين الجديد كعنصر خلاص) وتحمسوا للفاتحين العرب فاعتبروهم محررين ذلك ان القادة العرب كانوا متاهلين لتفهم عالم امازيغ الذي لم تكن شكليته الاجتماعية وجهازه الاقتصادي يتنافيان مع حياة اعراب البادية على ان البرابرة وجدوا فى الاسلام المرن السمح البسيط حوافز الوحدة التي حالت دونها فيما قبل عنصرية جهوية وعصبية قبلية ، هناك انبثق تيار جديد فأعاد الماء الى مجراه بين عالمين توامين ولم يكد المغرب يتلقى العناصر الاولى للحضارة الشرقية التي نفحتها العبقرية العربية بروح جديدة حتى انصهر المغرب والشرق انصهارا نهائيا ما زالت رواسبه حية فى القلوب منذ ثلاثة عشر قرنا بل لا تزيد مع توالي السنين الا رسوخا وتغلغلا ، فالمغرب الذي جرفت به حضارات شتى قد وجد اخيرا فى مدنية العرب ولغتهم امثولته الخالدة وقد تجلت فاس منذ الف سنة خلت بمثابة صورة حية لعواصم الاسلام فكانت — كما يقول كوتيي — معجزة فى الاقتباس من الشرق وما لبث الموحدون (البرابرة) أن طبعوا الحياة المغربية بخاتم شرقي نهائي رغم احتواء حضارتهم على الوان محلية خاصة .

وهكذا اصطبغت معظم كبريات المدن المغربية بالميسم الشرقي حتى شبه المؤرخون فاسا بدمشق والرباط بالاسكندرية ومراكش ببغداد ، واقتبس المغاربة اسماء بعض مدنهم — كالبصرة وحمص والقاهرة فى الاطلس — من التراث العمراني الشرقي.

وقد استوثقت روابط موصولة بين بغداد وانأى تخوم الصحراء المغربية فكانت سجلماسة مهبط القوافل العربية المنحدرة من البصرة والكوفة ومأوى التجار المشارقة الذين يتواردون للاستقرار فى اكنافها ، ويكفي ان نتصفح بعض مصنفات القرن الخامس والسادس « كالتشوف مثلا » لتلمس حيوية الرابطة بين الشرق العربي والبادية المغربية وقد ظل المغرب متجها نحو تقاليده الشرقية الى ان تبلورت أيام المرينيين فى شكل مؤسسات وطنية ، وبذلك امكن للمغاربة ان يحملوا طوال ثلاثة قرون مشعل الحضارة العربية فى المتوسط .

ان الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو عنصر ذاتي فى كياننا ولم تفت مجاورة اوربا الجغرافية فى وجهتنا المتمحضة نحو الشرق اذ هنالك وشائج قارة لا يقلص منها تنائي الديار وهي جزء من الروح لا تحدها التخوم الاصطناعية .

وقد تجلت مظاهر رسالة المغرب فى البحر المتوسط من خلال ذلك التاثير الذي تركته حضارتنا فى الغرب والذي لم يكن لينصرم – ضمن تبادل موصول – لولا تلك الآفة الاستعمارية التي حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا ، فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة والكيان ، فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبي فى نفوس المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تمخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربية فى البلاد .

ان النفسية العربية التي تجمع بين النبل والاريحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء ما يمس بكبريائها الوطني ويهددها فى حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربي ليست بمعناها الفردية الانانية وانما هي توقان طبيعي نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها .

فلهذا تبلورت رسالة المغرب فى اشعاع ثقافي ممتاز اكثر منها فى نفوذ مادي ومع ذلك فان قوة المغرب المادية ما فتئت سائدة فى البحر المتوسط الذي كان رومانيا فأصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) – كما يقول ماكس فنتيجو – بجزره وسواحله واساطيله ونهضة تجارته واضحت لغة القرآن هي اللغة الدولية للتجارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسي المقتدر اندري سيكفريد عضو اكاديمية باريس ان العرب غرسوا فى البحر المتوسط حضارة يانعة فطوروا الري وادخلوا غراسات جديدة كالقطن والارز وقصب السكر والحوامض (وبسببهم فقد البحر المتوسط طابعه المسيحي) .

ان الاشعاع المادي للقوة المغربية فى المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابراز الرسالة التي اضطلعنا بها فى هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدي الذي كان يضم اربعمائة قطعة ما فتىء ان اصبح اول اسطول فى المتوسط (اندري جوليان) على ان المغرب قد تزعم العالم الاسلامي والعربي فى هذا العصر مما حدا بصلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجاد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين فى طريق الشام ، وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابي الحسن المريني . وسيادة العرب فى البحر المتوسط ظهرت بوادرها ولما تمر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاوية بعض جزر المتوسط بالف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز باتناجها الجديد قوة الشرق العربي البحرية حيث صنع فى بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس الهجري عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المؤمن بن علي اهمية جبل طارق الذي هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن المغرب والاندلس . ان رسالة الحضارة المغربية الحق فى البحر المتوسط تتجلى فى مظهرين اثنين هما التاثير الاقتصادي والاشعاع الثقافي على ان الدور الاقتصادي نفسه لم يكن فى الواقع سوى نتيجة للنفوذ الادبي ، فسياسة التسامح التي نهجها المغرب فى اغلب عصوره قد ساهمت فى توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسي المغربية فى سواحل المتوسط مصادر نشاط فياض فهي التي كانت الينبوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومرسيليا وغيرها من موانيء اوربا ، وكانت هذه المبادلات تجري طبقا لنظام منسق لان المسلمين كانوا – حسب اعتراف اندري جوليان صاحب تاريخ افريقية الشمالية – أول من نظم المبادلات حسب مقتضيات التجارة الدولية وحسنوا اساليبها التي استمدها منهم المسيحيون فيما بعد .

وقد اتسمت اذ ذاك الحضارة الاندلسية – التي اضحت مصدر الهام أوربا فى العصور الوسطى – بمظهر ناصع زاده تلالا عودة الامن والطمانينة فى ظلال الموحدين .

وقد اكد مؤلف المعجزة العربية Le Miracle Arabe ان الحكومة الموحدية كانت

من اشد الحكومات احتراما للحريـــة وان الاندلس عرفت فى عهدها عصرا ماجدا تألق فيه نجم المعارف والعلوم العربية التي سرى تيارها المنعش فى جنبات أوربا ، نعم ، ان من مظاهر تلك المعجـــزة العربيـــة تحقيق شعوب أوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمانيين وانجليزيين لذلك الانقلاب الفكري العظيم الذي تفتق عن عصر النهضة وقد سبـــق لكوستاف لوبون ان قال نقلا عن العالم الايطالي ليبـــري (لولا العرب لتأخر انبعاث الاداب فى أوربا بعدة قرون) .

وقد عاشت الاندلس نحوا من ثلاثة قرون تحت ظل ملوك مراكش وفاس فكانت هذه الفترة من أزهر عصور تاريخها ولم يتصل الاروبيون بالعلوم العربيـــة الا عن طريق اسبانيا المسلمة التي برهن فيها تنافس العناصر العربية والمسيحية (عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية) وما لبث هذا الاشعاع العربي ان غمر شعوب الغرب فأثار كبريات العواصم وتشمل مدن بيز وبولوني ومونبيليي وسلامانك وافينيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتـــح امامها مجال الفكر والحياة الثقافيـــة ورغم انهـــزام الموحدين السياسي وعـــودة الاندلس الى حظيـــرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظر الغربيين حتى صارت باريس نفسهـــا التـــي اسس جامعتها الملك فيليب أوجست على اثر عودتـــه من الشرق ــ تستمد من المغرب والشرق كثيرا مـــن كشوفهـــا .

اليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربي المتوسط الا فى فتوح أوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

والذي يزيد هذه الظاهرة غرابـــة ان الفتـــوح العربية لم تكن حركةتوسعية ولا حربا صليبية ضـــد المسيحية وانما كانت رسالة تمدينية لا تهدف الى اي لون من الوان الادماج ، ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحميه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتناق الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ، ولكن الملك العربي رفض هذا العرض لان اريحيته ابت عليـــه استغلال الضائقة السياسية التـــي كان الانجليـــز يتخبطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

ان المغرب ــ كما قلنا ــ هو القطـــر العربـــي الوحيد الذي يملك منفذا مزدوجا يطل على محيطين عالميين فحدوده تمتدفى نحو من الفوخمسمائة كيلومتر على طول سواحل بحر الظلمات وقد تعـــزز هـــذا الوضع الاستراتيجي فى مفترق بحرين دوليين مـــن اشد بحار العالم نشاطا يوم اصبح مضيق جبل طارق ممرا حيويا بين اقطار المتوسط والعالم الجديد .

وما لبث المغرب ان اضطلع ــ بفضل هـــذا الوضع الممتاز ــ بمهمة الوساطة بين عالمين ، ذلك ان ميزة المغرب كقطر افريقي شرقي يطل على اوربـــا ومياه العالم الجديد قد جعلت منه نقطـــة اتصـــال وازدواج بين حضارتين ما فتئتا تتفاعلان منذ قرون من اجل امداد الانسانية بلبابهما المختار ولعل هذه الميزة هي التي ساعدت على اشعاع حضارتنا فيمـــا وراء البحار حيث تجاوبت اصداؤهـــا فى العالـــم الجديد منذ القرن السادس عشر بعد ان اخترقـــت مجاهل بحر الظلمـــات .

ــ يتبـــع ــ



ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة

- 1 -

للأستاذ محمد المنوفي

ظهرت بوادر التحرك الاجنبي نحو المغرب الكبير ، مع مطالع المائة الهجرية التاسعة ، او عند بداية القرن الميلادى الخامس عشر ، وسنتبين ان اسبانيا قامت فى التاريخ ذاته بنسف مدينة تطوان ، لياتي بعدها دور الاعتداء البرتغالى على سبتة عام 818 هـ / 1415 م .

وهذا التاريخ سيكون — على العموم — هو منطلق الفترة المعنية بالدراسة التى نعرضها ، حتى تنتهي بعد حدث الجلاء الاندلسي الاخير عام 1018 هـ / 1609 م .

مع ملاحظة أن هذا العدوان المزدوج ضد الشمال الافريقى ، لم يبلغ حدته الا عندما اطلت فترة العصور الحديثة ، بعد فتح القسطنطينية عام 857 هـ / 1453 م .

* * *

أما المغرب المعنى بهذه الدراسة فهو يستوعب مفهومه الواسع ، ليشمل كلا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الاقصى .

* * *

وقد عرفت هذه المنطقة — خلال الفترة المشار اليها — اربعة احداث بارزة :

— الغزو الاجنبي .

— الهجرات الاندلسية .

— الوجود العثماني .

— وفادات من جنسيات اخرى .

وهدف هذه المحاولة شرح اثر تلك الاحداث في تطوير المظاهر الحضارية للمغرب الكبير ، غير انه سيكون من المناسب التمهيد بمدخل عن طبيعة

(*) اعد برسم المؤتمر الاول لتاريخ المغرب وحضارته ، المنعقد بتونس : 24 — 29 ديسمبر 1974 م ، ثم نشر فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج 4 . المجلد 51 .

ان المصادر والمراجع التى يتكرر النقل عنها ، يكتفى — فى المرة الاولى — بذكر المعلومات الضرورية للتعريف بها : المطبعة او مكان المخطوط ورقمه ، فضلا عن اسم المؤلف ان وجد دون أن نكون بحاجة الى اعادة هذه التوضيحات عندما يتكرر الرجوع الى نفس المصدر او المرجع .

الاحداث ذاتها ، ثم رد الفعل المغربي ضد التدخل الاجنبي .

وقد جاءت غارات البرتغاليين والاسبان على السواحل المغربية في مقابل انتصارات العثمانيين على اوربا ، وبدأت المعركة — اول الامر — من المغرب الاقصى عند الساحل المغربي للمتوسط ، وامتدت — بعد ذلك — متجهة نحو شرق الساحل نفسه ، والى الشاطىء الاطلسي ، وعندما اشتدت المعركة تدخل البابا الاسكندر السادس عام 899 هـ / 1494 م ، وفض النزاع بين الدولتين المعتديتين ، فصار معظم المغرب الاقصى من نصيب البرتغال ، بينما يختص الاسبان ببقية المغرب الكبير (1) .

ومن المؤكد ان الحملة صارت تهدف الى الاستيلاء على الشمال الافريقي عن طريق احتلال الشواطىء ، حتى ينحدر المغرب الكبير الى التنصير او الابادة .

ومما يفسر هذا أن مدينة مراكش صارت مهددة باحتلال البرتغاليين بعدما تمكنوا من التسرب الى نواحي أكادير .

ومدينة فاس — بدورها — كانت هدف جيوش سيبستيان في موقعة وادي المخازن ؛ ومن الثابت ان الغزاة — في هذه الحملة — أعدوا صلبانا ليقوموا بتعليقها قريبا من مساجد فاس ومراكش (2) .

وفي الجزائر كان الاسبان قد توغلوا — فعلا — الى تلمسان ونواحيها ، وهي نفس الخطة التي كانت مبيتة ضد بقية الشمال الافريقي .

* * *

وقد استمرت عمليات الغزو — على مستوى المغرب العربي — قرابة قرن ونصف القرن ، وبدأت بطيئة متقطعة ، ثم تصاعدت بعد فتح القسطنطينية والقضاء على بيزنطة عام 857 هـ / 1453 م .

وكانت الاسبقية لاسبانيا ، فقامت بتخريب تطوان القديمة من عام 803 هـ / 1401 م (3) .

وبعد هذا تسلسل احتلال البرتغاليين لشواطىء المغرب الاقصى حسب التواريخ التالية :

سبتة : عام 818 هـ/1415 م
القصر الصغير : 863 هـ/ 1458 م
طنجة : 869 هـ/ 1464 م
انفا : 872 هـ/ 1467 م
اصيلا : 876 هـ/ 1471 م
البريجة : 907 هـ/ 1502 م
أكادير : 911 هـ / 1505 م
أسفي : 912 هـ / 1506 م
ازمور : 914 هـ / 1508 م
المهدية : 920 هـ / 1515 م

اما مدينة مليلية فقد احتلها الاسبان عام 903 هـ / 1497 م ، وعادوا لاحتلال بسادس عام 971 هـ / 1564 م ، كما استولى هؤلاء في بقية الشمال الافريقي على مجموعة اخرى من القواعد والمدن ، منها :

بونة « عنابة » عام 867 هـ/ 1463 م
العرسى الكبير 911 هـ/ 1505 م
وهران : 915 هـ / 1509 م
بجاية : 915 هـ/ 1509 م
طرابلس : 916 هـ / 1510 م
تونس : 941 هـ/ 1534 م

* * *

وقد كان من عواقب هذه الغارات المزدوجة على المغرب الكبير ، انحسار نفوذ الحكام الوطنيين الى الداخل ، وافضى الوضع بالمغرب الاقصى

(1) كان هذا من مستتبعات معاهدة توردیسلاس Tordesillas ، وهناك وثيقة عن مراحل وتفاصيل هذا الاتفاق ، حيث أثبتها محمد بن تاويت التطواني ، في موضوع : « من زوايا التاريخ المغربي » ، مجلة « تطوان » : العدد السابع ، ص 105 — 106 .
(2) محمد الفاسي : « موقعة وادي المخزن الحاسمة » — مجلة « البحث العلمي » العدد التاسع ، السنة الثالثة ، ص 223 .
(3) « الاستقصا » نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج 4 ص 89 — 90 .

الى استبدال دولة بني وطاس بالسعديين ، وهؤلاء حولوا العاصمة من فاس الى مدينة مراكش ، وفي باقي المغرب الكبير حل العثمانيون مكان الحكام الوطنيين ، وانتقلت عاصمة المغرب الاوسط من تلمسان الى مدينة الجزائر ، بينما دمر كثير من معالم تونس العاصمة .

ومن جهة اخرى تدهور الاقتصاد الداخلي ، وتقلص ظل التجارة الخارجية نتيجة احتكار المحتلين للمبادلات مع الخارج ، وتدفق بضاعاتهم على الداخل ، زيادة على ان المغرب اخذ يتحمل تكاليف حرب دفاعية طويلة المدى .

هذا الى انه وقع القضاء على الحياة الحضرية في المدن التي وقع تخريبها على ساحل المتوسط او المحيط ، وما اعيد بناؤه منها جاء على الطراز الاجنبي .

وقد اثرت هذه الحملات في سير الثقافة على العموم ، ففترت الهمم ، وانصرف اهل العلم الى الجهاد او الدعوة له بدلا من الانقطاع للتعليم او التعلم ، وكانت نكبة تونس اكبر ، فتوقفت الحركة العلمية في مجموع القطر بعد اعلان الحماية الاسبانية ، ونزح كثير من اعلام الخضراء الى المشرق او المغرب (4) .

اما محنة الكتب العلمية وخزائنها فكانت من اعظم الفواجع ، فاستولى البرتغاليون على ما كان بسبتة من الكتب بعد احتلالها (5) ، وفي تلمسان عبث الاسبان بمؤلفات العلم والدين بها (6) ، والكارثة الكبرى هي التي حاقت بخزائن تونس العاصمة بعد الحملة الاسبانية الثانية عام 980 هـ / 1572 م ، وعن هذا التاريخ يقول ابن ابي دينار (7) .

« ... وفي تلك الايام اهين المسجد الاعظم « الزيتونة » ، ونهبت خزائن الكتب التي به ، ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس ، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم ، وتبددت في الشوارع ، حتى قيل : ان المار من شرقي الجامع انما يمر على الكتب المطروحة هناك » .

قال ابن ابي الضياف (8) : « وهذا هو السبب في قلة تآليف الفحول من اهل هذا القطر ، فانها ضاعت شذر مذر في هذه الواقعة » .

وبعد هذه الغارات المسلحة على الكتب و المكتبات ، بدات في الفترة ذاتها حملات ـ من نوع جديد ـ لابتياع المخطوطات المغربية واختطافها لتنقل الى اوربا ، حتى جاء في تاريخ الوافي بالمسالة الشرقية : ان من مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب اوربا (9) .

---

(4) « تتمة شجرة النور الزكية » لمحمد بن محمد مخلوف التونسي : المطبعة السلفية بالقاهرة ، ص 153 .

(5) يقول ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد : « ... ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية ، وكان بها منها شيء كثير الى الغاية » ـ « انباء الغمر » : مطابع الاهرام التجارية بالقاهرة ، ج 3 ص 41 ، وعبارة عبد الحي بن العماد الحنبلي « ... واخذوا ما كان بها من الاموال والذخائر حتى الكتب العلمية » ، « شذرات الذهب » : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ج 7 ص 124 .
ويلاحظ ان المصدرين يؤرخان الاعتداء على سبتة بعام 817 هـ ، خلاف الوارد في المصادر المغربية والاجنبية ، حيث كان تاريخ الحادث هو 15 جمادى الآخرة عام 818 هـ ، الموافق 21 غشت 1415 م .

(6) « تاريخ الجزائر العام » تاليف عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : المطبعة العربية بالجزائر ، ج 2 ص 211 .

(7) « المونس ، في اخبار افريقية وتونس » : مطبعة النهضة بتونس سنة 1350 هـ ، ص 157

(8) « اتحاف اهل الزمان ، باخبار ملوك تونس وعهد الامان » : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج 2 ص 19 .

(9) نقله في خاتمة التراتيب الادارية : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج ـ ص 455 .

ومن جهة اخرى : فان هذه النكسة استتبعت انحلالا خلقيا وعقائديا ، فشاعت البدع ، وظهرت جماعات منحرفة مثل الطائفة اليوسفية بالمغربين (10) ، والشابيين بتونس (11) ، زيادة على تفاقم بدع طائفة العكازين بالمغرب الاقصى (12) .

* * *

ومن رد الفعل المغربي : كان واقع الحملات البرتغالية والاسبانية قد اذكى فى مجموع الشمال الافريقي روحا نضالية جديدة ، ونشبت المعركة — فى بداية الامر — على النطاق الشعبي ، امتدادا من المغرب الى ليبيا ، ويقول الناصري (13) عن المغاربة :

« ولما نزل بأهل المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين ، واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا فى جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل فى مقارعته ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام بنصرة الدين غيرة واحتسابا ، وكم من ولي عصر وعالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صوابا ، حتى لقد استشهد منهم اقوام واسر آخرون ، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون » .

وفى بقية المغرب العربي هبت القوى الشعبية للمقاومة ، واستعانوا بالعثمانيين ، لتنظيم الجهاد ضد المعتدين .

---

(10) تعرف — ايضا — بالشراقة (بتشديد الراء) ، وهم فرقة من اتباع الامام الجليل ابي العباس احمد بن يوسف الراشدي الملياني ، المتوفى عام 927 هـ ، وقد انحرف هؤلاء عن طريقة استاذهم الذي كان امام سنة وهدى ، ويقول عنهم ابن عسكر :

« ... ولم يكن — اليوم — بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة .. ولقد اشار الفقهاء على السلطان الغالب بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم وقتل اربعة آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من احوال الشيخ (ابي العباس الملياني) فى شيء، بل فعلوا كفعل الروافض والشعبية فى أئمتهم » — « دوحة الناشر » ، المطبعة الحجرية الفاسية عام 1309 هـ ، ص 92 .

وقد شنع عليهم ابن القاضي بدوره ، وافاد ظهور فرق مبتدعة جديدة لعهده ، زيادة على الطائفة اليوسفية ، وهو يقول فى هذا : « ... اذ هم احلوا ما حرم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم : من ترك الصلاة والصوم واستباحة الزنا والدياثة والعياذ بالله ، اذلهم الله واخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزه عنه ، رحمة الله عليه ، وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب، التي خرجت عن الحق الى الزيغ — « درة الحجال » : المطبعة الجديدة بالرباط ، رقم 190

وانظر — ايضا — عن الطائفة نفسها : « مرآة المحاسن » لابي حامد محمد العربي الفاسي : المطبعة الحجرية الفاسية — ص 224 مع « الاستقصا » ، ج 5 ص 50 — 51 .

(11) هم اتباع الشيخ عرفة : المرابط القيرواني وجد الشابيين ، انظر عنه « المؤنس » ص 144 .

(12) للتعريف بهذه الطائفة ، ارجع الى محمد المنوني : « التيارات الفكرية فى المغرب المريني » مجلة « الثقافة المغربية » ، العدد الخامس ، ص 129 — 131 .

وبالاضافة الى هذه الطائفة وسابقتها عرف جنوب المغرب الاقصى نحلة المغيطي : عمرو بن سليمان السياف الشيظمي ، المتوفى قرب عام 890 هـ ، وكان قد جمع الجموع على الجهل والفساد والخروج عن الحق ، وسمى اصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال الشيخ زروق : وما احقهم بالفتح .

انظر عن نحلة المغيطي : « المعيار » للونشريسي : المطبعة الحجرية الفاسية — ج 2 ص 308 — 309 ، مع « ممتع الاسماع » لمحمد المهدي الفاسي ، نفس المطبعة عام 1305 هـ : الملزمة الثانية ص 4 — 6

(13) الاستقصا ، ج 4 ص 111 .

وهكذا : فان علماء الجزائر قالـوا للقائـد التركي خير الدين باشا وقد اراد الانتقـال عن المغرب الاوسط : « يجب عليك المقام بهذه البلدة الاسلامية لحمايتها ، ولا رخصة لك فى تركها نهبة للمفتــرس » (14) .

ومن طرابلس الغرب سافر وفد الى الآستانة ليطلبوا النجدة من العثمانيين (15) .

وفى تونـس كاتب اهـل القـيروان الاتـراك المجاهدين بالجزائر وليبيا ، ليهبـوا الى تخليصهم من الاحتلال الاسبانى (16) .

والى جانب هذه الفورات الشعبيـة ، كان سلاطين شمال افريقيا وامراؤها ، عملوا ـــ منذ بدء الحملات الاستعمارية ـــ لتوحيد صفوفهم والتحالف فيمـا بيـنهم ، ثم كاتبـوا قانصوه الغوري عاهل الكنانة ، وطلبوا منـه الانضمام الى هذا الحلف ، والقيام ـــ من جهته ـــ بطرد تجار الفرنج المقيمين بايالته ، والعمل على غلق كنيسة القيامة فى وجه حجاجهم (17) .

وعلى مستوى التعاون المغربي الجزائري ، كان ابو العباس احمد الوطاسي استعان به ابـو زيان احمد الثالث ، ضد اخيه محمد السابع الذي احتمى بالاسبان وهم يحتلون تلمسان ، وقد امـده العاهل المغربي بالرجال ، وبالاسلحـة المنوعـة : مدافع ودروع وقسي ومعدات اخرى ، وقال لامـير تلمسـان : داري دارك ، وانا لك بمنزلـة الوالـد ، وابني بمنزلة اخيك (18) .

---

(14) اتحاف اهل الزمان ، ج 2 ص 10

(15) « المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب » ، تاليف احمد بك النائب الانصارى الطرابلسي : مطبعة جمل الدين افندي بالاستانة ، ص 187 .

(16) اتحاف اهل الزمان ج 2 ص 20 .

(17) « المماليك والفرنج » تاليف الدكتور احمد دراج : نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ص 129 .

(18) ارجوزة « عروسة المسائل فيما لبنـي وطاس من الفضائـل » لمحمد الكـراسي ، المطبعة الملكية بالرباط ص 38 ـــ 39 .

ومن ملحقات هذا الموضوع ما ورد فى كتـاب : « دخول الاتـراك العثمانيـين الـى الجزائر » ، تأليف الاستاذ عبد الحميد بـن ابي زيان بن اشنهو ، مطبعة الجيش بالجزائر ، غير ان الامر ـــ هنا ـــ يتعلق بأمير سابق لابي العباس الوطاسي ، وهو والده محمد المعروف بالبرتقالي بن محمد الشيخ ، وقـد جاء فى هذا الصدد بالمصدر المشار له ص 76 :

« ... وبمجرد ما وصل عروج الى تلمسـان ، وجـه الى السلطان الوطاسي مولاي محمد ليتحالف معه ، كي يوجه اليه النجدة، مقابل شـد عضده فى محاربة السعديين ، الذين اخذت شوكتهم تـتقوى فى بلاد سوس ومراكش ، وفعلا وجه الوطاسي جندا يقـارب 20000 محارب على طريق مليلية ، واذ كان عروج ينتظر وصولهم حاصره العدو وشدد عليه الخناق ، كما سنشرحه فيما بعد » .

ولما ذكـر نفس المصدر رواية استشهاد القائد العثماني عروج باشا فى بني يزناسن ببـلاد المغرب ، عقب عليها ص 79 :

« اننا نؤكد هذه الرواية التي تثبتها محالفة عروج مع سلطان فاس محمد الوطاسي ، الذي لم يسعه الوقت لتوجيه النجدة ، فان عروج فر نحو الغرب لعله يلاقي الحملة المغربية الآتية من مليلية ، وحين قربت من وجدة وصل خبر عروج انه استشهد مع رفقائه ، فرجعت الحملة الى فاس ، واثبت الامر ايبولار مترجم كتاب الحسن بن محمد الوزان عن وصف افريقيا وبعد هذا لم يبق مجال للتردد فى امر هذه النجدة ، بعدما اثبت واتمها الوزان الفاسي ، وقد تشكك فيها الاستاذ احمد توفيق المدني ، فى كتـاب « حرب الثلاثمائة سنـة بين الجزائـر واسبانيا » ص 190 حسب الفقرة التالية :

« وقد قيل ـــ وليس بأيدينا ما يؤكد هـذا القول او ينفيه ـــ ان عروج كان ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذا لاتفاق عقد بينهما ، وان الملك المرينى قد ارسل ـــ فعلا

وبعد قيام السعديين تحقق تحالف مغربي تركي لتحرير مدينة وهران (19) .

وقد اهدى عبد الملك المعتصم للعثمانيين كمية من الذخيرة تتألف من عشرين مدفعا ، يشتمل اولها على تسع فوهات ، حسب مؤرخ سعدي يعتب ويقول عن النقش الكبير : « وهو — الآن — بباب الجزيرة بالجزائر (20) .

ونسق المجاهدون من المغربين — العمليات البحرية فيما بينهم ، فصار المغاربة فى واجهة المحيط ، بينما كان الجزائريون يعملون بالمتوسط (21) .

وكان هؤلاء يتزودون — عند الاقتضاء — من المغرب عند مرسى تطوان وغيرها (22) ، ومن مستتبعات هذا التعاون حسن استقبال المغرب للمهاجرين الجزائريين ، ومنهم العلماء التلمسانيون الذين وفدوا عام 968 هـ/61 — 1562 م ، وكان فيهم محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوى ، وابو العباس احمد بن سميه العبادى ، وقدم مع هذا الاخير محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي وابو العباس احمد بن محمد بن قاسم العقباني (23) .

قال فى « دوحة الناشر » (24) فى ترجمة العبادي : « ولما قدم على فاس عام ثمانية وستين — يعني وتسعمائة — فى جملة فقهاء تلمسان ، لما رحلهم السلطان الغالب من تلمسان ، حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك ، واستغاثوا فامدهم بالاجناد ونقلهم الى فاس ، ووصل كلا منهم على قدر حاله ، ووصله بالف مثقال ذهبا ، وامر له بكساء واقامة جليلة ، وقال : لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فان همته كبيرة » .

* * *

ومن الوافدين على المغرب من تونس فى الفترة ذاتها نعرض ثلاثة :

ابو الطيب بن محمد الطريف التونسي ، وكان شيخا مرشدا بجامع الزيتونة ، وبعد الحملة الاسبانية الاولى هاجر الى المغرب واستوطن مدينة فاس ، وبها صارت له الفة مع احد علمائها المرموقين : ابي الحسن علي ابن هارون ، الذي خاطبه بقطعة شعرية يتفجع فيها على نكبة تونس ، ومطلعها :

جادك الغيث اذا الغيث انهمر
حضرة الانس البديع المونس (25)

وبعد الطريف التونسي كان محمد بن خروف الانصاري ، قد اسره الاسبان فى مدينة تونس بعد الحملة الاولى ، واستمر فى الاسر — باسبانية — ستة اعوام غير قليل ، الى ان فداه الامير ابو العباس الوطاسى عام 947 هـ/ 1540 م ، باشارة من فقيه فاس محمد اليسيتني ، فانتقل العالم المفدى الى مدينة فاس واستوطنها ، حتى توفى بها عام 966 هـ / 1559 م وهو يتحدث عن مأساته وفدائه ويقول :

— بجيش لنصرة عروج ، وتمكينه من الدفاع عن تلمسان ضد الاسبان وانصارهم ، لكن ذلك الجيش سار على طريق مليلية ، فطال به السير ولم يتمكن من الوصول الى ميدان المعركة فى الوقت اللازم ، فلما تم الامر قفل راجعا »·

(19) مجلة « تطوان » : العدد الخامس ص 133 ، مع العدد السابع ص 100 — 101 .

(20) « تاريخ الدولة السعدية » المؤلف مجهول الاسم : المطبعة الجديدة بالرباط ، ص 53

(21) مجلة « تطوان » العدد الرابع والخامس « مزدوج » ، ص 70 ·

(22) نفس المجلة : العدد التاسع ، ص 126 — 127 ·

(23) انظر تراجم الوافدين الاربعة فى « دوحة الناشر » : ص 86 — 88 و 90 — 91 ، وفى مخطوطة فهرس المنجور : « وسمعت — ايضا — من جماعة ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان » ·

(24) ص 87 ، مع تصحيح النص المطبوع عن نسخة مخطوطة ·

(25) مخطوطة « فهرس المنجور » عند ترجمة ابي الحسن علي بن هارون ، مع « جذوة الاقتباس » لابن القاضي : المطبعة الحجرية الفاسية ، ص 302 — 303 ·

« . . . وكانت مدة اسري ستة اعـوام غير قليل ، محفوظا فيها فى ديني وبدنـي فضلا من الله سبحانه له الشكر على ذلـك ، الى ان خلصنـي الله تعالى خلاصا جميلا ، على يدي مولانا السلطان المؤيد ، أبي العباس احمد الوطاسي ، اجمـل الله تعالى خلاصه ، فبذل فى فدائي مالا كثيرا يقرب من الف دينـار وبعد محاولة عظيمة يطـول ذكرهـا ، وعاملني — بعد الخروج — بما لا احصي عـده ، جعله الله تعالى له عـدة .

واول يوم قابلتـه بـه — وذلك فى اول رجب الفرد ، عام سبعة واربعين وتسعمئة ، وقد خلع علـي من احاسين ملابسه — انشدتـه من نظمي بحضرة خـواص اصحابـه وبعـض التونسيـين حاضر (26) . . . »

اما الوافد التونسي الثالث فكان من طبقـة الاطباء . وانتظم للعمل فى بلاط المنصور الذهبي . وذكرته رسالة سعدية مشيرة الى مهنته ووطنه دون التعريف باسمه (27) .

والى هنا تبينا ملامح رد الفعل المغربي ردا على الحملات الاجنبية ، وقد عـاد هـذا الموقـف بالنتائج المتوخاة . وحررت — تباعـا — غالبيـة الجهات المحتلة . ونـنتقل بعـد هذا الى عـرض الاحداث الاخرى التى عرفهـا المغـرب العربي فى الفترة ذاتهـا .

* * *

وقد عاصر هذه الفتـرة تصاعـد الهجـرات الاندلسية الى المغرب العربي فى وفادات متعددة .

فكانت وفود الاندلسيين بناة مدينة تطوان عام 889 هـ / 84 — 1485 م .

وبعد هذا وقع سقوط غرناطة عام 897 هـ / 1492 م . وصـار من استطـاع من الاندلسيـين الهجرة ينتقل الى العدوة الاخرى : ومنهم الوافدون عام 902 هـ / 96 — 1497 م ، حيث توزعوا بين تونـس والجزائـر وتطـوان وفـاس ومراكـش وغيرها (28) .

---

(26) محمد المنوني : « مواقف المغرب ضـد الحملات الصليبية » ، مجلة « دعـوة الحق » : السنة 13 ، العدد 3 ، ص 56

(27) الرسالة واردة عند الافراني فى « نزهـة الحادي » : الطبعة الحجرية الفاسية ، حيث وردت بها الاشارة المعنية ، ص 166 ، وانظر « المنتقى المقصور » لابن القاضى ، مخطوط المكتبة الملكية رقـم 1153 أوائـل الباب الثاني ، حيث يذكر اسم ابي العباس احمد بن محمد بـن الحكـم التونسي الوافـد على المغـرب الاقصى .

ونضيف الى هذا التعليق وافدين تونسيين زيادة على الثلاثة السابقين :

محمد التونسي الحفصي ، جد محمد المامون بن محمد شارح العقيـدة السنوسية الصغرى ، قال الافراني عند ترجمة هذا الحفيد : « وكان جد صاحب الترجمة ، قدم على السلطان ابي عبد الله المهدي السعدي ، حين اخرجهم الاتراك من تونس واستولوا على مملكتها ، ففرح بـه السلطان المذكور ، وظن انه قصده بطلب المعونة منه على الاتراك ، فاختار السكنة ، ولـم يزل عنده فى الحظوة الى ان توفى » — « صفوة من انـتشر » المطبعة الحجرية الفاسية — ص 109 .

الثاني : ذكره — عرضا — أبو حامد محمد العربي الفاسي هكذا : « الفقيه ، الكاتب ، أبو عبد الله محمد الانـدلسي ، وكان كاتب السلطان حميدة ، آخر ملوك بني حفص بافريقية » — « مرآة المحاسن » ص 230 — 231 .

(28) خاتمة « الانوار السنية ، فى آباء خير البرية » ، تاليف محمد بن عبد الرفيع الشريف الاندلسي : المخطوط الآتي الذكر أواخر هذه الدراسة .

وفي عام 970 هـ / 62 — 1563 م وفد على المغرب الاقصى جالية كبرى سكن معظمهم بفاس وبمدينة مراكش (29) .

ثم كان الجلاء الاخير الى مجموع الشمال الافريقي عام 1018 هـ/ (30) 1609 م .

ويقدر **مؤلف عربي قريب من عصر الحادثة** (31) عدد الوافدين في هذه الهجرة بنيف وستمائة الف ، يضاف لهؤلاء المهاجرين المسلمين جالية يهودية طردت من اسبانيا في تاريخ سابق : عام 897 هـ / 1492 م ، فقصد المغرب الاقصى نحو مائة الف نفس ، وتوزع شطر هذا العدد بين بقية المغرب العربي (32) .

(يتبع)

---

(29) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص 38 — 39 ، مع بغية الناظر والسامع » لابي القاسم الزياني ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم 678 .

(30) جاء في « نهاية الاندلس » : « وقد صدر قرار النفي — كما قدمنا — في 22 سبتمبر سنة 1609، وهو يوافق جمادى الثانية سنة 1018 . ولكن الرواية الاسلامية تضع تاريخ القرار في سنة 1016 هـ او سنة 1017 هـ ، وهو تحريف واضح » : الطبعة الاولى ص 298 ، ويؤخذ على المؤرخ عبد الله عنان ان تحريف الرواية الاسلامية لم يكن شموليا ، حيث ان مصدرا مغربيا وقت الحادث بعام 1018 هـ ، حسب « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ص 96

(31) هو محمد بن عبد الرفيع الاندلسي عند خاتمة « الانوار السنية » : المخطوط الآتي الذكر .

(32) « تحفة الزائر » في مآثر الامير عبد القادر ، واخبار الجزائر » تاليف ابنه محمد : المطبعة التجارية بالاسكندرية ، ج 1 ص 9 .



بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين
من خلال الوثائق الدبلوماسية ومحجج الوقف المغربية

للدكتور
عبد الهادي التازي

لعلني بحاجة أن اذكر فى هذا العرض المقتضب بكلمة قلتها فى مناسبة لى سابقة ، وهى أن (تاريخ الجزيرة العربية) يجب أن ينشده الباحثون فى خارج الجزيرة .؟ » لان هذه الارض الطاهرة منذ ان شرفها الله بظهور نبيه أمست كعبة لسائر الرواد الذين تصدوها من شتى الجهات وغدت نتيجة لذلك مصدر الهامهم وموضوع حديثهم بالطول والعرض .؟

واذا كان هناك من اهتم حقيقة بأمر هذه الديار فهم أبناء المغرب على بعد ممالكهم وصعوبة مسالكهم ولعل العشرات من الرحلات الحجازية المغربية كافية لاثبات هذه الحقيقة الناصعة وكافية ايضا للتدليل على تفوق عدد الرحالة المغاربة على زملائهم فى المشرق .؟ ومع ذلك فسوف لا يكون حديثى اليوم عن رحلة سابقة ولا عن زيارة لاحقة ولكنى سأقصر عرضى هذا على ذكر البعض من الوثائق الوقفية والمراسلات الدبلوماسية المغربية من التى تشف عن مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية او عن أثر من الآثار التى كانت تتوفر عليها خزائن الحرمين الشريفين .؟

والواقع ان المكتبات المغربية سواء منها مكتبات نظارات الاوقاف والمساجد الكبرى او المكتبات العمومية وخاصة منها المكتبة الملكية والخزائن العامة وخزائن جامعة القرويين ، كلها تزخر بمثل تلك الوثائق التى تحتاج حقيقة الى الجرد والتصنيف ، على ان هناك مصدرا آخر كان له أثره الكبير على مساعدتى لتجلية المستور وكشف الغامض ، وهذا المصدر هو الارشيفات التابعة لرئاسة الحكومة فى اسطامبول وقد وجدت فيها منجما ثريا يساعد جيدا على معرفة تاريخ الجزيرة العربية فى تلك العصور .؟

لقد كانت المملكة المغربية الدولة الوحيدة فى العالم الاسلامي التي لم يشملها حكم العثمانيين الذين كانوا يهيمنون على سائر الاقطار بما فيها الجزيرة .. وبما ان المغرب ، بحكم ارتباطه بالحرمين الشريفين ، كان عليه ان لا يصل الى الجزيرة بصفة عملية الا عبر اسطامبول ، فقد كان يتبادل مع السلاطين العثمانيين عددا من الرسائل التي لا تخلو من أخبار مفيدة وممتعة حول بعض اوضاع الجزيرة العربية ..

وحتى لا نذهب بعيدا .. فسأقتصر على ذكر بعض السفارات المغربية التى ترددت على الجزيرة اواخر القرن الثانى عشر الهجري ، كما أتحدث عن سفارة اخرى وردت على بلاط المغرب من أرض العثمانيين ، فى نفس التاريخ ، وكلاهما يكشف النقاب عن بعض الجوانب الخفية ..

لقد وصلتنا سنة 1182 — 1269 أنباء عن زفاف أميرتين مغربيتين هما ابنتا السلطان سيدي محمد بن عبد الله او (محمد الثالث) كما تسميه المصادر الحديثة زفافهما الى قصور مكة حيث تزوج الامير الشريف سرور الاميرة لالة لبابة ، بينما تزوج ابنه الاميرة حبيبة ، انه حدث يستوقفنا فى حد ذاته، فان مصاهرة تتم على ذلك العهد بين المغرب والمشرق ، على نحو ما كان يتم بين ملوك اوربا آنذاك . كل ذلك يحتاج للكثير من التعليق ..

ومهما يكن فسوف نتجاوز ذلك الحدث السعيد لنذكر بأنه دعم الى حد كبير صلات الجزيرة بالمغرب ، بل انه ربط جسرا بينهما على الدوام ، وهكذا كنا نشاهد الوفادات المتبادلة بين الجهتين حتى ليصعب على المؤرخ ان يتتبع حركات القاصدين من هنا وهناك.

لقد اصبح القصر الملكى بالعاصمة المغربية يتوفر على لائحة دقيقة بالجهات التي كان على العاهل المغربى أن يصلها سنويا عن طريق ركب الحجاج .

ونرى من المفيد فى هذا الصدد ان نركز على السفارة التى راح على راسها الامير المولى عبد السلام ابن سلطان المغرب على ذلك العهد وكانت بتاريخ 1197 = 1783 .

ولقد صاحبه هذه المرة وفد من رجالات الدولة الى عدد من الفقهاء والامناء .

وقد كان العاهل المغربى قرر ايفاد هذه البعثة التى راحت عن طريق اسطامبول على ما هى العادة ، قرر ان يحدد مبالغ مالية يرسلها سنويا لبعض بيوتات الحرمين والحجاز وذلك حسبما تفيده وثيقة تحمل تاريخ خامس رجب سنة ستة وتسعين ومائة والف .

وهذه الوثيقة تتضمن كشفا بالعدد من الدنانير والريالات المخصصة لاهل الينبوع واهل بدر واشراف الحجاز والاشراف السجلماسيين بمكة والاشراف المغاربة بمكة من علميين وغيرهم والاشراف السجلماسيين بالمدينة والاشراف المغاربة بالمدينة والاشراف الذين بمكة والوادى والطائف وجدة . والاشراف الذين بالمدينة هذا الى اضافات مخصصة لبيوت معينة وطوائف خاصة ، ولاهل البطائق واهل الرسائل .. وعلى راس كل هؤلاء السلطان سرور

ولقد تعمدت تصوير هذه الوثيقة التاريخية لناخذ فكرة مدققة عن الاسر والبيوت والاشخاص والهيئات والرجالات التى كانت تعيش فى هذه الحقبة من التاريخ سواء فى الحرمين او فى اليمن ايضا .. ولابد أن نستفيد من خلال المبالغ المخصصة لكل جهة مدى المركز الاجتماعى لكل فرد وكل هيئة .

هنا من الينبوع : عيايشة الزيارة والدهنة ، والكرون والمحاميد ، وذوو ابراهيم بن دريد وبيت الواسطى وذوو جبريل والبكيشات وذوو هجر ذوو عتيل وذوو زارع والكريشات هنشل وذوو سليمان .

وهنا من اهل بدر : بيت الرديني وذوو عبيد والمهادلة وذوو مسيب وذوو الفضل واهل رابغ واهل خليص.وذوو ثمى واهل عين العاجة .

وهنا من أشراف مكة : والوادي والطائف وجدة ذوو زيد وعبد المنعم والحارث والشنابره ، وآل بركات وبيت المرغينى والسقاف والمهادلة والحطاب .

وهنا من أشراف المدينة : بيت عيدروس والسماهدة وبنو الجودي والبرزنجيون والنجاريون اصحاب الجبة .. الى آخر اللائحة الطويلة التى تحتضنها وثيقة الوقف المغربية .

(1) صورة الوثيقة الوقفية

انها المبالغ التى كانت تاخذ طريقها الى الجزيرة باستمرار وانها لم تتعثر الا فى الفترات التى كان الباب العالى يرى الاحتفاظ بها للخزينة ليستعين بها على مواجهة التحديات الروسية على ما تكشف عنه بعض الجوابات التى كانت ترفع الى ديار المغرب من بلاط القسطنطينية .

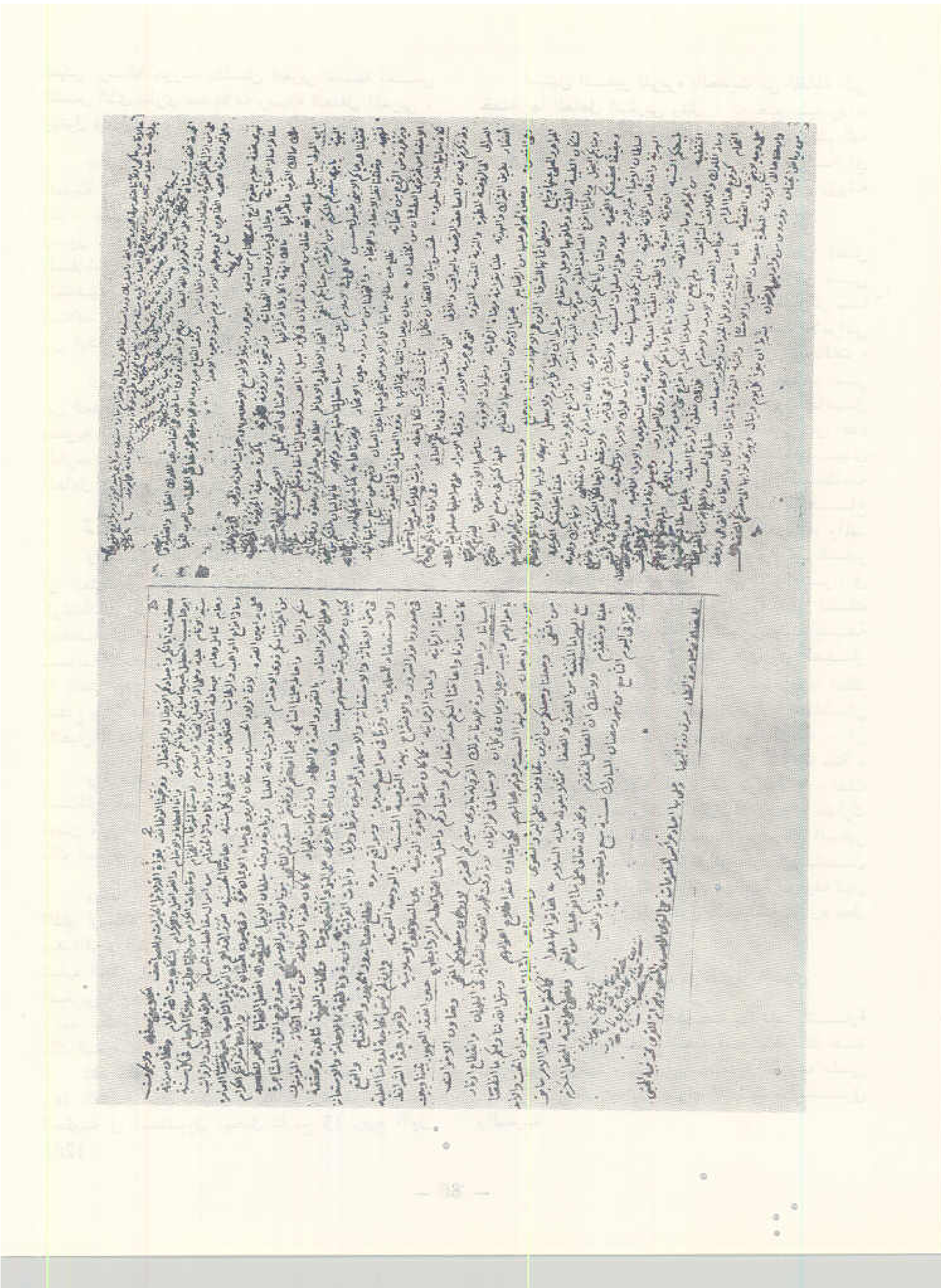
ان الحديث عن سفارة الامير المولى عبد السلام وعن انشغاله بتوزيع تلك « المبالغ » على اهلها لا ينسينا الحديث عن الرسالة الهامة التى حملتهاالسفارة المغربية الى اسطامبول حول موضوع تعتبر اثارته من الطرافة بمكان بل ان اثارته تدل على بعد نظر وعمق تفكير فى جانب العاهل المغربى، لقد كان والدهالسلطان المولى عبد الله بن اسماعيل اعتاد أن يبعث كذلك بتكريماته الى الحرمين الشريفين ، وهكذا فبعد الهدايا الضخمة التى صحبت ركب والدته الاميرة خناثة بعث سنة 1155 — 1742 بعطايا ثمينة كان فيها عشرات المصاحف الكبيرة والصغيرة المحلاة بالذهب والمرصعة بالدر والياقوت الى جانب المصحف العثمانى الذي صحبه بألفين وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلف الالوان .

تلك كانت هدايا الوالد ولكن الولد ادرك ان الغرض من تلك المصاحف المحلاة بالذهب والاحجار الكريمة لا يتأتى فان الخوف من ضياع تلك الاموال يفرض أن تبقى تلك المصاحف حبيسة الرفوفوالخزائن الحديدية ، ومعنى هذا ان التلاوة ستظل معطلة ..

ومن هنا وردت فكرة على العاهل المغربى محمد الثالث : ان يقترح على السلطان عبد الحميد الاول ان يقوم بعملين اثنين :

أولهما ان ينزع تلك الاحجار الكريمة من غلافات المصاحف ويقوم ببيعها وتوزيعها على الفقراء والمساكين والمحتاجين .

ثانيهما ان يجلد المصاحف من جديد لتصبح فى متناول الذاكرين والتالين . وهكذا يحصل غرض الواقف من جهة وتستغل تلك الاموال المجمدة من جهة اخرى. لكن افق السلطان عبد الحميد لم يتسع لفهم السلطان محمد بن عبد الله .. فقد اجابه بواسطة القائد الطاهر



فنيش برسالة حررت باللسان العربى ضمنها بعض الشعر الذي يطري فيه بلاغة رسالة العاهل المغربى ، ويقول فى موضوع المصاحف :

«.. وما راينا اخراج المصاحف المطهرة من خزينة المدينة المنورة وانتزاع الجواهر منها وابتياعها خليتا بكم .. فانها هدية لسلطان الانبياء .. ان خزينة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشحونة بتحف السلاطين والامراء الماضية وهدايا الخواتين والخلفاء المنتضية من الجواهر وسائر الطرائف ، ولم يقع من أسلافنا اخراج شيء من خزينة سيد الانام ولم يسمع من آبائكم الفخام مثل هذا المرام ..

انه جواب كما نرى علاوة على انه ميزان يعبر عن العقليتين المتباعدتين ، فانه يعطى وصفا لما كانت تحتويه الروضة النبوية من فاخر التحف ونفيس الطرف مما أتت عليه الاحداث اللاحقة التى تفرسها العاهل المغربى الهاما من الله ..

2 ـ صورة لجواب السلطان عبد الحميد

وان مما له صلة بتلك السفارة وهذه .. ان نذكر ان العثمانيين كانوا لا ينظرون بعين الرضى للصلات الوثيقة التى كانت تربط المغرب الاقصى بالمشرق وبخاصة امراء الجزيرة العربية بل انه كان يرى أن مساعدة العاهل المغربى للسلطان سرور ومصاهرته له كانت تهدف الى مضايقة الوجود العثمانى فى تلك البقاع ومن هنا نجد أن اسطامبول كانت فى كثير من الاحيان لا تخفى امتعاضها من تلك الصلات ..

وقد عكس تقرير سرى رفعه سفير عثمانى الى السلطان عبد الحميد عكس فيه التخوفات التى كانت تهيمن على الباب العالى من المركز الذي كان ينعم به ملك المغرب فى سائر بلاد المشرق العربى .

ويتعلق الامر بالسفير العالم اسماعيل افندي الذي ارسلته القسطنطينية صحبة السفير المغربى عبد الكريم العوني الذي كان قدم على اسطمبول ليبلغ للباب العالى ان العثمانيين فى الجزائر خذلوا العاهل المغربى ، وهو يقاوم تسلط اسبانيا على مدينة مليلية، وانهم سلطوا جام نقمتهم على العرب الذين شاركوا ملك المغرب فى مسيرته ضد الاسبان .

لقد جاء فى تقرير السفير المذكور عند عودته ، وهو التقرير الذي يحتفظ به كذلك ارشيف رئاسة الحكومة فى اسطامبول ويحمل تاريخ 15 ربيع الاول 1201 .

استهل السفير تقريره بالحديث عن المقابلة التي خصه بها العاهل المغربى وقال : انه خلع عليه رداءه بعد أن قدم اليه رسالة السلطان عبد الحميد وقدم اليه الرمح الذي اهداه اليه القبودان باشا .. وانه اي العاهل المغربى لا يوجد ما يميزه فى اللباس عن وزرائه وافراد رعيته الا المظل الذي يرفع فوق راسه .

ونرى السفير بعد كل هذا يذكر انه نظرا لاتفاق الراي على تجنى الحامية العثمانية فى الجزائر على عرب المغرب ونظرا لان القبائل المجاورة للجزائر ما تنفك تتطارح شاكية لحاكم المغرب من هتك الاعراض والسطو على رقاب الناس من طرف أهل الوجاقات ، ونظرا لان ظلم العثمانيين لمن يقع تحت نفوذهم أمر يمجه العقل وينهى عنه الشرع ، فانه اي اسماعيل افندي يحذر اسطامبول من مغبة التغاضى عن هذه التصرفات ، وهنا يحذر بأن مركز السلطان سيدي محمد قوي جدا لدى عرب الجزائر وان باستطاعته ان ينسف وجودنا هناك اذا نحن لم نقم بارجاع مواطنينا الى رشدهم ورفع الظلم عن العرب ، والمهم فى هذا التقرير بالنسبة لموضوع الجزيرة ان السفير اسماعيل افندي ، بعد ان يقول : ان الامراء سواء فى تونس وطرابلس يضمرون الكثير من التقدير لملك المغرب يختم تقريره بأن العاهل المغربى يتمتع بسمعة طيبة وذكر جميل فى الحرمين الشريفين وفى الحجاز ونجد بصفة عامة . فلقد ارسل مع صهره عبد الملك مبالغ طائلة من المال لهم واقتفى اثره ابن السلطان كذلك الذي راح يحمل مقادير كبيرة من الذهب .. ان سلطان المغرب هو صهر للامير سرور شريف مكة ، كما ان امام اليمن من اقاربه . ومصر موالية له .. لذلك فان من الحكمة ـ يقول اسماعيل افندي ـ ان نتدارك الامر تجنبا ، لا يعار قبول المغاربة ، وهو اي السفير افندي يقترح ان تبعث لداي الجزائر جنود فى شكل حمايته من الاعداء ، ولكن تتولى من جهة الوقوف دون تهوره ومن جهة اخرى ان تكون على يقظة من رد فعل العرب .

3 ـ صورة جانب من التقرير السري

تلكم ومضات قصيرة قصدت بها فقط اثارة الانتباه الى ما يوجد خارج الجزيرة من معلومات جد مفيدة عن تاريخها ، نأمل أن تساعدنا الظروف على التعاون على استجلابها سواء اكانت بالمشرق والمغرب .

أهو سلطان الشعراء ؟!

للأستاذ أحمد زياد

ترانا وسمعنا الكثير عن مهرجانات سلطان الطلبة ، وهى مهرجانات تشغل حيزا بارزا فى تاريخ المغرب وفى تاريخ مدينة فاس بوجه خاص التى ظلت قاعدة لسلطنة الطلبة ، كما انها اصبحت تشكل تراثا تاريخيا تطبعه الطرافة ويندرج بحكم نوعيته فيما يمكن تسميته ترفيها بلغة اليوم ، وتتحدث المصادر التاريخية وفى غير قليل من الاسباب عن حفلات سلطان الطلبة وباستفاضة فى الكثير من الاحيان ، وبالاصرار على ذكر حتى اصغر الجزئيات فى احايين اخرى ، بينما تختزن صفحات تلك المصادر اوصافا ، « وريبورتاجات » بلغة اليوم « بلاطات » سلاطين الطلبة وما كان يجرى فيها من « أصول الحكم » وكيفية انزال العقوبات « وقانونها الدمغي » الذي يحدد تلك العقوبات ، ويوجد من بين سلاطين الطلبة عدد من الاسماء اللامعة او التي لمعت من خلال « حكمها السلطانى » الذي ما فتئت مدده تتقلص وتختزل حتى لم تتجاوز اياما معدودات .

كل ذلك وما شابهه أو ما اضيف اليه قرأناه فى الكتب وامهات المصادر ، وسمعنا بالبعض عنه من رواة ، منهم من عاصر سلطنته الطلبة فى عهد من عهودها القريبة ، ومنهم من سمع بدوره من رواة رواة آخرين باسانيد متصلة او منفصلة بلغة الحديث،

الا اننا لم نقرا ولم نسمع عن مهرجانات سلاطين الشعراء ، فهل حقا كانت هنالك فى عهد من العهود لقاءات وحفلات شعرية ذات طابع عكاظى يتبارى فيها الشعراء بقصائدهم ، والزجالون بازجالهم لينتهى التباري بانتقاء سلطان للشعراء ، او امير للشعراء ، تعقد له البيعة ، بنفس الطريقة التى كانت تعقد بهـا لاحمد شوقى ؟؟ وهل صحيح ان مدينة فاس التى اعتبرت عاصمة سلطنة الطلبة كانت ايضا مهـدا ومسرحا لسلطنة الشعراء ؟

انه اذا كانت المصادر المغربية التى بين ايدينا او التى بين يدي على الاقل لا تمكن من الاجابة على هذين السؤالين بكيفية واضحة او قريبة من الوضوح ، فان رحالة انجليزيا يجيب عليهما وبتفصيل ، وهـذا الرحالة اسمه « وليام ليف غو » عاش فى القرن الحادي عشر وكانت وجهته فى رحلته على يـروي اكتشاف مجاهل الصحراء ؟

وقد سجل مذاكراته فى كتاب له بعنـوان : « المغامرات النادرة » ، وفى هذه المذكرات يقـول « وليام ليف غو » انه عرج على المغرب وعلى مدينـة فاس (1) ، وفى وصفه لمدينة فاس فى ذلك العهد مـا يؤكد انه كان شخصا دقيق الملاحظة ذا هيام بتشخيص

---

1) كانت مدينة فاس عبارة عن مدينتين هما عـدوة الاندلس وعدوة القرويين الى ان توحدتا « اداريا » فى عهد يوسف بن تاشفين . وتشير القرائن الى ان زيارة الرحالة الانجليزي لمدينة فاس وقعت فيما بين 1078 و 1081 وهى الفترة التى كانت العدوتان فيها تخطبان باسم امير المسلمين يوسف بن تاشكين حسبما يرويه المؤرخون .

الجزئيات التى من شأنها ان تؤلف صورة ذات حجم يمكن من التعرف على ملامحها وقسماتها .

والواقع ان مغامرات الرحالة الانجليزي «وليام» كانت بحق نادرة ، فهى نادرة بمخططها الجغرافى ، وبالعزيمة الفريدة التى جعلت هذا الرجل يقتحم الصعوبات اقتحاما وهى صعوبات ذات مدلول مادي اكثر منه معنوي ، فالرجل كان يعلم انه فى اتجاهه الى عالم مجهول هو عالم الصحراء ، ومع ذلك فانه تسلح بالنوع الجيد من الصبر والنفس الطويل مصرا على اكتشاف ذلك العالم المجهول .

ولا يعنينى من أمر مغامراته النادرة «الا ما يتصل بأمر عبوره المغرب ومدينة فاس ، ولقد وجدت انه من المتعذر على أن اساير خطط رحلته من الوجهة الجغرافية ذلك انه ينتقل بسرعة من طرابلس الى تونس فمدينة فاس ، على اننى لا استطيع الجزم بكون هذا الوصف من رحلته من صنيعه هو ، أم هو صنيع اولئك الذين تحدثوا عن رحلته ملخصين لها او معلقين عليها ، حيث انها فى نصها الاصلى الانجليزي ظلت احتكارا لذوي الاختصاص من الباحثين الذين يوجد من بينهم شخص يدعى صمونيل ، صمونيل هذا هو الذي نقل عنه باحث فرنسى يسمى جاك ليمان (2) وعنه انقل بدوري ما يهمنا من أمر وصكه لمدينة فاس ولمهرجانها الشعري الذي كان يشبه — حسب الاوصاف والنعوت التى ساقها الرحالة الانجليزي فيها مهرجان سلطان الشعراء كما احببت ان اسميه مهرجان سلطان الطلبة وذلك على حسب المواصفات التى اضفاها عليه الرحالة الانجليزي وليام .

يقول وليام وهو يصف المهرجان الشعري الذي ذكر ان موعد انعقاده كان يوم جمعة وان السكان اخبروه بواسطة مترجمه بأن هذا اللقاء يتم فى اول يوم جمعة من شهر مارس فى كل عام ، فى هذه الساحة الفسيحة الارجاء حيث يأخذ المشاركون والمشاهدون يردون على ميدان التباري فرادى وجماعات ، ويتميز المشاركون عن المشاهدين بثوب يستنتج من السمات والعلامات التى يصفه بها الرحالة وليام انه اشبه ما يكون بالطليسان او القفطان ، ثم يتجمع المشاركون فى شكل حلقة مستديرة وهم يجلسون القرفصاء فى حين ان حلقة مستديرة اخرى من المشاهدين تحيط بهم .

اما الحاضرات من الجنس الآخر فياخذون امكنتهن فى زاوية منعزلة وهم فى أزياء يغلب عليها اللون الابيض ، بينما يضعن فوق رؤوسهن أخمر يجيز بجيز وليام لنفسه ان يؤكد بأنها من الحرير الخالص ، ويزين البعض منهن آذانهن بأقرطة بيضاء مختلكة فى احجامها واشكالها الهندسية .

ويقول وليام ان النسوة المغربيات فى ذلك الوقت كن سافرات الوجوه ، وتبتدىء المباراة الشعرية بوقوف كل شاعر من الحلقة لانشاد ما جادت بها قريحته ، حتى اذا انتهى من انشاده تعالت الهتافات علامة على الاستحسان وهى هتافات تختلف من حيث حجم الصخب والضوضاء اذ كلما تعالت الهتافات الا ويكون الشاعر قد انتزع اعجاب الحاضرين اما فى حالة انخفاض مستوى الهتافات فان معنى ذلك ان بضاعة الشاعر من الشعر مزجاة .

ويستفاد من وصف وليام لهذا المهرجان ان التباري كان يجري بمقتضى اسلوب التصفية « مثلما هو الحال فى المباريات الرياضية » حتى اذا حل موعد المباراة النهائية تعالت الهتافات وتقدم الغريمان الاخيران يتبع احدهما الاخر لانشاد شعرهما ولا يذكر وليام ان الشعراء المتبارين فى هذا المهرجان كانوا يقرؤن من اوراق مكتوبة أم انهم كانوا يرتجلون ، الا انه لم تفته الاشارة الى الاشارات التى كانت تصدر عن ايديهم ومن رؤوسهم .

ثم يذكر الرحالة الانجليزي ان الحفل ينتهى فى جو منشرح تنفرد فيه السنة النسوة بتحركات مقرونة بزعيق رنان يكاد يصم الاذان ، ولعلها الزغاريد من خلال ما يبدو من وصف المستر وليام ، وشيء آخر يثير الانتباه فى الاوصاف والنعوت التى ابى الرحالة الانجليزى الا أن يبرز فيها موهبة الملاحظة والدقة فى الوصف ، وهو انه يفيض القول فى وصف سوق لبيع الخضروات بتفاصيل وجزئيات تجعل العارف لمدينة فاس ولكانه امام ساحة الرصيف ، كما كانت فى أوائل هذا القرن ، ولا نملك من المعلومات ما يمكننا من الجزم بأن وصف وليام لمدينة فاس اقتصر على هذا الجانب من نشاطها الثقافى أم انه تجاوز ذلك ما دمنا لم نطلع على النص الاصلى لرحلته النادرة ، وتشاء الصدف وانا بصدد كتابة هذا المقال ان استمع الى

---

2) مجلة اسبيري

حديث اذاعى من القسم العربى لمحطة الاذاعـــة البريطانية ب. ب. س، يتناول سيرة الرحالة وليـام ليف غو، كما تناول مروره بمدينة فاس الا أن المعلومات التى تضمنها هذا الحديث كانت اقل مما أورده الباحث الفرنسى جاك ليمان ، وهناك لابد من أن ينتصـب سؤال طويل القامة عريض الهامة ، وهو : ما تقـول المصادر التاريخية المغربية فى هذا الامر ، وهل وردت فيها اشارات الى هذا المهرجان ؟

نكس السؤال العريض اعترضنى وانا اقرا ما قراته . ولم يكن لى بد من الرجوع الى ما تحت يدى منها وان مضيت وقتا غير قصير فى البحث والاستقصاء الا اننى لم اظفر بسوى اشارة عابرة تتالف من سطور معدودات وجدتها فى كتاب فقه . بينما افتقدتهـا فى مصادر تاريخية ، وهى عبارة عن استطراد فى كتـاب الديباج لابن فرحون ، يقول : « ان اهل فاس كانـوا يقيمون حفلا فى آخر موسم الربيع « بحى الزاويـة » وهو حى اسمع اسمه لاول مرة ، يتقارضون فيهـا الاشعار على عادة السمار ، ولكن فى النهار »

ومن ثم فان الموضوع ما يزال يتطلب المزيد من البحث والاستقصاء ، لانه اذا كانت هذه المهرجانات الشعرية تقام فى آخر الربيع من كل عام ، فان هـذا يعنى اننا نملك رصيدا من الشعر كيفما كان وزنـه وقيمته من الوجهة الشعرية فسيكون على كل حـال تراثا يستطيع دعم رصيدنا من الشعر المغربى الذي طالما وصف بانه ضعيف على توالى العصور وتعاقب الملوك ، وتلك مهمة اوكل امرها الى ذوي الاختصاص من الباحثين والمنقبين وهواة المخطوطـات ورواد الخزائن العامة والخاصة .

واردد التساؤل مرة اخرى كأقول : هل ان ما اورده الرحالة الانجليزى وهو صدق لا ريب فيه من وصف لمدينة فاس ولمهرجانها الشهري ، يعتبر مجـرد مناسبة من المناسبات ، أم انه مهرجان موسمى كما يذكر الرحالة الانجليزي وليام ، وفى هذه الحالة لابد من ان يتفرع هذا السؤال سؤال آخر وهو : هل ان مدينة فاس كانت تحتضن سلطنتين اثنتين ، سلطنة الطلبة ، وسلطنة الشعراء ، وهو السؤال الذي ما يزال ينتظر الجواب ، وبما ان الجواب عليه ليس من اختصاصى فاننى اترك امره الى اصحاب الذكر ، واسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .

احمد زيـاد



ابن بطوطة

للأستاذ محمد المنوني

اسمه — حسب تحفة النظار (1) — يتسلسل هكذا : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم ، وهو ينتسب الى لواتة : القبيلة البربرية التى كانت منازلها الاولى شرق شمال افريقية ، والغالب ان منتمى المترجم كان الى فرقة من نفس القبيل ترحت الى غرب المغرب الاقصى ، ونزلت فى طنجة وما اليها ، حيث يوجد بالريف المغربى عائلة لا يزال اهلها يعرفون بلقب بنى لوي ، على حين ينتسبون فى وثائقهم القديمة الى لواتة (2) ، وعلى هذا فان المترجم يمت الى الريف بصلة .

وقد اشتهر فى بلاده بابن بطوطة ، وهى اسرة مغربية كانت فى عصر رحالتنا مذكورة بالعلم ، ولما رحل الى الاندلس التقى — فى طريقه الى غرناطة — بقريبه أبى القاسم ابن محمد بن يحيى ابن بطوطة ، وكان فى هذه الفترة يتولى قضاء مدينة رندة (3) ، ومن هنا تتبين أن مترجمنا ينتمى الى أسرة عرفت بالعلم وولاية القضاء .

ولا يعرف — الآن — مدلول للقب بطوطة ، وعلى خلاف النطق الشائع ، فان الزبيدي فى شرح القاموس (4) يصحح أن يكون بتشديد الطاء الاولى المضمومة ، وهو نفس ما يوجد مشكولا بخط ابن خلدون .

ثم انه يذكر فى التعريف بالمترجم وصف الطنجى ، ومن الواضح ان ذلك لانتسابه الى طنجة : المدينة المغربية الواقعة عند ملتقى المحيط والمتوسط .

وبهذه المدينة ولد رحالتنا ، فى يوم الاثنين السابع عشر من رجب عام ثلاثة وسبعمائة للهجرة (5) ، ومنها كان ابتداء رحلته فى يوم الخميس ثانى رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة (6) .

وبنفس المدينة — فيما يبدو — كان تثقيفه ، والظاهر انه لم يرحل للدراسة بفاس ، فهو يذكر انه بارح المغرب أيام السلطان المرينى ابى سعيد الاول ، بينما لا يتحدث فى « تحفة النظار » عن مقارنات مع مؤسسات فاس فى هذا العهد وما قبله ، والمقارنات الواردة فى الرحلة انما كانت مع منشئات لابى الحسن او ولده ابى عنان ، حيث شيدت بعدما كان ابن بطوطة خارج المغرب ، ثم رآها لما عاد من رحلته .

والغالب ان المترجم كان على جانب من الثقافة الفقهية ، حيث تأهل بذلك ليكون قاضيا بركب حجاج تونس (7) ، ثم صار قاضيا بالهند (8) ، وفى جزر

---

1 — نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام 1377 هـ ، ج 1 ص 3 ، وهذه الطبعة هى المعتمدة فى الاحالات التالية :

2 — هو ما حدثنى به بعض المسنين من فقهاء الريف .

3 — الرحلة ج 2 ص 188 .

4 — ج 5 ص 109 .

5 — الرحلة ج 1 ص 5 .

6 — المصدر ج 1 ص 4 .

7 — » ج 1 ص 7 .

8 — » ج 2 ص 84 .

المالديف التى يذكرها باسم دبية المهل (9) ، وسنرى — بعد هذا — انه يقلد نفس المنصب فى موطنـــه بتامسنـــا .

وسوى الفقه كان لرحالتنا المام بالتوحيـــد ، فنراه عند ذكر دمشق يتحدث عن شخصية علميـــة فى مسالة كلاميـــة (10) .

وكانت له مخالطة للنحو ، وهو يلاحظ علـــى خطيب جامع البصرة بانه كان يلحـــن فى خطبـــة الجمعـــة (11) .

وقد اورد فى الرحلة قطعة من شعره فى سبعة ابيات يمدح بها سلطان الهند ، فدلل على المامـــه بالادب (12) .

وسوى هذا وذاك كان له اعتناء بسماع الحديث علـــى مشايخ المحدثـــين الذيـــن يلقاهم بالشـــرق الاسلامى (13) .

وهكذا نتبين أن المترجم يتوفر على ثقافة فـــى الفقه والتوحيد والنحو والادب والحديث ، ويبدو ان درجة معرفته بهذه المواد كانت متوسطة ، وهو مـــا يشير له ابن الخطيب (14) حيث يقول عنه : « لديه مشاركة يسيرة فى الطلب » ، ويدل لهذا — مرة اخرى — أن ابن جزي هو الذي تولى تدوين املاءاته عن رحلته ، حيث كلف الاديب الغرناطى بأن يكتب كلام الرحالة ويهذبه ويعتمد ايضاحه وتقريبـــه .

ومن مكملات ثقافة المترجم انه تعلم التحـــدث باللغتين الفارسية (15) والتركية (16) .

والآن ننتقل الى الجانب الاخلاقى من حياته ، وقد كان مومنا الى ابعد حد ، وفى رحلته أكثـــر من شاهد لهذه الظاهرة ، فقد تخلى عن زيارة كنيســـة ايـــا صوفيـــا بتركيا لما كان الداخل لها يسجـــد للصليب (17) ، كذلك واجه بالانتقاد سلطان عربستان وهى — الآن — من اقاليم ايران ، ونهاه عن شـــرب الخمـــر (18) .

وجاوز بمكة المكرمة ثلاث سنوات ، وكان يعظم الاتقياء من المومنين ، وتزوجه اثناء رحلته دليل على تدينـــه .

وهو سريع التخلق بأخلاق البلد الذي يقيم به، كما انه رقيق الشعور ، يفرح ويحزن لادنى سبـــب ، هذا الى انه كان جوادا محسنـــا .

وقد نوه به السلطان المرينى ابو عنان ، فنظمه فى عداد رواد المجلس العلمى الذي كان يعقده بالقصر الملكى من فاس الجديد (19) ، ثم صار قاضيا فـــى تامسنا : بمدينة انفاو ما اليها ، واستمر قاضيا الـــى عام السبعين بعد سبعمائة ، ثم توفى وهو يتقلد خطة القضاء (20) فى تاريخ لم يتحدد بعد .

**

على أن المهم فى حياة ابن بطوطة ، هى تلك الرحلة الطويلة العريضة التى جاب فيها آسيا وافريقية وبعض اوربة ، وقضى فى سياحته ما يناهز ثلاثين عاما ، هذا الى ذاكرته القوية التى قلما تخونه فى تسجيل ارتساماته عن مشاهداته فى رحلتـــه .

---

9 — « ج 2 ص 132 .
10 — « ج 1 ص 57 .
11 — « ج 1 ص 116 .
12 — « ج 2 ص 83 .
13 — « ج 1 ص 65 — 66 ، 135 ، 142
14 — « « الاحاطة » مخطوطة المكتبة الاحمدية بفاس ، وعن هذا المصدر : ابن حجر فى « الدرر الكامنة » : الطبعة الاولى ج 3 ص 480 .
18 — « ج 1 ص 124 .
17 — « ج 1 ص 226 — 227 .
16 — المصـــدر ج 1 ص 181 .
15 — الرحلـــة ج 1 ص 199 .
19 — ورد اسم المترجم ضمن اللائحة المطولـــة للشخصيات التى كانت تحضر هذا المجلس ، حســـب آخر شرح البردة البوصيرية للجادري ، مخطوط القرويين رقم 643 .
20 — حسب « الاحاطة » و « الدرر الكامنة » ج 3 ص 481 .

ولهذا نتناول تحليل تحفة النظار ، ونسير فـي عرضها حسب النقط التاليـــة :

ـــ تاليفهـــا ونشرهـــا .

ـــ منهجهـــا .

ـــ قيمتهـــا .

ـــ ملاحظات ختاميـــة .

ونبرز ـــ أولا ـــ أن الرحلة صارت تحمل عنوان « تحفة النظار فى غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » وهى عمل مشترك بين ابن بطوطة وابن جزي محمد ابن محمد الكلبى الغرناطى : الاول املاها من حفظه ، بعدما كانت مذكراته ضاعت منه فى حادثة لصوصية بالمحيط الهندي (21) ، بينما كان الثانى هو الذي كتب الاملاءات من انشائه ، مع احتفاظه ـــ احيانا ـــ بكلام الرحالة على وضعه ، وقليلا يضيف زيادات من كـلام بعض الرحالين السابقين والادباء ، او من كلامـــــه نفســـــه .

وهناك طرف ثالث اشترك فى ابراز هذا الاثر ، وكان هو ابا عنان : العاهل المرينى الذي اشار باملاء الرحلة وتدوينها ، وحدد منهجها فى خمس نقط يلخصها ابن جرير هكذا : « ونفذت الاشارة الكريمة بأن يملى » ابن بطـــوطـــة :

ـــ ما شاهده فى رحلته من الاقطار .

ـــ وما علق بحفظه من نوادر الاخبار .

ـــ ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار .

ـــ وعلمائهـــا الاخيـــار .

ـــ واوليائهـــا الابـــرار .

ثم كان فراغ ابن جزي من تاليف هذا المشروع ، فى شهر صفر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، وتوفى ـــ بفاس ـــ فى نفس العام ـــ بعد الفراغ مـــن عمله بمدة وجيزة .

وكان اسلوبه فى كتابة الرحلة يغلب عليه الطابع الادبى ، ويتأثر بأسلوب ابن جبير ، اما اسلوب ابن بطوطة فى عرض الاخبار ، فهو ـــ فى غالب الاحوال ـــ يتبث فى الاشياء التى يسوقها ، ويتحرى فى ايراد ما يشك فى صحته ، فيصدره بمثل يقال او زعموا او نجد ذلك ، وربما يقول نسيته ، وغير ما مرة يأتى بمقارنات بين مشاهدات فى مختلف انحاء العالم التى زارها .

وله ملاحظات صائبة يعلق بها على بعض ما يلفت نظره من احوال البلاد التى زارها ، كما يفســـر المصطلحـــات الشرقيـــة .

***

واقدم طبعة للرحلة وقعت فى منتصف القـــرن الماضى بباريس ، واضيف الى النص العربى ترجمـــة فرنسية ، حيث ظهر المجموع فى اربع مجلدات ، ثم طبعت فى القاهرة مرات متعددة : تامة او قطعا منها ، وجاء المستشرق الانكليزي جيب فوضع ملخصا لها بالانكليزية نشر سنة 1929 م ، ومن أهم مخطوطاتها مخطوط المكتبة الاهلية بباريس ، وهو بعض النسخة التي خطها ابن جزي بيده .

***

والآن يصل بنا المطاف الى منهج الرحلة ، وكما هو الشأن فى كتابة الرحلات ، فقد صاغها مدونهـــا محتذيا الطريق التى سلكها ابن بطوطة فى تنقلاتـــه مسافة فمسافة ، ومن هنا يمكن أن نقسم ترتيـــب تحفة النظار الى ثلاث فترات رئيسية : زار فى الاولـــى شمال افريقية والشرق ، وفى الثانية الاندلـــــس الاسلامية ، وفى الثالثة السودان الغربـــى .

وتعتبر الفترة الاولى اطول المسافات واهمها ، ويمكن تصنيفها فى تسع مراحل نستعرضها واحـــدة فـــواحـــدة .

ويلاحظ عن المرحلة الاولى ان المترجم حين يذكر خروجه من مسقط راسه ، لا تحدد ـــ بعد ذلـــك ـــ الطريق التى مر بها من طنجة الى تلمسان ، ولا يمكن أن يكون سافر على البحر ، حيث انه يؤكد ان اول مـــا ركبه كان بعد هذا : فى سفره من جدة الـــى اليمن (22) ، على أن اقرب طريق من طنجة الـــى تلمسان ، هى الطريق الجبلية المارة باقليم الحسيمة ، فلا يبعد أن المترجم سافر عليها الى قاعدة المغـــرب الاوســـط .

---

21 ـــ الرحلـــة ج 1 ص 238 .

22 ـــ المصـــدر ج 1 ص 154 .

وقد اخترق فى هذه المنطقة من شمال افريقية : طريق الوجه البحري ، فانتقل من تلمسان الى مليانة ، الى مدينة الجزائر ، ثم مـر ببجاية فقسطنطينة فبونة التي صارت تعرف بعنابـة .

ومن تونس العاصمة الحفصية سار الى سوسة فصفاقس فطرابلس ، ثم مر بالاسكندرية ودمياط حتى انتهى الى القاهرة ، ومنها ينتقل الى مدينة عيذاب وكانت — فى هذه الفترة — تعتبر مرفئا مهما على الساحل الافريقى للبحر الاحمر جنوبى مصر .

***

ولما لم يكن الطريق البحري آمنا ، فقد عاد الرحالة من عيذاب مبتدئا المرحلة الثانية ، وسافر من مصر منتقلا بين مدائن فلسطين ولبنان وسورية ، وخرج من دمشق الى الحج ، حيث زار الحرمين الشريفين : مكة المكرمة والمدينة المنورة .

***

ومن هذه الاخيرة تابع سفره فى المرحلة الثالثة مخترقا العراق ، فزار النجف الاشرف . وواسط . والبصرة . وبعض مدن ايران : مثل تستر . واصبهان وشيراز وكازرون وعاد الى العراق فزار — ايضا — مدينتى الموصل وديار بكر التى صارت تسمى بئامل ، ومن بغداد سافر الى الحرمين الشريفين ، وجاور بمكة المكرمة ثلاث سنوات .

***

وفى المرحلة الرابعة ساح فى اليمن وسافر جنوب الجزيرة العربية ، فافريقية الشرقية ، ومن الخليج الفارسى عاد الى زيارة الحرمين الشريفين حيث حج للمرة الخامسة .

***

وسافر فى المرحلة الخامسة — عبر مصر والشام — الى آسيا الصغرى وشبه جزيرة القريم وروسيا الجنوبية ، ووصل الى جبال القوقاس ومدينة بلغاز .

***

وعاد الى القوقاس ليغادره — فى المرحلة السادسة — الى القسطنطينية مارا على شبه جزيرة البلقان .

***

وفى المرحلة السابعة سافر الى خوارزم وبخارى وافغانستان والسند ، وهى — الآن — مقاطعة فى باكستان ، وانتقل منها الى الهند ، واقام فى عاصمتها دهلى حوالى ثمانية اعوام ، تولى — خلالها — خطة القضاء على المذهب المالكى .

***

وانتهى — فى المرحلة الثامنة — الى جزائر ذيبة المهل ، وهى التى صارت تعرف باسم جزر المالديف فى ماليزيا ، وقد اقام بها ثمانية عشر شهرا ، وتقلد بها ولاية القضاء على المذهب المالكى ايضا ، ثم زار جزيرة سيلان والملايو وسومطرا ، ووصل الى بكين : العاصمة الصينية ، فى سفاره من سلطان دهلى الى خان الصين .

***

وبمغادرة العاصمة الصينية تبتدىء المرحلة التاسعة والاخيرة من سياحة المترجم فى افريقية والشرق وقد سافر من بكين مارا على سومطرا ، ثم الخليج الفارسى ، ومن بغداد مر بدمشق فغزة فيدمياط فالاسكندرية فالقاهرة ، ومنها حج — للمرة السادسة — الى مكة المكرمة ، وزار المدينة المنورة ، ثم انقلب عائدا الى المغرب عبر مصر وشمال افريقية ، حتى وصل مدينة فاس اواخر شعبان من عام خمسين وسبعمائة ، بعد رحلة استغرقت ما يزيد على خمسة وعشرين عاما .

***

وبعدما مثل أمام ابى عنان المرينى فى نفس المدينة قصد مسقط راسه طنجة ، ومنها توجه للاندلس من مرسى سبتة ، وهذه هى الفترة الثانية من الرحلة وقد زار بالاندلس جبل طارق ورندة ومالقة وبلش وغرناطة ، ثم عاد من نفس الطريق التى سافر عليها حتى وصل الى سبتة ، ومنها انتقل الى اصيلا فسلا فمراكش ثم مكناس ففاس .

وكانت خاتمة مطاف الرحالة ، أن سافر من فاس متوجها الى السودان ، وهى الفترة الثالثة والاخيرة من الرحلة ، وقد ذهب الى سجلماسة ، ومنها الى تغازي ، فايوالاتن ، فمالى ، فتنبكتو ، فكوكو ، واخيرا مدينة تكدا ، ومنها عاد ــ عبر واحات توات ــ الى سجلماسة ، وقد وصل اليها فى الثانى من ذي الحجة ، عام أربعة وخمسين وسبعمائة ، حيث انتهى المترجم من رحلته التى تبينا تصميمها .

***

وسيبقى ــ بعد هذا ــ معرفة قيمتها ، وفى هذا الصدد يلاحظ ــ اولا ــ أن تحفة النظار ، ليس كتابا وصفيا للبلاد والجبال والانهار التى رآها ابن بطوطة ، وانما هو عبارة عن نسخة من الصور التى ارتسمت فى ذهن الرحالة عن الاشخاص والناس الذين التقت بهم الصدف فى طريقه ، ولهذا فان قيمة الرحلة فى انها صفحة من التاريخ الاجتماعى الاسلامى أكثر من أن تكون كتابا فى تقويم البلدان والجغرافيا (23) .

***

وفى هذا الاطار فان الرحالة يلم الماما بوصف المدن الكبرى ، ويتوسع فى الحديث عل ملوكها وسيرهم وتقلبات أحوالهم ، ويعتنى بوصف مواكبهم وحفلاتهم الى حد أن يصف حتى الاطعمة والمشارب .

كما يذكر العلماء والحكام والاعيان ، وكذلك الاولياء ، ويذكر كراماتهم ومشاهدهم ، وقد كان شديد البحث عنهم ، حتى أنه يترك طريق السياحة ليزور ناحية فيها ولى .

هذا الى اهتمامه بذكر الربط والجماعات ، مع اعتناء زائد بالعادات والازياء والاخلاق والعقائد . وحتى الخرافات .

ولم يهمل الرحالة الحديث عن اثار التاريخ القديم بالمدن وما اليها ، وكذا عن الانظمة الحكومية ، وعرض بعض القوانين السياسية مثل قوانين جنكيزخان (24) .

وفى مجال الاقتصاد يذكر أهم ما يختص بالمدن التى زارها : من منتجات زراعية أو صناعية ، ولا تفوته الاشارة الى الطريف أو الغريب منها ، ويتحدث ــ ايضا ــ عن العلاقات الاقتصادية ، والحيوانات النادرة ومكانها ، وعن بعض المعادن ومواقعها .

***

ومن مزايا رحلة ابن بطوطة أنها الاولى التى كشفت عن كثير من الانظمة والمظاهر الحضارية للجهات التى زارها .

فهو يذكر عن دمياط ــ البلدة المصرية المعروفة ــ انها قاعدة عسكرية مسورة ، وكل من دخلها لم يكن له سبيل الى الخروج منها الا بتوقيع الوالى ، فمن كان من الناس له اعتبار يمنح الاذن بورقة مختومه بطابع ، ومن كان دون ذلك يوضع الطابع على ذراعه (25) .

ويذكر عن نزالة قطيا فى حدود مصر والشام ، انه لا يقع المرور عليها الى الشام الا بجواز مصري مكتوب ، والقادم من الشام يطالب ــ بدوره ــ بجواز مكتوب من الجهة الشامية (26) .

كما يذكر عن دمشق قصة وقف الاوانى المتكسرة فى أيدي الصبيان ، ويعلق عليها بأن فيها جبرا لقلب كل من الصبى وصاحب الاناء (27) .

وهو يتحدث ــ باسهاب ــ عن الزوايا والرباطات التى كانت منتشرة بالشرق العربى وبلاد فارس وآسيا الصغرى ، ويعطى معلومات قيمة عن نظام هذه المؤسسات بمناسبة حديثه عن خنقاة القاهرة (28) .

ومن أطرف ما فى الرحلة حديثه عن جماعات الاخوان أو الفتيان التى كانت موجودة فى تركيا (29) . وأهمية أخرى لحديثه عن تركيا ، فهو يعطى

---

23 ــ دائرة المعارف الاسلامية : النص العربى ، مج 1 ص 100 .
24 ــ الرحلة ج 1 ص 241 ــ 242 .
25 ــ المصدر ج 1 ص 17 .
26 ــ المصدر ج 1 ص 31 .
27 ــ » ج 1 ص 63 .
28 ــ » ج 1 ص 20 ــ 21 ، 119 ، 120 ، 125 .
29 ــ » ج 1 ص 181 ــ 182 ، 187 ، 196 .

كما يسجل عن سجلماسة انها من احسن المدن ، ويخص بالمدح ثمرها ، ويلاحظ عن بعض أصنافـــه انها لا نظير لها في المعمـــور .

وهكذا نتبين ــ من هذا العرض ــ وجهة نظر ابن بطوطة في اعراضه عن وصف المدن المغربية وصفـــا كاملا ، بعدما رجعنا الى المنهج الذي خطه ابو عنان لتدوين الرحلـــة .

***

وسوى هذا فان تحفة النظار تعرضت لمواخذات وجيهـــــة .

وبالاضافة الى بعض الاغلاط التي نبـــه عليها ابن جزي (34) ، يوخذ على ابن بطوطة المبالغات التي كتبت بها بعض اجزاء الرحلـــة .

كما يوخذ عليه اقتضاب الحديث في بعض المواضيع مثل ما فعل في الصين ، ويمكن ان يكون ذلك راجعا الى ضياع المذكرات الاولى للرحلـــة .

ويوخذ عليه ــ ايضـــا ــ ان اخطا في نهــر النيجر فسماه بالنيل ، على حين أن الادريسي ذكره قبله ، وهذا يدل على ان ابن بطوطة لم يكن طالع كتب تقويـــم البلدان .

ويوخذ عليه ــ للمرة الرابعة ــ وجود اخبار غير مطابقة للواقع ، مثل ما حكاه عن ابن تيمية فـــي قضية النزول ، في حين ان هذا في تاريخ دخـــول الرحالة لدمشق كان في السجن ، باتفاق الذيـــــن ترجموه : مثل ابن عبد الهادي ، وابن كثير (35) ، ويمكن ان يقال في مثل هذا ان ذاكرته خانته ، او ان التبس عليه الامـــــر .

***

وبسبب هذا كله لم تزل الانظار مختلفة فـــي ابن بطوطة ، فابن خلدون يحكى ان الناس يتشككون في اخباره (36) ، بينما وثقه ابن جزي مدون رحلته (37) ، ونوه به اسماعيل ابن الاحمر الغرناطي نزيل فاس (38) وكان البلفيقي رماه بالكذب فبراه ابن مرزوق . وقــد سجل هذا الاخير عنه انه لا يعلم احد اجال البـــلاد كرحلتـــه (39) .

الرباط — محمد المنوني

34 ــ انظر ــ مثلا ــ ج 1 ص 126 من الرحلة .
35 ــ للشيخ عبد الرحمن الوكيل : « ابن بطوطة يفتري الكذب على ابن تيمية » ، مجلة « الهدى النبوي » العدد 4 . المجلد 15 ، ص 202 ــ 207 .
36 ــ المقدمة ، المطبعة البهية العصرية ، ص 158 .
37 ــ يصفه في مقدمة الرحلة بالثقة الصدوف ، ج 1 ص 3 .
38 ــ ذكره بحلية الفقيه القاضي الخطيب ، الحاج ، الكثير الجولة بالمشرق والمغرب ، العارف بالتاريخ ، وذلك بمناسبة عرض لائحة الشخصيات التي تحضر المجلس العلمي في حضرة ابى عنان ، ونقل ذلك عن ابن الاحمر تلميذه الجادري آخر شرح البردة البوصيرية : المخطوط المشار له عنــد التعليق رقـــم 19 .
39 ــ « الدرر الكامنة » ج 3 ص 481 .



الشاعر الوزير
محمد ابن موسى
- 3 -
دراسة في شعره

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

حياتــــــه :

ابصر شاعرنا نور الحياة بمدينة مراكش على راس القرن الرابع عشر الهجري رواية عن اخــي الاستاذ السيد محمد ابى خبزة (1) الذي سمع الشاعر بنفسه يصرح بذلك وهو يملي ترجمته (2) على الاستاذ المؤرخ السيد محمد داود (3) ويعزز هذا انه توفى عام 1385 هـ ــ كما فى لوحة قبره ــ وسنه تناهــز الخامسة والثمانين كما قال الاستاذ السيد عبد اللــه كنون (4) فى مقدمة (5) لقصيدة ابن موسى فى مــدح

---

1) هو احد علماء الشباب وادبائهم ولد بتطــوان عــام 1350 هـ موافــق 1931 م تلقــى العلــوم بالمعهد الدينى بتطوان ، واختلف الى حلقــات العلماء فى المساجد وغيرها ، ومن شيوخه السيــد احمد الزواقى والسيد أحمد الرهونى والسيد محمد الصادق الريسونى ، والمحدث السيد احمد بن الصديق ، ثم انقطع للدراسة الحرة فوعى من المعارف القديمة والحديثة الشىء الكثير ، له انتاج شعري ونثري منشور فى مختلف الصحف والمجلات التطوانية ، عمل كاتبا بالمحكمة الاقليمية وهو اليوم يشرف على قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان ويزاول الخطابة والوعظ .

2) طلبت من الاستاذ داود هذه الترجمة فبذل مشكورا وسعه فى البحث عنها فلم يعثر عليها لحد الان .

3) عالم ومرجع فى تاريخ تطوان ولد بتطوان عام 1318 هـ موافق 1901 م درس بمسقط راسه ، ومن شيوخه أحمد الرهونى ، سافر الى فاس ودرس بها ، وتقلب بعد ذلك فى وظائف مهمة آخرها مديرية المكتبة الملكية بالرباط ، ويعتبر الاستاذ داود من الرواد الاوائل فى عالم الصحافة ، من تاليفه (تاريخ تطوان) وقد طبع منه لحد الآن 19 جزءا وله غيره لم ير النور بعد امد الله فى عمره .

4) من علماء المغرب المرموقين ولد بفاس عام 1326هـ، نشأ فى بيت علم وفضل وصلاح، درس بالقرويين ثم انتقل مع ابيه الى طنجة وبها استقر ، اسهم فى انشاء المدارس الحرة ، واشتغل بالتدريــس والخطابة ونشر الافكار الاصلاحية ، من تآليفه المشهورة (النبوغ المغربى) و (مشاهير رجــال المغرب) ، وله ديوان شعر سماه (لوحــات شعرية) ، تقلد وزارة العدل فى الحكومة الخليفيــة بالمنطقة الخليفية بشمال المغرب ايام الاحتلال ، وعمالة طنجة بعد الاستقلال ، يعمل الآن عضــوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وامينا عاما لرابطة علماء المغرب أمد الله فى عمره ، انظر القباج (محمد) الادب العربى فى المغرب الاقصى ج 2 ص 36 وما بعدها ــ ط 1 ــ سنة 1347 ــ 1929 م وصحيفة (النور) الاسلامية التطوانية العدد 17 ــ السنة 2 ــ رمضان 1395 ، شتمبــــر 1975 ص 10 والسولامى (ابراهيم) الشعر الوطنى المغربى ص 230 ــ نشر دار الثقافة الدار البيضاء . وكحالة (عمر رضا) معجم المؤلفين ج 6 ص 105 ع 2 (بدون تاريخ)

5) نشرت بدعوة الحق ــ العدد 4 ــ السنة 9 ــ 1385 ــ 1966 .

الملك محمد الخامس رحمه الله ، فتكون حينـــذاك ولادته موافقة للرواية المذكورة التى نعتمدها لكونهــا متصلة السند بالمترجم له .

وقد درج في بيئة علمية ، فأبوه (فقيه عالم وكاتب بارع) (6) ولاشك عندي انه اختلف الـى المكتــب (المسيد) كباقى لداته من ابناء العصر لحفظ القرآن وتلقى العلوم الابتدائية ، ولاشك عندي انه لقى من ابيه كل الرعاية فأرشده وزوده بالمعارف .

عاش الشاعر في هذه البيئة التى وفرت له مـا اثرى استعداداته ، واوقد فى عمقه الرغبة الملحــة لاكتساب المعارف ، فأكب على المطالعة والدراسـة ووعى من علوم عصره رصيدا ضخما ، وقد اعانتـه على ذلك حافظته النيرة وذكاؤه الثاقب وادراكـــه السريع .

ولم يقنع شاعرنا بهذا فقط بل حدثته نفســه الولهى بالسفر الى فاس ، قبلة كل من تعلق بالمعرفة من قريب أو بعيد ، وهو يعلم انه سيتكبد الصعاب ، وسيتجشم المتاعب لكن ذلك لم يثنه عن عزيمتــه ، ويفت في عضده فسافر اليها للاستزادة من المعارف وارواء عطشه بمجالسة العلماء ، وغشيان حلقهم ، فكان من بين الذين استفاد منهم واغترف من علمهــم شيخ الجماعة السيد احمد بن الخياط (7) والعالــم الشاعر السيد احمد بن المامون البلغيثى (8) .

ولست ادري كم سلخ من الاعوام الدراسيةبفاس انما الذي ادريه على وجه اليقين هو انه كان بفاس عام 1326 هـ وسندي فى ذلك الابيات التى استجاز بها الشاعر — وسيأتى الحديث عنها — شيخه البلغيثى الآنف الذكر والمؤرخة بهذا التاريخ .

ولست ادري ايضا بعد انتهائه من دراستـــه بالقرويين هل عاد الى بلده مراكش وزاول به عملا ما أم لا ؟ ، غير ان رسالة مؤرخة بتاريخ 27 جمادى 2 1328 هـ من انشاء الشاعر كتبها على لسان السيد محمد الفاضل ابن يعيش يخبر والده غيبا بعقده لــه — اي ابن موسى — على اخت ابن يعيش المذكـــور تكشف لنا عن امر هام هو ان الشاعر تزوج فى نحـو الثامنة والعشرين من عمره ، وانه بعد الانتهاء مـن الدراسـة بمدة — وسلف انه كان بفاس عام 1326 هـ — عاش مع صهره ابن يعيش فى هذه الفترة يقول فى هذه الرسالة (.. لما كان اخونا السيد محمد مـــن القسم الواجب فى حقه على ان الانسان لا يعد فى ذوي المروءة ملاحظا بعين الاجلال الا اذا احرز قصب سبقه اقتضت عواطف الاخوة الحامية ذمار حقيتتها المانعة من تطرف شوائب النقص حياض طريقتها ان عقدنا له على اختنا المصونة السيدة عائشة ، واحرزنا بذلـك ثلثى دين كل منهما بأن وصلناه بمجانسة مروءة وصيانة مع توفر شرط الكفاءة الملاحظ شرعا فى كليهما حالا وديانة ، وكان مؤملنا أن يصدر هذا الامر بحضوركم حرصا على توفر فرحكم به وسروركم ، غير أن الاقدار لما كانت لا تعطى الانسان قيادها ولا تمكنه من ادراك مراماته وقتما ارتادها بادرنا باختلاس هذا الامر من يد عوائقه علما بأن الليل لا يحتفظ فى عموم الازمـان بسارقه وتعين اعلامكم به بذلك الخ) .

---

6) كذا فى الرسائل التى كان يبعثها الشاعر لابيه ، وكذا فى رسالة موجهة من احمد عبد الواحد المواز لوالد الشاعر وكل ذلك احتفظ به .

7) من علماء فاس الافاضل وشيخ الجماعة بها فى وقته (1252 — 1343 هـ) من تآليفه حاشية علـى شرح الخرشي على فرائض المختصر،وحاشيةعلى شرح محمد بن عبد القادر الفاسى فى المصطلح ، انظر الفاسى (عبد الحفيظ) معجم الشيـوخ المسمى (رياض الجنة) ج 1 ص 127 وما بعدها — مطبعة فاس بالمدينة الجديدة عام 1350 هـ ، وترجم له السيد الوالد رحمه الله فى الورقة الاولى من حاشيته المذكورة على المصطلح .

8) من علماء فاس توفى عام 1348 هـ موافق 1929 م ، ولىقضاء الصويرة والعرائش ومكناس والدار البيضاء ، من تآليفه (الابتهاج بنور السراج) وديوان شعر سماه (تنسم عبير الازهار بتبسم ثغور الاشعار) فى مجلدين ، انظر الفاسى (عبد الحفيظ) معجم الشيوخ المسمى (رياض الجنة) ج 1 ص 133 وما بعدها ، ومخلوف (محمد) شجرة النور الزكية ص 437 طبعة مصر 1349 والتباج (محمد) الادب العربى فى المغرب الاقصى ج 1 ص 15 وما بعدها ، والزركلى ج 1 — ص 191 ع 1 ط 3 ، وكحالة (عمر رضا) معجم المؤلفين ج 2 — ص 56 ع 1 .

ومع هذا فلا يمكن ان نقطع بأنه لم يرجع الى مراكش ولم يباشر بها عملا ما مادمنا نجهل العام الذي انهى فيه دراسته بفاس اذ ليس مستبعدا ان يكون عام 1326 هـ هو آخر عهده بالدراسة ، فتكون هناك — اذن — فترة ما بين 1326 هـ وتاريخ الرسالة المذكورة 1328 هـ لعله رجع فيها الى بلده ومكث بين ربوعه مدة زاول خلالها عملا من الاعمال .

كان شاعرنا مرتبطا في هذه الفترات من حياته بصهره ابن يعيش (9) ينتقل بانتقاله ويرحل برحيله ، فلما عين باشا في العرائش — ولم اقف على تاريخ تعيينه والمدينة التي اتى منها — اصطحب معه ابن موسى — كما حدثتني بذلك زوجة اخيه محمد فتحا(10) وكان وجودهما بالعرائش عام 1334 هـ موافق 1916م كما هو مثبت بخط الشاعر في كناشه الخاص بالمراسلات التجارية .

وباستعراضنا لهذا الكناش نستقي معلومات جد مهمة عن حياة الشاعر الاولى في مدينة العرائش وهي انه نزل بها في طور الشباب ، وانه كان يزاول بها مهنة تجارية حرة منذ عام 1334 هـ موافق 1916 م وفيه كان يتولى ابن يعيش الباشوية حسب الوارد في المراسلات التجارية بالكناش وكمثال على ذلك اسوق فقرات من احدى هذه المراسلات يقول ابن موسى بعد كلام طويل (ولعلك تكون وجهت لنا السلعة التي اخبرت انها عند المعلمين) ، وترانا لازلنا لم نرتب السلعة في الحانوت حيث ان (المعلم) النجار لا زال مشتغلا في صنع الزينة لها وستكون بحول الله من احسن الحوانيت التي في ذلك الصف ومهما كملت نعرفك بما صرفنا عليها ليكون الصائر عليها بيننا على السوية) الى ان يقول واما (البلاغي) من العينة التي كنا اوصيناك عليها للباشا فلم توجه لنا منها (بلغة) واحدة وعلى المحبة والسلام في 5 ذي القعدة 1334 هـ 4 شتمبر 1916 م) .

هنا نطرح اسئلة : هل كان ابن موسى كاتبا للباشا في هذا العام ؟ هل كان يزاول مع هذه الوظيفة التجارة ؟ وهل وظيفه لم يكن يسد متطلبات حياته فلجأ الى التجارة ؟ أم انه لم يكن قد تقلد بعد وظيفة كاتب الباشا فباشر مهنة التجارة ريثما تحين الفرصة لتوظيفه .

الذي نعلمه هو انه كان كاتبا لباشا عام 1342هـ موافق 1924 (11) ، واعفى من مهمته في 25 جمادى2 1345 هـ موافق 1 يناير 1927 (12) .

ويبدو ان وظيفة كاتب الباشا لم تكن تسد حاجات الشاعر ، وانه كان يحيا تحت وطأة الحاجة ، ويعيش فريسة العوز ، ويفسر هذا انه حين علم بأن أمين جمرك العرائش قد استعفى فاعفى كتب رسالة رقيقة الى رئيس الوزراء حينذاك السيد محمد ابن عزوز يطلب منه فيها ان يلتفت اليه بتعيينه في المكان الشاغر يقول (.. انى علمت ان امين الصندوق بديوانة العرائش استعفى فاعفى فانتهزت هذه الفرصة على ما فيها اذا لم اجد غيرها للتنبيه على نفسي لديكم راجيا من مراحمكم الاخذ بيدي في الترشيح هذا الوظيف اعانة لي بأجرته الخ) .

ولا يخفى ما توحي به عبارته (الاخذ بيدي في الترشيح لهذا الوظيف اعانة لي بأجرته) من احساس الشاعر بضيق اليد وقلة المال ، وشعوره بالحاجة الاكيدة الى رافد يستقي منه العون على لاواء الحياة .

ويظهر ان هذه الرسالة برغم ما فيها من تصوير لحالة الشاعر ، وما فيها من تزلف أملته الظروف العصيبة لم تحظ لسبب من الاسباب لدى الوزير الصدر بالرعاية ، ذلك ان الشاعر لم يتقلد امانة الجمرك الا بعد سنوات ، لانه اعفى — كما سبق — من وظيفة كاتب الباشا عام 1345 هـ والرسالة المذكورة مؤرخة بتاريخ 1340 .

ثم تولى ابن موسى امانة الجمرك بالعرائش ، ولا اعرف بالضبط عام تعيينه بها ، وقد بحثت في الجرائد الرسمية بالعربية والاسبانية لعلي اعثر على ظهير توليته ولكن بدون جدوى ، والمؤكد انه — كما ورد في مجلة الاتحاد (13) — كان يباشرها عام 1347 هـ موافق 1928 م .

---

9) حاولت ان اقف على ترجمته ولكن بدون جدوى.
10) شاعر ناثر لكنه لا يرقى مستوى اخيه كان كاتبا من الدرجة الاولى بالديوان الخليفي توفي عام 1957
11) كذا في المنجز السنوي الاسباني ANUARIO لسنة 1924 صحيفة 447 وقد مكنني منه مشكورا الاخ السيد محمد امغارة .
12) الجريدة الرسمية العدد 9 — 8 ذي القعدة عام 1345 هـ موافق 10 ماي 1927 م
13) العدد 17 — السنة 2 — صفر 1347 — غشت 1928 — قسم الصحف بالمكتبة العامة بتطوان .

ثم لست ادري كذلك عن شعره فى مرحلة الطلب والتحصيل والعمر الفتى شيئا يذكر الا ابياتا استجاز بها شيخه البلغيثى سنة 1926 هـ بفاس هى :

ابدرا علا افق المعالـــى فتاخرت
بهمته شرق البسيــط مغاربــــــه

ومن فض ختـــم المشكلات وزانــه
كما شاد مستخفى التريض وساربه

ومن عم هذا العصر علما فأنهلـت
جميع من استهوى وعلت مشاربــه

يصول به فصل القضاء فتـــزدري
مقاصره بالمشترى ومحاربـــــه

وتعتصـــم الآمــال منه بزاخـــر
فــلا آمــل الا اديــه مــآربــــه

ايسعد عبد نــال منكــم اجــازة
ام القصد سام لا ترام غواربــــــه

اجبــه ادام الله فضلك ظاهـــــرا
وابقاك عضبا لا تفــل مضاربــــه

بيد اننى اجزم بأنه قال شعرا غير هذا فى فترة الطلب والعود الطري ، وان محاولات اخرى سبقت هذه الابيات التى تقطع بما تحويه من نفحة شعرية ان صاحبها واعد ، جد واعد ، سيكون له شان وإي شأن وسيملأ السمع والبصر ، وستنصت اليه الربـــوع العرائشية مبهورة الانفاس منتشية الاعطـــاف ، وستصغى اليه المرابع التطوانية مدغدغة الاحنــاء ، زاخرة الاحساس ، ولعل شيخه البلغيثى اعجـــب بنبوغه فرعاه حق الرعاية ـ وهو الشاعر الذي لا تنكر شاعريته ـ وقربه اليه ، وآثره علىغيره فتولاه بعنايته واغنى ملكاته بالارشاد حينا والتشجيع حينا آخر .

وان ما لدينا من اعماله الشعرية ليؤكد لنا انــه روض طاقته على الشعر ، ومرن قدره الفنية علــى طرقه واساليبه منذ ان احس دبيبه يسري فى ثنايــا اعماقه ، فعالجه واحتك به وعاناه مدة الى ان استوى عنده ، واستجاب له بعد دربة استجابة جعلت منــه الشاعر المجلى يضرب فى الآفاق المشرقة الغامرة متى فاضت القريحة ، ومتى تنجر الشعور ، ومتى انتشى الخاطر .

ولو اننا ظفرنا بمجموعة من بواكير اعمالـــه ، لاستطعنا ان نزيح الستار عن جوانب من حياتـــه فى مرحلة الشباب المبكر ، تلك الجوانب التى قد تلقــى الاضواء الكاشفة على مناح فى شخصيته بعد مرحلــة النضج تتبدل بسببها احكام تعقبها استنتاجات مفيدة ، وخاصة وانا ابذل الوسع ، كل الوســع ، فى درس حياة الشاعر من خلال شعره ونثره كلما وجـــدت نصا من نصوصه الشعرية او النثرية تخدمنا فى استقاء معلومات جديدة تكمل رسم الصورة عن حياة الشاعر فى جل مراحلها .

⁂

هناك فى العرائش استقر شاعرنا مدة غير قصيرة تتجاوز العشرين سنة اعتمادا على تقديري مـن ان وجوده بالعرائش ـ كما المعت سابقا ـ كان عـــام 1334 هـ حسب مراسلاته التجارية ، واعتمادا علــى انه اعفى من امانة الجمرك عام 1356 كما سيأتى ان شاء الله . وفى هذه الفترات الزمنية اكتسب صداقة اهل البلدة ، فكان يختلف الى مجالس الطرب والانس كلما سنحت الفرصة ، وها هو نفسه يتحدث عن ذلك فى ابيات ثلاثة قالها على البديهة فى مجلس ضم اعيان البلدة ، وكان من بينهم مطرب بارع فى عزف الكمـــان يدعى عبد السلام الغازي (14) التطوانى الذي شنف الاسماع وحرك الاحاسيس بنغمات كمانه ، فلم يملك شاعرنا نفسه ، وهو فى غمرة النشوة ، فهتف باعجاب:

ما وقع الفرد الشادي على وتـــر
تكاد تفصح بالنجـوى سرائـــره

الا تمايـل رقصا قلـب سامعــه
فباح بالوجــد وانهلـت محاجــره

لا تعجبوا ان صبا قلب الشجى لـه
ما حرك القلب الا مــا يجـــاوره

وتكشف الابيات عن جانب فى شخصية الشاعر وانه كان شغوفا بالموسيقا يطرب لها ، ويهش احساسه لايقاعاتها ، مما يبرهن على رهافة شعوره ، كمـــا

---

14) كان من العازفين المشهورين بتطوان .

تبرهن على قدرة الشاعر على ارتجال الشعـــــر ، والابيات في الحقيقة من بدائع البدئه كما يقولون .

ويبدو بما لدي من نصوص شعرية للشاعر أن مرحلة حياته بالعرائش كانت خصبة بالشعر ، فقد تفتقت شاعريته عن نتاج جميل ، اذ ربع قرن تقريبا كفيل بان يحرك كوامن الشاعر ويوحي اليه بالخاطرات بما حوته في طياتها من احداث متنوعة ، وفي هذا الصدد روى لي الاستاذ السيد محمد أبو خبزة عن شقيق الشاعر امحمد نقحا عن صهره الولي ابن يعيشي (15) أن ابن موسى كان يحتفظ بكناش سجل فيه بعض اعماله الادبية — وهو في العرائش — من مقامات وقصائد ومقطوعات ورسائل وازجال وملحون ، وقد بقي الكناش المذكور في متروك السيد محمد الفاضل ابن يعيش ، ولو أن الاقدار ساعدتني — وقد حاولت — على احرازه لاستطعت ان اتعرف على جوانب أخرى من حياة الشاعر بمدينة العرائش ، ولكان لهذا الكناش دور فعال في تقييم شعره ، ورصد الآفاق الشعرية التي كان ينطلق منها للتعبير عن تجربته الشعرية في لحظة من لحظات النشوة والجذل أو لحظة من لحظات الغم والشجن .

وكيفما كان الحال فقد الهبت السنوات التـــي قضاها في العرائش مشاعره وفتقت خاطره ، فاطلعت لنا شعرا غنى فيه رؤاه وخلجاته ، من ذلك قصيدتـــه التي يقرظ فيها قصيدة الشاعر عبد الله القباج (16) يقول في اولها :

كرر أحاديث من فاق الورى نسبــا
للمصطفى وعلا الصيد السراة أبــا

وساد طفلا ملوك الارض قاطبــة
فما استطاعوا الى عليائه سببــا

فوطد الامن في الآفــاق يصحبــه
داعي الرشاد الى استقلال ما رحبا

ومنه قصيدة أخرى يساجل بها القباج المذكور ، ويرحب به في العرائش مبرزا مدى ما يحتله هذا الشاعر من مكانة في عالم الادب وما له من حظوة لديه ومطلعها :

شاعر العصر اضحت دولة الادب
مهتزة العطف بين العجب والعجب

رب القريض ومن تعزى مناقبـــه
الى العلا والى القباج تنتســـب

طـوى السباسب حتى زارنا فرأت
منه العرائش شخص الفضل والحسب

ومنه قوله في زيارة قام بها له بعد سنـــوات صديقه الشاعر السابق الذكر :

صدق البشير وان أرابك بشـــره
وامتاز في افق البشائـــر نشـــره

ومنه قوله من قصيدة بعثها الى الشاعر السابق الذكر كذلك أولها :

ما للفؤاد الى الفــؤاد شفيــــع
الا هوى بين الضلـــوع وديـــع

ومنه قصيدة قالها بمناسبة تنظيم حفلات انشراحية مع مسابقة أدبية اسبانية بمدينة سبتة تسابـــق في مضمارها الشباب في صفر 1347 هـ موافق غشت 1928 م التي شارك فيها بها مستنهضا همم الشباب مطلعها :

عهد الصبا موسم الافراح والطرب
ومهيـع لنـوال الفـوز بـالارب

وصفوة العمر ان جد اللبيب بــه
نحو المعالي اماطت ساتر الحجب (17)

---

15) كان قائد المشور الخليفي توفي عام 1388 هـ موافق 1968 .
16) ولد بمكة وتوفي بسلا سنة 1945 م وانتقل الى المغرب سنة 1898 م ، وهو شاعر مجيد ، عمل في وزارة الاوقاف ثم في وزارة العدل ، وله شعر كثير كان يوالي نشره بجريدة السعادة عرف بلقب الشاعر المطبوع ، انظر الجراري (عبد الله) من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا ج 2 ص 317 وما بعدها . والسولامي (ابراهيم) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 256 ، نشر دار الثقافة — الدار البيضاء . (بدون تاريخ)
17) نشرت بمجلة الاتحاد العدد 17 — السنة 2 — صفر 1347 هـ — موافق غشت 1928 م

ولما لم تنل هذه القصيدة الجائزة الاولى ، وقدمت لجنة التحكيم — وكان يراسها الفقيه السيد احمد الرهونى(18) — عليها قصيدة(19) الاستاذ السيد محمد داود انشأ قصيدة اخرى سماها (شكوى غريبة) ضمنها عتابا رقيقا ، وكشف فيها عما تميزت بها البائية السابقة من خصائص تشفع لها بأن تكون جديرة بالتفوق على سواها يقول فى اولها :

من بدر عاصمة البلاد وشمسها
وزعيم نهضتها وطلعة انسها

ومفيد عالية العلوم بدرسها
ومبيد عادية الهموم برمسها

فضلا حباه به الا له وجودا

الى أن يقول مخاطبا رئيس لجنة التحكيم ، وهو حينذاك قاضى القضاة ، ومتحدثا عن خصائص البائية:

مولاي والانصاف منك مروم
فبسيط عدلك فى البلاد عميم

هذي (الفريدة) حقها مهضوم
ضيمت فساورها الضنى وهموم

او ما تراها اعظما وجلودا

كانت تحوك من المطارف رائقا
تبدي يد الاحسان فيه رقائقها

تستوقف الطرف الحديد دقائقا
رميت بعين لا رأيت بوائقا

والعين حق لا تلوم شهودا

ومنه قصيدة طويلة فى مدح الملك محمد الخامس (20) رحمه الله يقول فيها :

ظهورك من افق المعالى مشير
لاقبال يمن بالامانى بشير

واشراق شمس الفضل منك بباهر
به فلك الملك الكبير يدور

ومنه قصيدة يساجل بها القاضى الحراق(21) يقول فيها :

انفث هاروت جاس القلب امعانا
فخالب السحر البابا واذهانا

أم سائلات اولى الالباب قد خطرت
تمايلت من قدود الغيد افنانا

---

18) من علماء تطوان (1288 — 1373 هـ) درس بمسقط راسه تطوان ثم انتقل الى فاس لاتمام دراسته ولما رجع تولى مهمة التدريس والوعظ والارشاد والخطابة ، كما تولى وزارة العدل ورئاسة المجلس الاعلى للتعليم الاسلامى ، له تآليف عديدة من بينها عمدة الراوين فى اخبار تطاوين ، انظر عمدة الراوين السالف الذكر الذي ترجم فيه لنفسه بقسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط بتطوان ، وانظر داود (محمد) (تاريخ تطوان) القسم 1 — المجلد 1 — ص 50 وما بعدها — ط 2 — مطبعة كريماديس تطوان — 1379 هـ — 1959 م ؛ وانظر ابن عبد الوهاب (الحسن) حواش على بهجة التسولى) ج 1 — ص 21 — ط عام 1372 — 1953 م .

19) مطلع القصيدة هو :

يا رسول السلم حى الناهضين — واذع بشراك بين العالمين

وقد شارك بالنثر فى هذه المسابقة الفقيه السيد احمد الحداد والفقيه السيد محمد الزرهوني والصحافى اللبناني نعمة الله الدحداح ، انظر كل ذلك بمجلة الاتحاد العدد 17 — السنة 2 .

20) ولد بفاس عام 1329 موافق 1911 م وتوفى 1380 هـ 1961 م ، تولى الملك عام 1346 هـ موافق 1927 م ، عمل من اجل رفعة المغرب ، فناهض الاستعمار وفضل المنفى على نعيم الحياة ، لاجل الحرية والاستقلال فبفضل الله ثم بتضحياته وتضحيات الشعب احرز المغرب استقلاله وشق طريقه نحو الحياة الحرة انظر كنون (عبد الله) مدخل الى تاريخ المغرب ص 130 — ط 3 — 1378 هـ — 1958 م ، والجراري (عبد الله) من اعلام الفكر الفكر المعاصر ج 2 — 235 وما بعدها ، وداود (محمد) تاريخ تطوان القسم 1 — المجلد 1 ص 33 — وانظر الموسوعة العربية الميسرة ص 1659 مصورة طبق الاصل عن طبعة 1965 م — دار الشعب وعطية الله (احمد) القاموس السياسى ص 1156 — ط 3 عام 1968 .

ومنه قصيدة كتبها فى اجتماع تكريمى ببيتـــه بالعرائش ــ كما روى لى الفقيه الاديب السيد محمـد الزرهونى (22) : ضم اللجنة المكلفة بامتحان كتـاب المراقبة والبلديات بالمنطقة الخليفية حيئذاك ، وكانت اللجنة تتركب من الفقيه المذكور والفقيه المرحوم السيد محمد اللبادي (23) والفقيه السيد الحسن ابن عبـد الوهاب (24) وخليفة نائب الامور الوطنية (تندا) وذلك عام 1354 هـ . يقول فيها :

ها هو السؤل جاء يخطر شـــدا فلتؤد لله شكـرا وحمـــدا (25)

طالما شاقك التلاقـــى لســـادا ت علوا فى الآداب غـورا ونجـدا

وغدوا يرفعون للعلـم راســا ويحـدون للجهالـة حــــدا

يتبـع

تطوان محمد المنتصر الريسونى

---

21) لم اقف علي ترجمته .

22) من فقهاء تطوان النبهاء ونسبه التللوســى واشتهر بالزرهونى ولد بفرقة (قاع اسراس من قبيلة بنى زيات دائرة السطيحة عمالة شفشاون حسب التقسيم الاداري الحالي) عام 1321 هـ موافق 1903م درس العلوم الاسلامية والعربية على علمـاء تطوان من بينهم السيد احمد الزواقى والسيد محمـد الصادق الريسونى ، والسيد احمد الرهونى والسيد محمد الفرطاح ، تولى وظيفة الكتابة بالصدارة ثم عين قائدا لقبيلة بنى زيات ، وبعد ذلك عين كاتبا عاما لوزارة العدلية عام 1953 ، وهو اليـوم يشغل مهنة العدالة بمحكمة التوثيق ويزاول الخطابة . له ولوع بالادب وخاصة القديم ، ولذلك ينحو فى كتاباته النثرية طريقة القدامى وكمثال على هذا الولوع انه يحتفظ ببعض انتاج ابن موسى الشعري والنثري وقد امدنى به جزاه الله خيرا كما افادنى فى تراجم بعض اعلام تطوان .

23) من علماء تطوان (1314 ــ 1395 هـ =1896 ــ 1975 م) درس بمسقط راسه تطوان ومــن شيوخه بها السيد احمد الزواقى والسيد احمد الرهونى والسيد محمد افيلال ، تولى التدريس بالمعهد الدينى العالى ثم تولى قضاء تطـــوان ، وبعد الاستقلال عين مستشارا بالاستئناف الشرعى بالرباط

24) من الفقهاء النابهين ولد بتطوان عام 1325 هـ موافق 1907 م ودرس بها على شيوخها منهم السيد محمد افيلال والسيد احمد الزواقى والسيد احمد الرهونى ورحل الى فاس لاتمام دراسته بها فتلقى العلوم على علمائها من بينهم السيد عبـد الرحمن الشفشاوني والسيد عبد الله الفضيلي ، اشتغل بالتدريس فى المدارس الحرة ، ثم عين كاتبا اول فى وزارة العدلية وعضـوا بالمجلس الاعلـى للتعليم الاسلامي ، وتولى مهمـة التفتيش فى العدلية ، وبعد الاستقلال عين قائدا ممتازا بدائــرة جبالة بتطوان ثم باشا بالحسيمة ثم قاضيا للتوثيق بطنجة ثم نائب وكيل الدولة بطنجة ايضا ثـم مستشارا فى الغرفة الاستشارية بهذه المدينة نفسها . من تآليفه (حواش على بهجة التسولـي) فى ثلاثة أجزاء و (تاريخ القضاء منذ استقلاله فى المنطقة الخليفية أو تاريخ القضاء فى شمـال المغرب على عهد الحماية) وهو معد للطبع .

25) كذا وهو لا يستقيـم .

كتب الزواجر والعظات

للوزير لسان الدين بن الخطيب

713 - 776 هـ

تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة

« نتابع فى هذا العدد نشر الوثيقة الثانية من رسائل ابن الخطيب الى اصدقائه من معاصريه ، والتى افرد لها بابا خاصا فى نهاية مؤلفه الادبى التاريخى « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » حيث أدرج هذه الرسائل تحت باب « الزواجر والعظات » وقد قدمنا لها فى العدد السابق بموجز عما تضمنته ... »

ومن ذلك ...

اخوانى ، صمت الآذان والنداء جهير ، وكذب العيان والمشار اليه شهير ، اين الملك وابن الظهير ، اين الخاصة وابن الجماهير ، اين القبيل وابن العشير ، ايـن كسرى (1) ابن ازدشير (2) (148 . أ) صدق الناعى وكذب البشير ، وعز المستشار واتهم المستشير ، وسئل عن الكل فاشار الى التراب المشير .

---

(1) هناك فى التاريخ « كسرى انو شروان » ثم « كسرى ابرويز » فالاول ملك ساسانى (531 — 579 م) ابن قباذ . حارب فى عدة مواقع ، واحتل انطاكية ، ثم اجبر على عقد هدنة مع البيزنطيين (555 م) كما استولى على اليمن (570 م) ومن اهم اصلاحاته الداخلية تعديله لنظام الضرائب فى البلاد بما حقق مصلحة الناس والدولة ، كما قام بمسح شامل للاراضى .

اما الثانى : فهو « كسرى أبرويز » وهوملك ساسانى ايضا (590 — 628 م) ابن هرمز الرابع ، ارتقى العرش بمساعدة الامبراطورموريق البيزنطى (591 م) وقد احتل القدس عام 614 م ، وقد اغتيل فى السجن بعد ان كان هرقل قد انتصر عليه .

(2) يطلق هذا الاسم على ثلاثة ملوك ساسانيين من الفرس ، اهمهم « ازدشير الاول » مؤسس الدولة الساسانية (نحو 226 — 241 م) وقد اعادبناء وحدة بلاده ، ثم « ازدشير الثانى » (370 — 383 م) .

وتجدر الاشارة الى أن « ازدشير شابور » وزيربهاء الدولة البويهي قد أسس فى بغداد دارا للكتب ، كان قوام محتوياتها ما يقرب من 10,000 كتاب ، وذلك عام 990 م .

خذ من حياتك للممات الآتي
وبدار ما دام الزمان مواتي

لا تغترر، فهو السراب بقيعة
قد خدع الماضي به والآتي

يا من يؤمل واعظا ومذكرا
يوما لينقذه من الغفلات

هلا اعتبرت وبالها من عبرة
بمدافن الآباء والامهات

قف بالبقيع وناد في عرصاته
فلكم بها من جيرة ولدات

درجوا ولست بخالد من بعدهم
متميز عنهم بوصف حياة

والله ما استوقفت حيا صارخا
الا وانت تعد في الاموات

لا فوت من درك الحمام لهارب
والناس مرعى معرك الآفات

كيف الحياة لدارج متكلف
سنة الكرى بمدافن الحيات

أسفا علينا معشر الاموات، لا
تنفك عن شغل بهاك وهات

ويغرنا لمع السراب فنغتدي
في غفلة عن هادم اللذات

والله ما نصح امرءا من غيه
والحق ليس بخافت، المشكاة

يا من غدا وراح، والف المراح، يا من شرب الراح (148 . ب) ممزوجة بالعذب القراح، وقعد لقيان صروف الزمان، مقعد الاقتراح، كانك والله — باختلاف الرياح، وسماع الصياح، وهجوم غادة الاجتياح، تاديل الخفوت من الارتياح، ونسيت أصوات الغناء برنات النياح، وعوضت غرر النوب التباح، من غرر الوجوه الصباح، وتناولت الجسوم الناعمة ايدى الاطراح، وتنوسيت العهود الوثيقة بكر المساء عليها والصباح، اصبحت كماة النطاح من تحت البطاح، وحملة المهندة والرماح، ذليلة من بعد الجماح، ولو كان هذا الموت لا شيء بعده لهان علينا الامر، واحتقر الهول، ولكنه حشر ونشر وجنة ونار، وما لا يستقل به القول.

يا مشتغلا بداره، ورم جداره، عن انتزاعه الى النجاة وبداره. يا من صاح بنذاره شيب عذاره. يا من صرف عن اعتذاره باقذائه واقذاره. يا من قطعه بعد مزاره وثقل اوزاره. يا معتلقا ينتظر هجوم جزاره. يا مختلسا للامانة يرتقب مفتش ما تحت ازاره. يا من أمعن في خمر (149 . أ) الهوى خف من اسكاره. يا من خلف مولى رقه توق من انكاره. يا كلنا بعارية ترد. يا مفتونا بانفاس تعد، يا معولا على الاقامة والرحال تشد، كأنني بك وقد اوثق الشد، والصق بالوسادة الخد، والرجل تقبض والاخرى تمد، واللسان يقول: يا ليتنا نرد.

أنا لله وانا له ما اشغـ
ـل الانسان عن شانه

يرتاح للاثواب يزهى بها
والخيط مغزول لاكفانه

ويخزن الفلس لوراثه
مستنفدا مبلغ امكانه

قوض عن الفاني رحال امـ
ـرى، مد اليه كف عرفانه

ما ثم الا موقف راهن
قد وكل العدل بميزانه

مفرط يشقى بتفريطه
ومحسن يجزى باحسانه

يا هذا، خفي عليك فرض اعتقادك، فالتبس الشحم بالورم، جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب فسد حس ذوقك فتفكهت بحنظلة. اين حرصك من أجلك، اين قولك من عملك. بدركك الحياء (149.ب)، من الطفل فتتحامى حمى الفاحشة في البيت لسببه، ثم تواقعها بعين خالق العين، ومقدر الكيف والاين. تالله ما فعل فعلك من قطع بوجوده « ما يكون من نجوى ثلاثة . . الآية » (3) تعود عليك مساعي الجوارح التي سخرها

(3) سورة المجادلة، آية : 7 .

لك بالقناطر المقنطرة بالذهب والفضة ، فتبخل منها في سبيله بفلس ، وأحد الامرين لازم ، اما التكذيب واما الحماقة ، وجمعك بين الحالتين عجيب ! يرزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك ، وتسيء الظن به في يوم يوجب الحق وتعتذر بالغفلة ، فما بال التمادى ؟ تعترف بالذنب ، فما الحجة مع الاصرار ؟ « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا » (4) .
يا مدعى النسيان ، ماذا فعلت من بعد التذكير ؟ يا معتذر بالغفلة ، اين نضرة التنبيه ؟ يا من قطع بالرحيل ، اين الزاد ؟ يا ذنابة الحرص ، الى كم تلجلج في ورطة الشهد ؟ يا نائما ملأ عينه جسد الاجل يريد أن ينقص . يا ثمل الاغترار قرب خمار الندم ، تدعى الحقوق الصنائع (150.أ) ، وتجهل هذا القدر . تبذل النصح لغيرك ، وتغشش نفسك هذا الغش !
اندمل جرح توبتك على عظم قام بناء عزيمتك على رمل بث خضراء دعوتك عقدت كفك من الحق على قبضة ماء .
« افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ... الآية (5) » اذا غام جو المجلس وابتدا رسم غمام الدموع ، قالت النفس الامارة : حوالينا لا علينا ، فذللت رياح الغفلة وسحاب الصيف تصفاف ، كلما شد طفل العزيمة كفه على درة التوبة ما نعته طير الشهوة على ذلك بعصفور . اذا ضيق الخوف فسحة المهمل سرق الامل حدود الجار ، قال بعض الفضلاء : « كانوا اذا فقدوا مطلوبهم تفقدوا قلوبهم » ولو صدق للواعظ الاثر اللهم لا اكثر ، طبيب يداوى الناس وهو عليل ! والمتفطن قليل ، فهل الى الخلاص سبيل ، انظرنا بعين رحمتك التى وسعت الاشياء ، وشملت الاموات والاحياء ، يا دليل الحائرين دلنا ، يا عزيز ارحم ذلنا ، (150.ب) يا ولي من لا ولي له كن لنا ان أعرضت عنا ، فمن لنا نحن المذنبون وانت غفار الذنوب ، فقلب قلوبنا يا مقلب القلوب ، واستر عيوبنا يا ستار العيوب ، يا أمل الطالب ويا غاية المطلوب . انت حسبنا ونعم الوكيل .

(4) سورة الاعراف ، آية : 58 .
(5) سورة فاطر ، آية : 8 .



حروب البرتغاليين في المغرب

للأستاذ أحمد مدينة

لم يبق للبرتغاليين من المراكز فى المغـرب سنة 1550 سوى سبتة وطنجة والجديدة وكان لهم من قبل القصر الصغير واصيلا وراس كير وآسفي وأزمـور .

فأراد سبستيان ان يسترد مجد البرتغاليين المفقود فى افريقيا باعداد حملة قوية الى الاراضـي المغربية تحت أمرته .

ولكن المغاربة بقوة عزيمتهم وتوحيد كلمتهـم تحت راية السعديين بددوا احلامه فى موقعة وادي المخازن حيث لقي حتفه مع النخبة الممتازة من نبلاء البرتغال .

الانقضـاض على سبتـة

كان القصد من احتلال سبتة المحافظـة على سير الاساطيل التجارية والحربية الى الهند عن طريق المحيط الاطلسي ، ولا يذكر المؤرخون الاسباب التي دعت جوان الاول ملك البرتغال الى الاستيـلاء على سبتة ، ومع ذلك فالمفهوم انه احتلها لتكون قاعـدة تدفع عن بلاده غارات سكان الشواطىء المغربية فى بوغاز جبل طارق . وكانت البرتغال تمني نفسهـا باحتلال مركز الجمهوريات الايطالية فى البحر الابيض المتوسط . فهي اذن على هذا الاعتبار مركـز لـه اهميته فى طريق التجارة بين ايطاليا ولشبونة وشمال اوروبا . ولم يكن المقصود من الانقضاض على سبتة فى أول الامر التوغل داخل بلاد المغرب ، فان هـذا الشعور لم يلد الا فيما بعد .

وما ان وصلت الحملة التي اعدها دون جوان فى ثلاث سنوات الى البوغاز حتى الجأتهم رداءة الجو الى الجزيرة الخضراء ولكنهم استطاعوا ان يقتحموا سبتة ثم عاد الملك جوان بعد ان ترك واليا عليها « بـدور دى منيسيس » وحامية مؤلفة من 500 2 رجـل . وهو عدد ضئيل بالنسبة لاهمية هذه القاعدة الا انه كاف للدفاع عن سبتة من جهة البر بسهولة فضلا عن ان دولة المغرب ليس لها اسطول يستطيع ان يهددها بحرا . ومع ذلك فقد كانت هذه الحامية تعيش عيشة الهلع بسبب الغارات التي يشنها عليها عامل تطوان وفى كثير من الاحيان كان السلطـان ياتي بنفسـه محاولا القاء البرتغاليين الى البحر واسترداد الميناء الضائع خوفا من امتداد نفوذ البرتغاليين الى داخل البلاد . فأصبحت سبتة بهذه الغارات المتكررة عبئا على دولة البرتغال لضياع الارواح وكثرة الخسائـر المادية الاخـرى .

احتـلال طنجـة

كان المحرض الاول والداعي لفكرة التوسع فى المغرب ، الامير انريكي المعروف ب « الملاح » وكان فى البرتغال يومئذ حزبان احدهما ينتصر للتوسـع والاخر يعارضه . فانتصر الحزب الاول أيام حكـم « دوارتي » خلف جوان الاول فأعد انديكي جيشـا لفتح طنجة يتجه اما من سبتة فتطـوان فالفنـدق فالركائع. واما من سبتة فالقصر الصغير. فآثر الاخيرة لقصرها . فوصلها برا عن طريق القصر الصغيـر

يحميه الاسطول من جهة البحر حتى اشرف عليها يوم 13 سبتمبر سنة 1437 وانزل عساكره بضاحية مرشان . الا ان صلة الجيش بالاسطول كانت مضطربة، عرضت المدفعية لكثير من الاخطار ، كما ان المدافع كانت غير ملائمة ، يضاف الى هذا خلو الحملة من عنصر المفاجاة . لهذه الاسباب ولقدوم المجاهدين من انجرة ووادراس وبني مصور وجبل حبيب وبني يدر وبني عروس وبني كرفط واهل سريف ؛ اصبح الغزاة البرتغاليون وعددهم 500 6 رجل مطوقين من كل الجهات فلم يجد « اندريكي » مناصا من النزول عند رغبة المغاربة بتسليم سبتة مقابل تسريح اسرى الجيش البرتغالي واحتفظوا بـ « الانفانتي دون فرناندو » ريثما يطبق ما اتفق عليه ، فكان هذا الامر موضوعا للجدال في بلاد البرتغال بعد ابحار الاسطول البرتغالي في 17 اكتوبر ادى الى نقض العهد ، فنقل عندئذ فرناندو الى اصيلا ثم الى فاس حيث بقي اسيرا الى ان توفي في خامس يونيو 1443 .

المحاولة النهائية

بينما كان يتربع على عرش المملكة الفونسو الخامس سنة 1438 اخذ انريكي يستحثه على شن حملة جديدة على الثغور المغربية ، فاستجاب له في 17 اكتوبر من سنة 1458 مجهزا اسطولا مؤلفا من 000 52 رجل لاحتلال القصر الصغير كمرحلة اولى للاستيلاء على طنجة من جديد .

وفي عام 1463 عاد الفونسو الخامس الى القصر الصغير يوم 17 نوفمبر ، وقضى به فصلي الشتاء والربيع يشن الغارات المتوالية على طنجة واسوار اصيلا فيدبر له سكان الجبل كمينا يضحي فيه عامل البرتغاليين على القصر الصغير بنفسه لينقذ حياة مليكه .

عاد ملك البرتغال متذمرا مما اصابه من الفشل ليعد هجوما جديدا على اصيلا في 20 اغسطس سنة 1471 فوقعت معركتان احداهما بالجامع والاخرى في القصبة فقد بعدهما ثغر اصيلا . فلم يبق أمل في غير اخلاء طنجة امام الخطر الداهم الذي يهددها من جهتين : اصيلا والقصر الصغير .

ثم جلا السكان عن مدينة العرائش خوفا من امتداد نفوذ البرتغاليين اليها ، وفعلا فكر جوان الاول ابن الفونسو الخامس في امتلاك احدى الضواحي الشرقية لمدينة العرائش لقطع المواصلات بين جنوب المغرب وشماله الغربي عن طريق القصر الكبير . ثم احتلوا العرائش سنة 1489 فضرب المغاربة الحصار عليها حتى ابحر الغزاة منها باسطولهم .

في هذا الوقت كان ظل الاسلام قد اخذ يتقلص في الاندلس امام هجوم مملكة اراغون ومملكة قشتالة المتحدتين ، واخذت كل من اسبانيا والبرتغال تتجهان بانظارهما الى التوسع فيما وراء البوغاز ، ووضع مشروعات ادت الى نزاع بينهما على تحديد مناطق النفوذ في المغرب ، فاعترفت قشتالة طبقا لمعاهدة صادق عليها البابا « سكستو السادس » في 9 يونيو 1491 بحقوق البرتغاليين في الشاطئ الشمالي يمتد من مليلية الى سبتة . ولكن الملكين الكاثوليكيين احتلا مليلية يوم 17 سبتمبر سنة 1497 (بعد سقوط غرناطة بخمس سنوات) مما دعا ملك البرتغال الى الاحتجاج واشتداد الخلاف بين المملكتين لاقتطاع تلك المدينة من منطقة اطلق يد البرتغاليين فيها بمقتضى الاتفاق المتقدم . ثم انتزعت من المغرب ايضا قزازة سنة 1505 وحجر بادس عام 1508 باعتبار انها مستقلة عن مملكة فاس !

فوقع كل هذا موقعا سيئا في نفوس البرتغاليين مما أدى الى عقد معاهدة « سينترا » في 18 سبتمبر سنة 1509 تشطر القسم الشمالي من المغرب شطرين من حجر بادس بثلاثة وثلاثين كيلو مترا الى سبتة للبرتغاليين ومنها الى الشرق للاسبانيين .

توسع البرتغاليين نحو الجنوب

في عهد « مانويل الاول » — 1491 — 1521 — اي في سنة 1506 احتل « ديبكودي ازامبوجا » الصويرة . واستغل خلافا وقع بعد سنتين بعد عاملي آسفي على المنصب ، فاستولى عليها واقام ايضا خلفه « نونيو فرنانديت دي اتايدي » رجلا اسمه يحيى حاكما عليها . ومثل هذا حدث ايضا في ازمور ؛ دخلها الكوندى دي براكانزا في 13 سبتمبر 1513 بسبب نزاع على الحكم فيها ولكن البرتغاليين استبدلوها بالجديدة بعد ان اخلاها السكان مما جعل حياتها لا تطاق فضلا عن أن موقعها غير متوفر الشروط . ثم حملته نشوة الانتصار ان يغير على مراكش لردع القبائل المناوئة لمراكز البرتغاليين ، فعاد من تلك الغارة سنة 1516 مقتولا ومني جيشه

بالهزيمة العظيمة . وقبلها بعام اراد ان يتخذ من المهدية مركزا محصنا فأرغمه المجاهدون على ترك تحصيناته والجلاء عنها .

مقاومة الغزو

كان راس المقاومة ومدبرها الاول محمد القائم ابن الشيخ السعدي حينما فقدت اسبانيا قبل البرتغال مركزا بحريا بالجنوب كانوا يسمونه « سانتا كروث دي ماربيكينيا » في فاتح اغسطس عام 1517 فجاءت النجدة من جزر كاناريا لاسترداده عبثا لان المغاربة استطاعوا سنة 1524 ان يحاصروه ويدمروا معالم الحصن كيلا يعاد استخدامه من جديد . ثم تعرضت اكادير سنة 1533 وازمور بعدها بأربعة اعوام لهجوم أقلق راحة المحتلين البرتغاليين وعرضهم لاخطار ماحقة فسادت فكرة الانصراف عن المغرب الى امبراطوريتهم في الهند وامريكا ، وكان لا بد لجوان الاول أن يستأذن البابا في الجلاء عن المغرب وقبل أن يصل الاذن بعشر سنوات سقطت اكادير في يد المغاربة يوم 12 من ابريل سنة 1541 حتى وصل اذن البابا بالجلاء عن آسفي وازمور ، ولم يبق في يدهم من ثغور المغرب على المحيط الاطلسي سوى الجديدة ، فاراد ملك البرتغال امام هذه الطعنات القاتلة في صدر الاحتلال البرتغالي أن يستنجد بالوطاسيين اصحاب فاس بصفتهم اعداء للسعديين ، فلم ينجدوه .

وممن اذكى روح الحماس في نفوس الناس للقضاء على الاجنبي ، المهاجرون الاندلسيون المستقرون بتطوان وشفشاون عقب سقوط غرناطة ، فازداد نفوذ السعديين قوة واستنجد الوطاسيون بملك البرتغال جوان الثالث سنة 1547 فيحيلهم على كارلوس الخامس ، فلا يهتم هذا لانشغاله بمشاكل اوروبا ، فلم تمض سنتان حتى كان نجم الوطاسيين قد افل وقويت شوكة السعديين واصبح لهم من النفوذ ما لم ير معه البرتغاليون بدا من الانسحاب الى طنجة والجلاء عن أصيلا (1549) حتى لم يبق لهم في منتصف القرن السادس عشر غير سبتة وطنجة في الشمال والجديدة في الجنوب .

تمهيد لمعركة وادي المخازن

تعد هذه الواقعة حادثا دوليا ومن المعارك الفاصلة في تاريخ العالم . لان القتال فيها كان بين قوتين روحيتين فازت احداهما على الاخرى فوزا مبينا ساحقا .

وبينما كان سلطان المسلمين يضعف في اسبانيا ، اخذت امبراطورية اسلامية اخرى تنشر سيطرتها ويتسرب نفوذها الى المغرب عن طريق تلمسان وتسد طريق الملاحة في وجه السفن الاسبانية والبرتغالية في حوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي ، فاذا يئس البرتغاليون والاسبانيون من القضاء على أعدائهم العثمانيين فلا اقل من مهادنتهم وتجريد حملة صليبية على المغاربة جيرانهم .

تأسست دولة السعديين على اساس من الشعور بالبغض الشائع وقتذاك بين المغاربة نحو البرتغاليين سادة الشواطىء المغربية في الغرب ونحو الاسبانيين المعتصمين بالمرافىء في الشمال خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فقاوموهما معا كما قاوموا النفوذ التركي للمحافظة على استقلالهم الديني والسياسي .

نشا ابو مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ السعدي نشاة تركية ورأى نفسه احق من ابن اخيه ابي عبد الله محمد بملك المغرب فدخل اليه على رأس اربعة آلاف من الرماة الاتراك بالبنادق سنة 1576 وعهد لاخيه ابي العباس احمد المنصور بمطاردته حتى التجأ محمد الى بادس حيث يعسكر جنود فليبي الثاني فطلب ملك اسبانيا ان يعينه على استرداد ملكه من عمه دون جدوى لانشغاله بمحاربة البروتستانت ومن بقي من المسلمين في اسبانيا ، فانتقل الى طنجة يلتمس معونة دولة البرتغال فأصغت له وظهر لعاهلها سبستيان أن الفرصة مواتية للانقضاض على ما بقي من المغرب . أما عبد الملك فانصرف الى تنظيم قواته اداريا وعسكريا ساعيا الى مسالمة جيرانه ليتفرغ الى تدعيم ملكه وتثبيت اركان مملكته متخذا اسيره الضابط « فرنسيسكو الدانا » رسولا يعرض على سبستيان استعداده للسعي في هدنة بين آل عثمان والبرتغال التي طالما تمناها ، وكان يعوق سبيلها الجزائريون والاندلسيون الناقمون ، ثم ارسل اليه مع « سونيكا » الضابط الاسير كتابا يحذره من الوقوع فيما لا تحمد عقباه ملتمسا تعيين مندوب عنه للمفاوضة ، ولم يكتف بهذا ، بل أوفد صديقا له اعتنق الاسلام اسمه « اندريا كاسبارو » فيقول لسبستيان أن عبد الملك يمنحك اثنين وعشرين

كيلو مترا لتوسيع مناطق النفوذ البرتغالي في سبتة وطنجة والجديدة اذا انت أعرضت عن مشروعك ، ولكن عاهل البرتغاليين أبى واستكبر وظن ان مطالب جاره تنم على ضعف ظاهر . وهذا ما ابداه لجدته كاطالينا ولعمه الكردينا انريكي وغير من المستشارين في البلاط الملكي حينما حذروه نتيجة فشل المشروع اما جدته فماتت من شدة الغم ، وأما فيلبي الثاني فقد ارسل الدوق دي مدينة سالم يعزيه في جدته ظاهرا ولحمله على العدول عن تجهيز الحملة باطنا . فلم يبق امام عبد الملك بعد هذا الا ان يعد التدابير الدفاعية اللازمة لمواجهة الخصم العنيد ومقاومة الغزو الخارجي . فجند في تلمسان قوات الناحية الشرقية وحشد اخوه احمد المنصور قوات الجنود فاجتمع له خلق كثير بلغ تعداده مائة الف نسمة جعل منها حاميات الثغور لمواجهة نزول الغزاة الى البر ، وكان على علم تام بحركات الاسطول البرتغالي بواسطة الجواسيس من البرتغاليين ، فان احدهم ابحر من ميناء لاكوس حاملا نبأ العمارة الكبرى ، وما ان بلغه خبر نزولهم حتى اعاد حشد الجيش في القصر الكبير وارسل اخاه على راس ستة آلاف فارس الى اصيلا لمناوشتهم دون ان يواجههم وجها لوجه .

جيش عبد الملك

امتاز جيش عبد الملك بممارسته للحرب مع المرينيين أولا ثم الوطاسيين والاتراك والبرتغاليين من بعدهم ، وتنظيمه الدقيق المقتبس من جيرانه الاتراك في الجزائر . ولم يعد المغاربة في هذا الوقت يهابون الفرسان البرتغاليين بدروعهم الفولاذية .

وكان مؤلفا من المهاجرين الاندلسيين والعلوج وخلق كثير يدعى جند الروم وعدد لا يحصى من الفرسان المدربين على حيل الحرب جاءوا من سائر بقاع المغرب .

اما ابو عبد الله محمد فاستقر به المقام في سبتة مع مائة من انصاره يتصل أحيانا بأصحابه القدماء ويتعلق بأذيال سبستيان عن طريق حاكم سبتة « دوارتي دي منيزس » في كثير من الاحيان .

وفي هذه الاثناء سلم مدينة اصيلا وكان يحكمها احد رجاله الى حاكم سبتة لينفذ البرتغاليون منها الى الداخل . وكان 17 يونيو سنة 1578 يوم الاحتفال الرسمي في كاتدرائية لشبونة ، بارك فيه كبير الاساقفة العلم وسلمه سبستيان بعد ذلك الى القائد لويس دي مينزس ، ثم انتقل الملك وحاشيته بعد الاحتفال الديني الى حيث يرسو الاسطول ، وكان مؤلفا من ستمائة نقالة بقيادة « ديكو دي صوصة » وخمس سفن حربية وعدد آخر من المراكب يتراوح بين الاربعين والخمسين .

وقبل ان يتحرك الى ميناء لاكوس اتجه سبستيان الى قادس فوصلها في اليوم السادس والعشرين وقضى أسبوعا اكرمه فيه دوق مدينة شذونة حاكم الاندلس باسم الملك فليبي الثاني والح عليه يريد أن يستبقيه عبثا ويسلم مقاليد الحملة الى القواد .

وفي اليوم الثالث من يوليو ابحرت قطع الاسطول محاذية للشواطىء المغربية حتى نزل سبستيان في طنجة في اليوم السادس ، ثم واصلت سيرها الى القرب من المنار حيث ينتظر ابو عبد الله محمد على رأس اربعمائة فارس وثمانمائة رام لحماية الاسطول برا الى اصيلا ، وفيها بقي الجنود ثمانية عشر يوما يضعون الخطط للاستيلاء على العرائش ، فبعضهم يرى دخولها من البحر والبعض الآخر يفضل اخذها من البر ، وفيها تقدم سفير ملك الاسبان « دون خوان دي سليبا » واهدى سبستيان الخوذة والقناع اللذين كانا لجده كارلوس الخامس في حروب تونس .

حالة الجيش البرتغالي قبل المعركة

بعد ان وزعت على كل جندي في اليوم التاسع والعشرين من يوليو مؤونة تكفيه ثمانية ايام ، تحرك الجيش مؤلفا من ثمانية عشر الف جندي من المشاة والف وخمسمائة فارس وثلاثين مدفعا يبحثون فلا يجدون ماء ولا ظلا في اشد ايام القيظ فضلا عن الغارات التي يشنها احمد المنصور على الجنود المحملين بالاثقال ممن لم يمارسوا فنون الحرب وضروب القتال ، وكان ابو عبد الله قد وعد البرتغاليين بثورة المغاربة جميعا في وجه عمه والانضمام اليه فزاد في ورطتهم واضعاف همتهم ان شيئا من هذا لم يتحقق ، فلم يبق الا ان يقيموا معسكرهم في ثاني اغسطس بالقرب من ضفة وادي المخازن ، فالف « الدوقي دي آفيرو » من ثلاثمائة فارس فرقة

للاستطلاع فوجد على الضفة الاخــرى المغاربــة بجيشهم العظيم يستعدون للســاعــة الفاصلــة .

وكان لكلا الجيشين مركز حربي مناسـب ، يحمـي مؤخرتهما رافد من روافد نهر لكوس ، وكل من اتخذ خطة الهجوم اضاع ذلك الامتياز ، الا أن مركز الغزاة كان اخطر لضعف فرسانهم ونفاذ المؤونة فى خمسة ايام وانعدام الحماس فيهم واختلاف الاجناس وتباين اللغات بين صفوفهم . وكما أن المغاربة عرفوا نقصان المواد الغذائية لدى أعدائهم كذلك انتظر الغزاة وفاة عبد الملك بعد ان انتهى اليهم خبر مرضه لعل فيهـا مخرجا من المازق الذي وقعوا فيه .

الجيش البرتغالــي

وفى الساعة العاشرة من يوم 3 اغسطس سنة 1578 خاض الجيش البرتغالي الميـدان يساعـده الايطاليون والقشتاليون والالمانيون ومن التحق مـن الخونة بابى عبد الله المخلوع يقودهم جميعا « وارتو دي منيــزس » و « اركوليــس » و « آكيــلار » و « كودوى » و « توماس دي استرلنس » و « الدوق دي افيرو » و « مرتين دي بركونية » وكان سبستيان الى جوار حامل العلــم لويس دي منيزس عن يسار القلب يحيط به سفير اسبانيا وعدد من الرهبــان والنبلاء البرتغاليين .

الجيش المغربــي

وهناك على الضفة الاخرى جيش اسلامــي فى شكل هلال يتحفز للدفاع يؤلف فرقة من ثمانية عشر الف من مشاة القبائل والاندلس والعلــوج وثلاثــة وستين الف فارس وثلاثين مدفعا وخمسة عشر الف من جند الروم غير النظاميين يقودهم أحمد المنصور وعلي ابن موسى والحسين العلج الجنوي وابي علــي القتوري وسعيد الدكالي وابراهيم السفياني وحازم المقدوني ومحمد بن علي بن ريســون . وتوســط الجيوش عبد الملك محمولا على محفة يحيط به مائة من الاتراك ومائة من العلوج بقيادة مصطفى رضوان ومحمد ابى طيبة ، وهو علج برتغالي ، ورفعت الاعلام فى الامام وحمل الفقهاء المصاحــف فى الاطــراف يتلون القرآن ، وبقي فى المؤخرة رجال عهد اليهــم بالتطبيل والتزمير .

التحــام الجيــش :

وقبل ان تحين الساعة العاشرة وقت ابتــداء المعركة يوم الاثنين متم جمادى الاولى سنــة 986 الموافق ليوم 4 اغسطس 1578 اشار سبستيان الى القسيس اليسوعي اليخاندرو فرسم هذا الصليب بيده وأزاح الفرسان أقنعتهم وركع المشاة فى صمت عميق رهيب ، ثم كان الصدام الاول افرغ المغاربــة ما فى جعاب المدافع من قنابل فى وجه العدو الذي فزع لها . وكان الضحية الاولى قائد الحرس الملكي فتبعهم الفرسان باطلاق الرصاص من بنادقهم ، ثــم اشتبك الفريقان بالسلاح الابيــض دون استغــلال المدافع وسلاح الفروسية استغلالا مطابقا للنظــام العسكري . وفى عنفوان المعمعة امتطى عبد الملــك صهوة جواده يلهب الحماس فى نفوس المقاتلين حتى ثقل عليه المرض وانحنى رأسه على صــدره فاقــد الروح واصبعه على شفتيه كأنه يوصي بعــدم افشاء سر موته وكذا اخفاه قائده وصفيه مصطفى رضوان بادخال راسه فى المحفة التي نقل اليها سيده موهما انه يتلقى التعليمات والاوامر منه الى ان يتم النصر النهائي للمغاربة .

اما سبستيان فقد قاوم حتى بدأ وجهه ملطخـا بالدماء من أثر الجراح وسقوط كثر من الجياد التي كان يمتطيها وكانت بوادر الهزيمة تظهر تدريجيا على الفرسان البرتغاليين اولا وعلى المشاة ثانيا بعد قطع خط الرجعة عليهم ، ثم سمعوا انفجــارات أهــوت بجســر على وادي المخازن فانتشر الذعر والفزع فى الصفوف المعادية وارتفعت الاصوات وساد الضجيج ميدان القتال فحارب الجنود البرتغاليون المحنكون الى النهاية وأسر غيرهم ممن تنقصهم الخبرة وغرق نحو عشرة آلاف من الباقين .

وفى الساعة الرابعة كان كل شيء قد انتهــى لمصلحة الجانب المغربي وسقط فى الميدان ثلاثة ملوك استشهد عبد الملك وهو يدفع عن وطنه بــلاء الغزو الاجنبي ، وقاتل سبستيــان قتال الابطــال – كعادة الفرسان – حتى غرق فى الدماء المنبعثــة من جروحــه .

وعوقب أبو عبد الله محمد « المخلوع » بالموت غرقا جزاء غدره واستعانته بالعدو على غزو بلاده .

أحمد مدينة

المراجــــع :

(1) فرناندو كرانثا فى عدد مارس من مجلة (أفريكا) الصادرة فى عام 1935 .

(2) اعداد من مجلة (موندو) 74 و 76 و 81 و 84 (941) و 18 و 95 (1942) .

(3) العدد 30 من مجلة (الانوار) الصادرة عــام 1952 .

ابحاث ودراسات

- حلف الشيطان فى وثائق التاريخ
- همسات ولمزات
- الزبرقان
- الشكوى فى شعر ابن زيدون
- مقابلة مع ثروت أباظة
- مستقبل الشعر ذي الشطرين
- مع الشاعر الغزال
- أزمة فكر أم فكر أزمة ؟
- منهجية تدريس اللغة العربية ـ 4 ـ
- الوجادات



صاحب السوانح
في ذمة الله

● توفي الى رحمة الله تعالى الشاعر المغربي الكبيـــر الاستاذ ادريس الجائي احد رواد الحركة الادبية بالمغرب مخلـــفا تراثا شعريـــا غزيرا قليله منشور بين دفتي ديوانه الاول ((السوانـــح)) الصادر عـــن المطبعة الملكية بالرباط ، وكثيره مخطوط ومنشور في بطـــون الصحف والمجلات على مدى ثلاثين سنة او تزيد او مسجل بالاذاعة المغربية التي كان يعمل منتجا بها منذ ما قبل الاستقلال ، واستطاع بواسطة برامجـــه الادبية ان ينشىء اجيالا على حب الشعر العربي الفصيح والتعلق بالثقافة العربيـــة الخالصـــة .

والشاعر ادريس الجائي ينتمي الى المدرسة الاصيلة في الشعـــر العربي المعاصر ، وهو الى جانب مساهمته في تجديد القصيدة العربيـــة واثرائها بتجارب فنية ذات مفعول ظل دائما وفيا للبيت العربي وقواعـــد الخليل والثقافة الشعرية الضاربة في اعماق الوجدان العربي الاصيل .

وقد سجل شعره مختلف اطوار كفاح الشعب المغربـــي من اجـــل الحرية والانعتاق ، وقد انصفه الاستاذ عبد الله كنون في مقدمة ديوانـــه ((السوانح)) مبرزا مكانته الرفيعة في الادب المغرب المعاصر الى جانب كبـــار الشعـــراء .

ويتضمن ديوانه ((السوانح)) ثروة شعرية زاخرة بروائع المعانـــي والاخيلة والصور الجميلة المعبرة بصدق عن فحولة الشاعر وقدرته على الغوص الى اعماق النفس الانسانية .

و ((دعوة الحق)) اذ تنعي الشاعر الكبير الاستاذ ادريس الجائي الى عشاق الضاد ومحبي القريـــض في كل مكان من دنيا العروبة والاســـلام تتقدم الى عائلته بالعزاء الصادق ومتمنياتها بالصبر والسلوان ، وانا لله وانا اليـــه راجعـــون ●

حلف الشيطان فى وثائق التاريخ

للدكتورة بنت الشاطىء

اتابع النظر من الموقع الفكري فى وجودنا التاريخي، التماسا لما يعوزنا من وضوح الرؤية لابعاد المأساة .. وضياع الرؤية التاريخية ، اذ كان عن جهل بأحداث ملقاة فى منطقة الظل . ليس اخطر علينا من خطا الفهم وزيغ النظر وزيف التفسير ، تؤخذ فيه بتأويلات مدسوسة واوهام شائعة ، فيختل بها ادراكنا لواقع وجودنا ، وتضل احكامنا .

وقد راجت فينا اقوال عن النحلة البهائية فى سعة افقها ورحابة المجال الانسانى لدعوتها .
فماذا تقول وثائق التاريخ ؟

اوثر هنا أن اقدم من وثائقه عن البهائية ، شهادة شهود من اهلها ، ليسوا مظنة اتهام بالتعصب ضدها أو الافتراء عليها والكيد لها ..

لقد وقفت طويلا احدق فى هذه النحلة التى حملها اليهود من شيراز الى جبل الكرمل ، تحف بها اسرائيليات الاحبار مبشرة بمبعث [النبى الفارسى الجديد لتطهير القدس] وتحدد القرن التاسع عشر للميلاد ، موعدا لظهوره .

اليوم اطيل التأمل فى تفسير هذا الموقف الغريب الذى كلف بنى اسرائيل اموالا باهظة .
وجه الغرابة فيه ، انه ضد الجبلة اليهودية فى وثنيتها المادية ، فكيف هان عليهم ان يفتحوا خزائن المال لبث الدعوة البهائية على النطاق العالمى ، وأن يبذلوا التبرعات السخية لبناء مؤسسات البهائية ودور عبادتها فى اشقباذ وشيكاغو وسان فرنسيسكو ، وتمويل بعثات اليهوديات الامريكيات [للحج الى جبل الكرمل والحظوة بلقاء النبى عباس افندى عبد البهاء ، ونيل بركته ، والتقاط درر الحكمة الالهية الموحى بها اليه] بنص عبارة المستشرق اليهودى « جولدتسيهر » ؟

غير متصور ان يبذل يهودى درهما او بعض درهم ، لوجه البر والخير وانما كان البذل والانفاق ، انفاذا لحلف الشيطان بين بنى اسرائيل ورؤوس البهائية :

يؤيدون نبوتهم المدعاة ، ويبثون الدعوة لنحلتهم فى المحافل الماسونية ودوائر الاستشراق والمؤتمرات الدولية للاديان ...

ويؤدى البهائيون دورهم المرسوم ، جنودا عملاء لخدمة مآرب بنى اسرائيل : يكيدون للاسلام ويظهرون بنسخ شريعته وكتابه ، وينبثون فى كيان امته ذرائع تخريب وتدمير ، ويبشرون بتطهير ارض الميعاد ، ويتنبأون بظهور مملكة بنى اسرائيل .

وكان « بهاء الله ، خليفة الباب » اول من باع نفسه علنا للشيطان . فدخل فى حلفه يؤازر الاستعمار الصليبى لحساب الصهيونية التى توارت خلف الستار تحرك اقطاب الغرب على المسرح الكبير ، تهيج المطامع الاستعمارية فى خيرات الشرق ، واستعباد شعوب امته التى اعزها الاسلام

فاخذت لمدى قرون مركز السيادة والمنعة ، والقيادة ومن عليها بعقيدة التوحيد التى لا تدين بعبودية لاى مخلوق ، وحملها أمانة الانسان وتكاليف حريته . لا يعبد الا خالقه وحده . وجمعها على قبلة واحدة يولى المسلمون وجوههم شطر المسجد الحرام حيثما كانوا ، فى تنزيه مطلق لا يلتبس بأى مظهر يشوب التوحيد .

وجاء « بهاء الله » فدعا الى عبودية ذاته ، وحول القبلة الى حيث يقيم : [اذا تحرك من موضعه تحركت معه القبلة حتى يستقر] واعلن من تعاليم نحلته الناسخة للاسلام ، ابطال صلاة الجماعة ، واسقاط تكاليف الحرية ، وامانة الانسان ، فزين لاتباعه اصر العبودية لتهون عليهم اغلال الاستعمار . وزعم لهم ان الحرية السياسية التى تلهج بها شعوب الشرق الاسلامى فى مواجهة امواج الغزو الاستعمارى ، ظاهرة حيوانية لا تليق بالانسان الذى تطور وارتقى عن حيوانيته او بنص عبارته فى [كتابه الاقدس] :

ان كثيرا من الناس يتوقون للحرية السياسية ويمجدونها . ولكنهم فى ضلال مبين . اذ الحرية تجر فى ذيولها الفوضى التى لا يخبو ما تشعله من نيران الفتن والاضطراب واعلم ان الحرية بدا ظهورها فى عالم الحيوان . ولكن الانسان يجب أن يخضع للقيود التى تقيه شر همجيته وشر المفاسد التى يرتكبها الخونة والمجرمون . وفى الحق أن الحرية تقصى الانسان عن مقتضيات الاخلاق والنظام .

فى عهد ولده وخليفته « عباس افندى عبد البهاء » كشفت اليهودية عن وجهها الصهيونى ورسمت فى مؤتمر بازل ، خريطة مملكتها من النيل الى الفرات . فدخل العبد حليفا للشيطان فى التآمر على « الرجل المريض » وسعى سعيه لاسقاط الخلافة الاسلامية مدخلا لليهودية الى ارض الميعاد .

وقد بدات البهائية [جهادها المقدس] فى هذا الموقع ، منذ بث فيها عبد البهاء ما تلقى من نفث الشيطان فى [سورة الملوك] التى حمل فيها باشد وطأة ، على سلطان تركيا لانه فرق بين طوائف السكان فى الحقوق والواجبات ، فجعل للمسلمين منهم ما ليس لليهود !

وكان مقر البهائية فى جبل الكرمل ، وكرا لرءوس حلف الشيطان ، حيث استقبل عبد البهاء فى السنوات من 1909 — 1912 زعماء الصهيونية وعملاءها . وفيهم من تولوا المراكز القيادية عند قيام اسرائيل ، بشهادة [مجلة الاخبار الامرية : لسان المحفل العالمى للبهائية] اذ نشرت فى عددها الخامس لسنة 1951 ما نصه :

[لقد عرف ايادى امر الله اعضاء المجتمع البهائى ، الى رئيس الجمهورية الاسرائيلية والسيدة عقيلته فى المركز العالمى . وقد ذكر جناب الرئيس وكذا السيدة عقيلته ، زيارتهم لمولى امر الله العزيز ، وطوافهم بحقول وبساتين جبل الكرمل فى سنتى 1909 ، 1911 واجتماعهم بحضرة عبد البهاء .] ثم كانت الحرب العالمية الاولى ، فرصة لولاء البهائيين الذين عبئوا فى عكا وحيفا ، لانهاك الرجل المريض ودفعه حثيثا الى ازمة الاحتضار . وتسجل وثائق المرحلة ، أن مراكز البهائيين فى فلسطين كانت اوكارا للجاسوسية .

ومع بوادر السقوط ، لم يعد البهائيون يبالون كتمان دورهم ، فكان أن قرر السلطان بمشورة « جمال باشا » صلب عبد البهاء واتباعه فى جبل الكرمل . لكن زعماء الصهيونية بادروا الى نجدته ، فضغطوا على القادة الانجليز لانقاذ حليفهم وجنده . وهو ما اعترف به « شوقى افندى » حفيد عبد البهاء ، فكتب فى المجلد الثالث من كتابه [البديع] :

(من المناسب أن ندرج هنا الجهود التى بذلت عند محاصرة مدينة حيفا ، للحفاظ على حياة اهل البهاء . فعندما ظهرت بوادر الخطر ، أرسل اللورد كرزن على جناح السرعة ، تقريرا الى وزارة الخارجية البريطانية يلفتها الى اهمية حفظ حياة عبد البهاء المقدسة . ويوم وصول التقرير ، أوعز اللورد بلفورد الى الجنرال اللنبى بوضع كل امكانياته وصيانة حضرة عبد البهاء ورفاقه . فابرق الجنرال بعد فتح حيفا الى لندن ، بطلب اعلان بشرى سلامة الذات المباركة .

ثم يعرب شوقى افندى عن فرحة البهائيين بخلاص الاراضى المقدسة من الدولة الاسلامية ، وابتهاجهم بنور الاحتلال البريطانى الذى كافأهم على خدماتهم الجليلة . قال :

(وعلى أثر الاحتلال البريطاني للاراضي المقدسة، تمكنا من التخلص من المخاطر الجسيمة التي كنـا نتعرض لها خلال 65 سنة من الحياة المنورة للشر البهائي القدير وانجلى بدر الميثـاق الذي كـان مخسوفا بالمحن والبلاء ، وتجلى امر الله من جديد)

وائر قيام اسرائيل بادر شوقي افندي حفيد عبد البهاء وخليفته الى نشر نبوءات حليف الشيطان ، في كتابه (التوقيعات المباركة) :

(لقد تحقق الوعد الالهي لابناء الخليل وورثـة الكليم ، واستقرت الدولة الاسرائيلية في الاراضي المقدسة ، واصبحت العلاقات وطيدة بينها وبين المركز العالمي للجامعة البهائية ، واعترفت بهـذه العقيدة الالهية) .

وفى عدد شتنبر 1951 من (مجلة الاخبـار الامرية) نص حديث لرئيس القسم العالمي للبهائية، في لقائه مع وزير أمور الاديان في اسرائيل . قال :

(وقد كتب حضرة عبد البهاء ، قبل اكثر من خمسين سنة ، انه في النهاية ستكون فلسطين موطنا لليهود . وهذا الوحي طبع في حينه وانتشر)

واتابع القراءة في وثائق قدمها مندوب ايران الى الندوة الاسلامية بمكة المكرمة قبيل موسم الحج لسنة 1392 ، فارى الوثاق مشدودا بين البهائيـة وهذه المملكة التي تنبأوا بقيامها . فمن سنة 1950 ؛ اخذت (مجلة الاخبار الامرية) تزود قراءها بجديـد اخبارها السارة مع بني اسرائيل .

في العدد الخامس من سنة 1951 ، نشرت بعنوان : « أمر يستحق الانتباه » ان خبر انعقـاد الجمعية البهائية ظهر في جميع الصحف الاسرائيلية، واذاعته الاذاعة من تل أبيب عدة مرات ، مع تقديـم التهاني الى البهائيين لمناسبة أعياد نوروز ورضوان :

(وقد عبر ممثلو البهائية العالمية عند اجتماعهم بالرئيس بن جوريون ، عن امتنانهم للمعاملات الودية للحكومة الاسرائيلية مع البهائيين) .

(ولم تقتصر اسرائيل في الوفاء بحق حليفها : انقذته من سيف الجلاد ، وايدت نبوة رسلها ببشريات من اسفار العهد القديم ، واعترفت بأصالة واستقلال هذه العقيدة الالهية واقرت بها لتسجيل عقد الزواج البهائي ، والغت جميع الاوقاف ـ الاسلاميـة ـ في مروج عكا وجبل الكرمل ، لبناء المقام الاعلى ، واقرت بصورة رسمية الايام التسعة المباركة لمعتنقي الشرع البهائي القدير المنيـر) .

= * =

نصوص الوثائق ، في غنى عن التعليق ، فعسى ان تكفي شاهدا على ما يعوزنا من وضوح الرؤيـة لابعـاد المأسـاة .

وفي العدد الرابع لسنة 1953 ، امر الى جميع المحافل البهائية في العالم ، بتاسيس فروع لها في اسرائيل ، طبقا لخطة المحفل الاكبر .

ونشرت المجلة في العدد العاشر من السنـة نفسها ، بعنوان : « بشارة عظمى » ، خبـر اعتراف الحكومة الاسرائيلية بفرع المحفل البهائي الايراني .

(وقد قال الهيكل المبارك ان لهذا الامر اهمية كبرى : فلاول مرة في تاريخ هذه العقيدة ، يسجل فرع لها في بلد يعترف به رسميا ، مـع ان اهـل المحفل في مؤسسته المركزية (بايران) لم يعترف به ، ولم يسجل وليست له شخصية قانونية) .

وفي حديث صحافي لزوجة شوقي افنـدي وزعيمة البهائيين بعده « روحت ماكسويل » تفسير لمنطق هذا الحلف بينهم وبين اسرائيل ، نشرتـه مجلتهم في العدد العاشر من سنة 1961 :

(فان كان من المقرر لنا الاختيار ، فمن الجدير ان يكون هذا الدين الجديد ، في احدث دولة يترعرع فيها .. وفي الواقع يجب أن اقول : ان مستقبلنـا ودولة اسرائيل ، كحلقات السلاسل متصل بعضـه ببعـض) .



همسات ولمزات

للأستاذ محمد بن تاويت

اذكر ، ونحن طلبة بالسنة الرابعة من كلية الآداب بالقاهرة ، ان احدهم نبه استاذنا احمد امين ، رحمه الله ، وهو يحاضرنا في الادب العربي بالعهد الفاطمي ، ويتعرض للشيعة وفرقهم وعقائدهم ، نبهه – منفردا به – الى ان فينا طلبة شيعة من العراق . . .

فما كان من استاذنا ، وقد عاد بعد ذلك الى المحاضرة ، الا ان ذكر لنا هذا التنبيه ، بكثير من الاستغراب له ، قائلا في مبالغة ، لم تسرني آنذاك : «يجب ان تخلعوا عنكم مسوح العقيدة عند باب الكلية»

والحق ان هذا ما يجب للعلم وعلى المنتمين اليه ، فهو حق ، والله لا يستحيي من الحق ، وهو سلطان طاغ ، ولهذا قيل ، « ان للعلم طغيانا » فالكلمة الاولى له والاخيرة كذلك ، وما احرى رجاله ان يفصحوا عنه وبه ، فلا تاخذهم في حقه لومة لائم اقول هذا ، وقد اسر الى بعض الفضلاء من الاصدقاء ، بأن فلانا – وهو منهم – نشر بعض الكتب ، متخذا في كل كلمة تنتهي بالالف ، الالف المستطيلة ، من غير تفريق بينها وبين الممالة .

فقلت له ، لعله لم يراع مبدا الامالة التي رعاه السابقون ، او انه فاته كذلك ، فقال كلا ، انه ابن القرويين . وكأني كنت ساهيا ، فرجعت بي هذه الكلمة ، الى ذكرى مرت عليها اربعون سنة بل يزيد وانا اقتني كتابا كان مقررا باحدى سنوات الثانوي للقرويين ، وهو « دروس في التاريخ الاسلامي » للخياط ، رحمه الله .

فقد اشتريت هذا الكتاب، من المزاد الذي كان يقام اثر كل صلاة جمعة ، على الكتب بمطلي الجنائز من جامع القرويين ، وكان هذا الكتاب ، في ملك صديقنا التلميذ عبد الوهاب بن منصور ، الذي لاشك انه قد استغنى عن كتابه باجتيازه لامتحان هذه السنة (وتسلم فيه خمسة وعشرين فرنكا مني)

وعادت بي ذاكرتي ايضا ، الى سبع عشرة سنة ، حيث التقيت بصديقي على باب كلية الادب بالرباط ، فقلت له : ما ذا تصنع هنا ؟ فأجاب بالمثل المغربي « حتى شاب عاد علقولو الحجاب » مفسرا ذلك ، بقوله « جئت لامتحن » . . .

اعتقد ان الامتحان ، كان لنيل شهادة الاجازة العالمية ، وان الممتحنين ، كان فيهم المرحوم ، الحسين ابن البشير ، ومحمد ابن عبد الله ، مد الله في عمره .

واقول « اعتقد » بمعنى « اظن » لاني ما سألت ، فيم تمتحن ، ولا استعلمت ، من الممتحنون ، بل اكتفيت ، بقبول هدية « سيجار فاخر » ، قدمه الى الصديق ، بعدما سألني : اتدخن السيجار ؟ لانه لم يكن يدخنه ، وقدم اليه كما قال ، فاحتفظ به . . . .

هذه ذكريات ، وقد صارت الذكريات تأخذني ، واميل اليها وانس بها ، وهي على كل حال ، لها حيزها ، الذي نأمل ان لايضاق به ومنه صديقنا ، والا كنا له معتذرين .

ومضت ايام استطعت ان احصل على جل منشورات الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور ، فكان فيها « الانيس المطرب » وابتهجت بالحصول عليها وما فتحت هذا الكتاب ، حتى علت ابتهاجي قترة من الغم والهم ، وهممت باعادة الكتاب الى صاحب المكتبة ولكن الفهارس ، التي اصبحت مفاتيح الكتب ، جعلتني اتريث ، على مضض مني . . .

فقد دهمني هذا الكتاب بالفاته الطويلة التي نزلت على راسي وكانها عصى قوية تنثر دماغي ، وكأني ما تصورتها يوم قيل لي عنها ، حتى داهمتني وجها لوجه ، فكانت مداهمة الصواعق والفواجع الكبار ، كما صورنا وما ادينا حق التصوير . . .

وزادنا هما وغما ، تكراره في منشورات اخرى مثل اخبار المهدي للبيدق ، وجذوة الاقتباس لابن القاضي ، والذخيرة السنية وان الاستاذ ، اعتبر التفريق « لاخطاء لا موجب للاستمساك بها وان مضا (كذا) على العمل بها زمن طويل »

فقد اعتبر هذه التفرقة بين الالفين من قبيل « الاخطاء » التي وقعت الكتابة العربية فيها قديما ، كما قال ، بمعناه . . . وليس الامر كذلك ، فالكتابة العربية ، ما وقعت في خطأ بهذا ، بل انها كانت دقيقة في التفرقة بين الالفين ، حيث سمت احداهما ، بما لم ننس تلقينه لنا في « المسيد » بأنها ألف « الامالة »

فالامالة اذن هي التي فرضت وجود هذه الالف في نحو «رمي » و « موسى » و « بلى » و « اولى » وابعدتها او ابتعدت عنها في نحو « رنا » و « عما » و « بلا » من البلاء ، و « اولا » اسم اشارة .

ولا اكتم القارىء الكريم ، ان ادراكي عجز ، عن فهم الشكاوي التي تقدم بها من يتظلمون من الكتابة العربية ، للغة العربية نفسها بينما لا يشكوها ، من يكتبون بها لغات غير عربية ، كالفارسية والافغانية والاردية وغيرها .

وغير الكاتبين بها ساكتون على بلواهم ، كما نرى ، سعداء بكتابتهم ، على الرغم مما تتعرض له من اختلال بين مختلف شعوبها واممها لناخذ مثلا ، كلمة Singer التي تعيش معنا ، وتماسينا بها التلفزة ، فالكتابة واحدة ، ولكن الاسباني ينطقها « سنخير » والفرنسي ، ينطقها « سانجي » بامالة الالف ، حسب قاعدته المتبعة في كتابته،اما الانجليزي فينطقها « سينكر » بفتح الكاف المعقودة ، والانجليزي هذا هو صاحب الكلمة التي سمي بها هذه الالة ، يعني بمعناها « المغني او المغنية » مشبها صوت الآلة بالغناء

فالكلمة في كتابتها متحدة ، ولكنها في نطقها مختلفة تمام الاختلاف ، خضوعا للقاعدة المختلفة بدون مراعاة لمعناها الاصلي. كما حصل في نحو Gasoil Mobiloil الانجليزيتين اللتين ينطقهما الفرنسي ، نطقا مختلفا عن اصله مراعاة للكتابة واهدارا للمعنى . . اما الكلمات التي اصلها واحد وتصرفت في نطقها ،والكتابة لها كل امة حسب ما رات ، فهي كثير في هذه الشعوب ، ونكتفي بكلمة « ابريل » فالاسبانية تكتبها Abril والفرنسية Avril والانجليزية April وكذلك الالمانية مع ان الكلمة في اصلها اللاتيني واحد Aprilis

هذا ما يقع منه كثير في الكلمات فتختلف الكتابة ويختلف النطق تبعا لها ، او تتحد الكتابة ويختلف النطق تبعا لكل قانون يختلف في امة عنه في غيرها وقد يكون لغير هذا كله ، مثل الكلمتين Measure, Tréasure تنطق السين جيما عند الانجليز لانها نطقت زايا عند اصحابها الفرنس والزاى قريب من الجيم في النطق وكذلك حصل في غير هاتين الكلمتين بالانجليزية.

اما النطق بالحرف الواحد المتحد والاختلاف فيه فكثير كذلك ، مثلا الحرف V يختلف نطقا في الالمانية عما هو به في باقي اللغات المذكورة فهو بالالمانية ينطق فا . والحرف W ينطق به فيها ، كما ينطق الحرف السابق في باقي اللغات كذلك ، والحرف Z ينطق في الالمانية تاء ملصقة بالسين ، بينما ينطق في الاسبانية ثاء ، وفي غيرها زايا ، والحرف J ينطق في الاسبانية خاء وفي الالمانية يا ، وفي غيرهما جيما وهكذا نجد S لها نطق خاص في الكلمة الفرنسية ، بحسب وضعها فيها وما يجاورها من حركات او سكنات .

يضاف الى هذا الاختلاف فيما نسميه بالحركات اذ نجد « A » في الانجليزية ، تنطق كسرة في نحو « MADE » فهذه الكلمة تنطقها الاسبانية ، مادي » وينطقها غيرها « ماد » بينما هي في اصلها الانجليزي « ميد »

ولنقف هنا عند ذكرنا للانجليزية ، فلا نفتح قاموسها ،والا فاننا سنجد انفسنا امام طوفان من الفوضى في كتابتها التي لا تخضع لقانون ، مما جعل اصحابها ينصون على النطق في كل كلمة كلمة منها، وركب في الانجليزي نقصا وعدم ثقة بنفسه في كتابة كل اسم يعرض عليه فلا يحتشم من ان يسالك « كيف يتهجى » هذا الاسم ، فاذا اتضحت في النطق به ليتمكن من كتابته ، اعاد عليك السؤال : كيف يتهجى ؟

ومع هذه الفوضى العارمة ، فانهم يحمدون الله على نعمة كتابتهم ، ولا يشكون ولا يتشكون،ويعتبرون، من يتدخل في اصلاح طفيف فيها ، متنطعا ، لا يوثق بكتابته ثقة تامة ، بل لا يوثق حتى بلغته اساسا . وهي لغتهم ، لم يقع فيها الا طفيف انحراف كما قلنا عند الامريكان فهل سمعتم بجامعة في العالم ، عهدت بتدريس الانجليزية الى امريكاني ؟

كلا ، اننا لم نسمع بهذا ، ولم نعرفه الا عند من لايعرفون من المسؤولين . . .

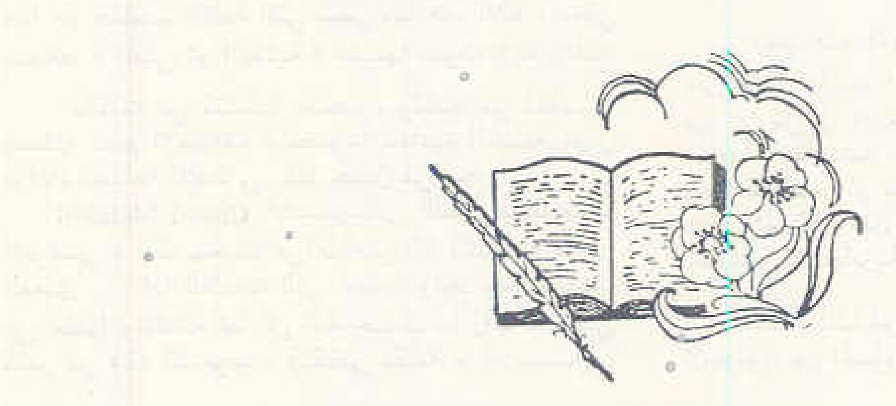
وبعد فان صنيع صديقنا اضر على كتابتنا ، مما صنعه « اتاتورك » بها ، فهذا تركها وطردها من « حيزة » لغته ، ولم يعبث بها في شيء فكان منه ذلك تسريحا لها باحسان . . .

اما نحن ، فقد اسكناها ثم حرفناها ، وعبثنا بنظامها المحكم مطلقين لانفسنا الحرية التي ليست لنا فلم يكن تمسكنا بها امساكا بمعروف . وهكذا فهم الاستاذ صديقنا ان له من الحرية ما يكتب للنشر وكانه مذكراته الخاصة ، التي يحتفظ بها في درجه مع انه ليست له حرية ، ان ينشر كتابه لعموم القارئين بالعربية ، في غير نظامها المتبع عندهم وهم مئات الملايين من البشر وعشرات الامم من العرب والعجم ، وخصوصا ما كان من ذلك في الكتب التي لها قداستها الزمنية وممارستها الفكرية عند اصحابها . . .

فتصوروا ، لو تجرأ فرنسي مثلا ، على نشر كتاب بالفرنسية ، متتبعا في نظام كتابته ، نظاما غير متبع لقرائها فماذا يكون موقف الفرنسيين منه حكومة وشعبا ؟ اظن انه اقل ما يتخذ في هذا الكتاب ، هو الاعدام . وان كنا لا نريد للكتب التي نشرها الاستاذ ابن منصور صديقنا اعداما ، علم الله منا ذلك ، فاننا حريصون على اقتنائها والاستفادة منها ، خصوصا منها ما كان بعيدا عن المتناول والاستاذ ابن منصور اقدم على هذا تحقيقا للمشروع الذي كان قد تقدم به منذ سنوات لضبط الكتابة وتسهيل قواعدها للناس ولكن الانسان مهما حسنت نيته ، ومهما كان لا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، فانه لا يستطيع ان يغير من خلقة الله التي فطر الناس عليها ، ومنها هذه الكتابة التي هي حق لشعوب يملاون نصف الدنيا . وحتى المجامع العلمية واللغوية ، فانها ما تجرأت حتى الآن لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التي خطاها صديقنا ، في صمت وسلام ، وهمس الناس بها في خوف لا معنى له ، ولا يحبه صاحبنا يقع للناس منه . فهذه الهمس اشبه ما يكون بالهمز، بل انه الهمز نفسه. وويل لكل همزة لمزة . . .

المجتمع له حرمة لا تنتهك ، ونظامه يجب اتباعه بما هو معهود . فكما لا يباح للانسان ان يخرج لشارع لابسا القميص فوق « الجاكط » والتبان فوق « البنطلون » والجورب فوق ، السباط ، فيعتبر بذلك مختلا يحمل الى مستشفى الامراض العقلية ، كذلك هذه الكتابة لها حرمتها لا تنتهك بين الناس . ولصاحب هذه الكتابة المعدلة ، ان يستعملها كما قلنا في مذكراته التي يحتفظ بها . كما ان للانسان ان يصنع ما يشاء في بيته الخاص ، فيلبس ، فوق ما يلبس تحت ، او يضع على راسه ما يجعل فيه قدميه . فهوحرفي بيته يصنع ما يشاء، وليس حرا خارجه يصنع في مجتمعه ما يشاء . . .

والا كانت الفوضى والبلية ، التي اردتها « بلبلة » فكتبت بلية . وهي حقا بلية ، وصدقوني اني سرعان ما ابتليت بها ، فقد فتحت احد هذه الكتب ، لا واجه بما جاء في نشرها من هذا القبيل ، قراءنا الكرام ، حتى يدركوا ما ادركني من الذعر ، فصار الامر يختلط على وصرت في امري كناقة المتنبي التي شككتها الليالي . فاية بلية اذن ، هذه التي اصابتنا ، ولم يرد ذلك صاحبها ، عفا الله عنه وارشده لما فيه الخير الذي يريده ونريده جميعا ، ولا نريد غيره . علم الله اخلاص نيتنا وغيرتنا على صديقنا وعلى كتابتنا معا وقديما قيل « احب الحق واحب افلاطون ، ما اتفقا ، فان اختلفا فالحق اولى لي منه » والسلام على صديقنا الذي نحبه ولا نريد منه أن يظن فينا غير الاخلاص ،



الشكوى
في شعر ابن زيدون

للاستاذ عبد الرحمان الزياني

الحديث عن شاعر عظيم ، كابن زيدون بحتري الغرب ، وشاعره المفلق ، وبلبله المغرد ، ليس بالامر الهين الذي يستوعبه مقال واحد ، أو حديث عابر . . ذلك انه شاعر فحل صاحب مذهب شعري يتميز بسماته وخصائصه ، يحتل به مكانة مرموقة بين شعراء العربية ، وله اطاره بين باقي المذاهب ، او المدارس الادبية الاخرى . . فاذا أضيف الى ذلك ما لعبه ابن زيدون من أدوار مهمة على مسرح السياسة بالفردوس المفقود ، وما طفحت به حياته من احداث جسام . . وما شغل قلبه الكبير من غرام عارم بولادة . . ازداد الموضوع تشعبا ، وامسى من العسير على المتحدث عن هذه الشخصية الفذة ، أن يدعي الالمام بكل جوانبها في صفحات أو يوفيها حقها من الدرس والتحليل في ساعات معدودة ، بل ان ذلك يتطلب الدراسة المستأنية ، والتفرغ الكامل لدراسة الموضوع ولذا فقد آثرت حصر الموضوع في جانب واحد من شعره ، وهو الجانب الوجداني ، الذي عنونته بالشكوى لان الشكوى في شعر ابن زيدون تمثل — في نظري — اروع واصدق ما جادت به قريحة شاعرنا العبقري ، من رائع القول وصادق البيان . . ومع هذا فلا اجرؤ على القول ، أو الادعاء بأنني قد استوفيت الموضوع حقه من الدراسة ، أو المعت به من كل جوانبه ، وانما هي صور خاطفة ، أو سمها — ان احببت — جولة عابرة في رياض ابن زيدون المتمثل في ديوانه ، سوف ننعم خلالها بشذى آسها وياسمينها ، وننسق من مختلف مشموماتها باقة عطرة الاريج ، فواحة الشذى تنعش منا الانئدة ، وتذكي الوجدان . ! وقبل القيام بجولتنا ، عبر ديوان ابن زيدون ، لا بأس من القاء نظرة خاطفة على حياته ، نتخذ منها مدخلا يساعدنا في موضوعنا ، وينير امامنا السبيل .

***

فشاعرنا ابن زيدون ينمى الى قبيلة بني مخزوم العربية الاصيلة ، التي انجبت سيف الله المسلول : خالد بن الوليد ، فهو أبو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب المخزومي ، الاندلسي ، القرطبي مولدا ، الاشبيلي وفاة ، عاش تسعا وستين سنة ، كانت كلها حافلة بالاحداث الجسام . . تلقى المعارف على كبار علماء عصره ، وظهر نبوغه مبكرا في العلوم الادبية والتاريخية ، كما تفصح عن ذلك رسلتاه : الجدية والهزلية ، اللتان أودعهما خلاصة معارفه في التاريخ والادب ، مما لفت اليه الانظار ، وجعل اسمه يتردد على كل لسان . .

عاش ابن زيدون في عصر انحسار الوحدة الاندلسية ، وعاصر انهيار صرح الخلافة الاموية — 422 — وتقسيم الاندلس الى امارات ودويلات صغيرة ، اصطلح على تسميتها بدول الطوائف ، حيث اصبح على كل قرية امير ، وبكل مدينة ملك ، كلهم يتهافتون على الرئاسة ، ولو لم يتوفروا على مؤهلاتها ! وجميعهم يستهويهم الحكم ولو وصلوا اليه عن طريق الدس والاحتيال ، وهمهم جميعا الكيد لجيرانهم ، والدس لحلفائهم ، والوقيعة بالقريب والبعيد من

شركائهم فى اختلاس كراسى الامارة من اصحابهـا الشرعيين . . مما اضعف قواهم ، واطمع فيهم عدوهم الذي لم يجد ادنى صعوبة فى ضرب بعضهم ببعض . . تمهيدا لابتلاعهم على ممالكهم . . وقد وفق الوزير الخطير ابن الخطيب السلمانى ، حيث رسم لهم فى منظومته التاريخية : « رقم الحلل » هذه الصورة الكاريكاتورية السـاخـرة :

حتـى اذا سلـك الخلافـة انتثـر
وذهب العـين جميعـا ، والاثـر

قـام بكـل بقعـة مليـك
وصـاح فوق كـل غصن ديـك . . !

بل ، وابلغ من قول ابن الخطيب هذا ، واروع منه تصويـرا قـول ابن رشيـق :

مـما يزهدنـى فى ارض اندلـس
اسمـاء معتمد فيهـا ، ومعتضـد !

القـاب مملكـة فى غيـر موضعهـا
كالهر يحكي — انتفاخا — صولة الاسد !

نعم ، فى هذا العصر عاش شاعرنا ابن زيدون ووسط هذا الخضم من التطاحن والتكالب ، استعجالا لتقويض اركان البلاد ، والقضاء على ما تبقى بايدي المسلمين منها ، نجده يدلى بدلوه بين الدلاء ، ويضلع بسهمه فى زرع بذور البلاء ، فقد ساهم — عمليا — فى تقويض اركان الخلافة الاموية ، واضطلع بعبء الوزارة بقرطبة ، فى دولة ابى الحزم بن جهور ، الذي عهد اليه — لكفاءته — فى السفارة بينه وبين جيرانه من ملوك الطوائف ، فينجح فى مساعيه ، وتزداد حظوتـه عند سيد البلاط الجهوري وعميده ، مما يؤلب عليه خصومه — وما اكثرهم — وعلى راسهم الوزير ابن عبدوس ، منافسه الخطير فى حب « ولادة » وتؤتـى السعاية — ولو بعد حين — اكلها ، وتعطى نتيجتها ، فاذا بابن زيدون الوزير اللامع ، لا فى قرطبة وحدها ، وانما فى الاندلس جميعها ، يتحول من الرفعة الى الضعة ومن العز الى الهوان . . يتحول من ابهة البلاط الى غياهب السجن ، الذي قضى بين جدرانه ترابة السنتين كما يفصح عن ذلك قولـه :

مئـون من الايـام خمس قطعتهـا
اسيرا ، وان لم يبد شـد ولا قمـط

ولقد صدر علة فى محبسه هذا من حر الكلام ، شعره ونثره ، فى استعطاف سيده واسترحامه ، ما يلين الفولاذ ، ويذيب الاكباد ، دون أن يشفع له شيء من ذلك عند سيده ، الذي قسا — والحق يقال — كثيرا فى معاملته ، الشيء الذي جعل ابن زيدون يدبر للفرار من محبسه . . ثم ظل مستخفيا بقرطبة مدة ، عـاد بعدها الى الظهور بعد وفاة ابى الحزم بن جهـور — 443 — واسناد الامر لابنه ابى الوليد ، الذي كـان يقدر ابن زيدون ويكبر مواهبه ، حيث افسح له فى البلاط ، واوسعه بـرا وتكريما ، غير ان ابن زيدون لم يستنم لشيء من هذا ، ولم تطب نفسه بالعـودة الى حياة ذاق مرارتها ، وخبر بلواها ، فعاف حياة البلاط التى لم تجلب عليه الا الشرور ، وضاق بهذا الجو المفعم مكايد ودسائس ، وآثر النجاة بحياته ، ولذلك فقد دفعته الخشية على نفسه الى الالتجاء الى اشبيلية ، مملكة بنى عباد ، حيث فسح له اميرها المعتضد عباد فى بلاطه مكانة تليق بأمثاله من النابهين وذوى المواهب ، وظل فى خدمة الدولة العبادية تسعة عشر عاما كاملة ، لم ينج خلالها من عنت الحاسدين ، ولم يسلم من كيد الكائدين ، وعلى راسهم الوزير الداهية ابن عمـار .

وما أن انتصف شهر رجب من سنة : 463 حتى انطفات شعلة حياة شاعرنا العظيم ، حيث شيع الى مرقده الاخير باشبيلية ، فى محفل رهيب ، تاركا وراءه سجلا حافلا بالامجاد لعشاق البيان الرفيع . .

**
*

وهكذا قدر لشاعرنا العظيم أن يتجرع الغصص ويعانى الآلام ، وهو لم يطـو برد شبابه بعد ، لكن كم من نقمة فى طيها نعمة ، — كما يقال — فقد فجـرت الآلام ينابيع وجدانه ، حيث وجد من احزانه واهواله مصدرا ثـرا لشاعريته الخصبة ، وبيانه الرفيـع ، مخلدا لنا ماساته المحزنة ، وانفعالاته الحزينة فـى قصائد ومقطعات ممتعة ، يندر ان تعثر على الكثير من امثالها فى ديوان شعرنا العربى ، على امتداد عصوره ، ولا عجب فى هذا ، فان المصائب والشدائد كثيرا ما تاتي بأروع النتائج ، وخاصة اذا صادفـت نفسا مرهفة حساسة كنفس ابن زيدون ، الـذي اعتصرت المحن قلبه ، وصقلت الشدائد شاعريته ؛ لكن . . لم يكن السجن هو المصدر الوحيد الذي استقى منه ابو الوليد مادة فنه ، بل لقد تعاون السجن والحرمان

على صهره في بوتقة الالم ، وامداده بكل رائع وجميل من القول . . واي حرمان هو . . ؟ انه حرمانه من الخطوة بمجالسة مالكة رقه ، والمستحوذة على لبه ، ولادة ، وما ادراك ما ولادة ؟ . تلكم الفتاة اللعوب ، التي كان بيتها صالونا كبيرا ، يضم نخبة الادباء ، وعلية الوزراء ، وكانت — هي — مصدر الهام وينبوع وحي لكثير من الشعراء من رواد صالونها ، وعلى راسهم شاعرنا الذي كانت — بالنسبة اليه — مثار ما تحمله من كوارث ومصائب .

الم يكن على حق حينما وصفها بهذه الابيات الرقيقة : (1)

ربيب ملك ، كأن الله انشاه
مسكا ، وقدر انشاء الوري طينا

اوصاغه ورقا محضا ، وتوجه
من ناصع التبر ابداعا وتحسينا

اذا تأود آدته — رفاهية —
توم العقود ، وادمته البرى لينا !

كانت له الشمس ظئرا في اكلته
بل ، ما تجلى لها الا احايينا

كانما أثبتت في صحن وجنته
زهر الكواكب ، تعويذا وتزيينا

ما ضر ان لم نكن اكفاءه شرفا ،
وفي المودة كاف من تكنينا !

افلا يحق لمتيم فارق حبا تلك بعض اوصافه ان يظل موصول الانين ، دائم الشكوى والحنين . . ؟ ناقما على الدهر الذي تجهم له ؟ حانقا على شانئيه وحاسديه . . ؟ معللا النفس بعودة ايام الوصال والمرور ؟ فان كنا في ريب من هذا ، فلنستمع الى شاعرنا في هذه الزفرات الملتهبة :

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم
حزنا مع الدهر ، لا يبلى ويبلينا :

ان الزمان الذي ما زال يضحكنا
انسا بقربهم — قد عاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغص . ! فقال الدهر : آمينا !

وقد نكون ، وما يخشى تفرقنا ،
فاليوم نحن ، وما يرجى تلاقينا

يا ليت شعري ، ولم نعتب اعاديكم ،
هل نال حظا من العتبى اعادينا !

ما حقنا ان تقروا عين ذي حسد
بنا ، ولا ان تسروا كاشحا فينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ،
ان طالما غير النأي المحبينا

والله ما طلبت أهواؤنا بدلا
منكم ، ولا انصرفت عنكم امانينا . !

فاي نفس كبيرة هذه ؟ واي وفاء عظيم ، هذا الذي جعل ابن زيدون يبعث بهذه التحية العبقة ، بل بهذه الانات المضطرمة الى حبيبه النازح ، رغم ما يكدر صفو سمائه من غيوم ، ورغم ما يلقاه من تجهم الدهر وعبوسه . . ؟ والعراقيل ، ويجعل المرء يستهل في سبيله كل ما يلقاه من عنت الدهر وارهاقه . . ! لقد كان ابن زيدون وفيا في حبه الى ابعد غايات الوفاء ، مخلصا في غرامه الى اقصى درجات الاخلاص . . ، فكم كان يطرق سمعه ان « ربيبة الملك » قد سلت عنه واطرحت هواه . . ونبذت حبه من قلبها نبذ النواة . . لكنه مع كل ذلك لم يكن ليياس ، وما كان ليتسرب اليه القنوط ، وماله ولليأس ، وهو ما يزال يعلل النفس بالآمال ، ويامل أن يجود عليه الدهر الضنين بلذيذ الوصال . . ؟ (258)

يا نازحا ، وضمير القلب مثواه
انستك دنياك عبدا انت مولاه !

الهتك عنه فكاهات تلذ بها
فليس يجري — ببال منك — ذكراه !

عل الليالي تبقيني الى امل ،
الله يعلم والايام معناه !

ثم ماذا ؟ ثم ، لقد يبرح الجوى بشاعرنا ، ويشتد عليه الهيام ، فيعيل صبره ، وتذهب به الظنون في حبه مذاهب شتى ، فاذا به يتنفس الصعداء ، فيرسلها صيحة مدوية ، ممزوجة بأنفاسه المحترقة ، مشوبة برقيق الاستعطاف . . وهذه نفحات من تلك الانفاس : — 271 —

---

1) الديوان ص : 6 و 7 وسوف أكتفى فيما بعد بالاحالة الى ارقام صفحات الديوان .

اغائبـــة عنى ، وحاضـــرة معـــى ،
أناديك ــ لماعيل صبري فاسمعـــى !

افى الحق ان اشقى بحبــك ، او ارى
حريقا بأنفاسى ، غريقـــا بادمعـــى ؟

الا عطفة تحيا بهـــا نفس عاشـــق
جعلت الردى منـــه بمراي ومسمع ؟

صلينى بعض الوصل ، حتى تبينـــى
حقيقـــة حالى ، ثم ما شئت فاصنـــع

وهكذا اتخذ ابن زيدون من الهجران والحرمان مادة خصبة ، وينبوعا ثرا للتعبير عن آلامه واشجانه، مخلفا لنا تلك الصور الشعرية الساحرة التى استمتعنا بقراءتها ، وانتشينا بشذي ، والتى لم اتعمد ــ شهد الله ــ اختيارها ، لان ديوان ابن زيدون كله غرر ، وكل صفحاته تطفح بمثل هذه الاخذ والروائع . . ولئن صح لنا ان نجاري ابن زيدون فى تواضعه حين استخذى تجاهها ، فاعلن ، فى غير ما موارية ، انه لا يضره ان يكون غير كفء لها ، ما دام يضمر لها بين جانحتيه حبا عارما ، ويحلها من جنانه السويداء . ! وهذا مـــا تضمنه هذا البيـــت :

مـــا ضر ان لم نكن اكفـــاء شرفا ،
وفى المـــودة كـــاف مـــن تكافينـــا

. . اذا جاريناه فى هذا ، افلا يحق لنا القول بانه بز حبيبته فى الشرف ، وتفوق عليها فى المجد والجـــاه . ؟ والا . . انما كان من الممكن ان يعفـــى التاريخ على ذكر ولادة ، كما عفى على ذكر الكثيرات غيرها ، فلا تنفرج بذكرها شفتان ، ولا يجري اسمها على لسان . ؟ لكن ارتباطها ــ لحسن حظها ــ بابن زيدون ، خلدها أبد الدهر ، واضفى على اسمها حلـــة زاهية من المجد ، ما كانت لتطمع فيها ، لولا ما سيره فيها من بدائع وروائع . . ؟ افلا يكفى هذا لان يجعله ــ على الاقل ندا لها ، وكفئا لمخالطتها . . ؟

**

تلك ناحية من فن ابن زيدون فى الشكوى ، كان الحرمان الوجدانى مصدرها كما راينا ، وقد اقتضبت فيها القول اقتضابا ، لان روائع ابن زيدون فى ولادة كثيرة ، وكلها غرر ودرر ومن اراد المزيد من ذلك فليرجـــع الى الديـــوان . .

والآن انتقل الى الجزء الثانى من الموضوع ، والذي سيكون مصدر الشكوى فيه ــ هذه المرة ــ هو الاضطهاد والبؤس والشقاء ، فقد صهرت الآلام شاعرنـــا العظيم فى بوتقتها ، فأذاقته من القصص والاوصاب اشكالا والوانا ، وجرعته من لاوائها انواعا وفنونا ، تجهمت له الايام ، ونفس عليه خصومـــه العبقرية والسيادة ، فصوبوا سهام كيدهم نحوه ، واختلقوا عليه الاباطيل والاراجيف ، واعانهم هو على نفسه بما كان عليه من حب الشغوف والظهور ، وبما كان يقابل به دسائسهم من لا مبالاة مفرطة ، فلـــم يهنأ لهم بال ، ولم يغمض لهم جفن ، ولم يرتح لهـــم خاطر ، حتى اودعوه غياهب السجن كما راينا . ! ومن الناس يسلم من كيـــد الحاسديـــن ، ودسائـــس الحاقدين . ؟ ولا سيما من كان ذا مكانة اجتماعيـــة ملحوظة كابن زيدون . . ؟ بل ، من من الناس يستطيع ارضاء اعدائه جميعا ؟ او يقدر على الاعراض عنهم جملة ؟ او يحاول استلال ما يغلى فى صدورهم مـــن سخائم وحزازات . . ؟ هذا ما يجيبنا عنه ببيته السائر : ــ 112 ــ :

ولو اننى استطيع كى ارضى العداء ،
شريت ببعض العلم حظا من الجهل !

واجل ، لقد ندب شاعرنا حظه ، واستدر العبرات الحرار مستعطفا سيده تارة ، متنصلا مما رمى به ــ زعم ــ من افك وزور تارة ، معرضا بخصومـــه وحساده حينا ، ناقما على دهره حينا آخر . . لكـــن هيهات هيهات . ! فانى له ان يسعفه الدهر الجائـــر الضنين ، فتجد اناته وتوسلاته سبيلها الى قلـــب مولاه . . ؟ اليس : (179)

هو الدهر ، مهما احسن الفعل مـــرة
فعن خطأ ، لكن اساءته عمـــد . !

اليس هو الذي قال معاتبا ابن جهور ، بعد ان ادرك ان سعاية خصومه على وشك ان تؤتى اكلها ، اذ راى آماله تتبخر شيئا فشيئا ، واحلامه تتبـــدد رويدا رويدا ، ومكانته لها مخدومة تسير باستمرار نحو الحضيض . . فكلما ازداد منه قربا ، ازداد هو منـــه نفورا ، وكلما ازداد اخلاصا له ، كلما ازداد منـــه حيطة وحذرا ، وامعن فى جفائه والاعراض عنه ، وهاذا ما يعرب عنه قوله : (60)

لا تله عنى ، فلم اسالك ، معتسفا ،
رد الصبا بعد ايفاء على الكبر !

واستوفر الحظ من نصح وصاغية ،
كلاهما العلق لم يوهب ، ولم يعر

فبنى جهلت ، فكان العلق سنيئة
لا عذر منها ، سوى انى من البشر !

وكذلك قوله ، ويلاحظ انه قد تنازل بعض الشيء عن كبريائه : (115 . .)

ابا الحزم . . ! انى فى عتابك مائل
على جانب تأوى اليه العلا سهل

افى العدل أن وافتك تترى رسائلى ،
فلم تتركن وضعا لها فى يدي عدل ؟

اعدك للجلى ، وآمل ان ارى
بنعماك موسوما ، وما انا بالغفل . !

وما ذاك وعد النفس لى منك بالمنى ،
كأنى به قد سمت بأرقة المحل

ائن زعم الواشون ما ليس مزعما
تعذر فى نصري ، وتعذر فى خذلى . ؟

ولو اننى واقعت — عمدا — خطيئة
لما كان بدعا — من سجاياك — ان تملى

فلم استثر حرب الفجار ، ولم اطع
مسيلمة اذ قال : اني من الرسل . .

ومثلى قد تهفو به نشوة الصبا
ومثلك قد يعفو ، وما لك من مثل . . !

وانى لتنهانى نهاي عن التى
أشاد بها الواشى ، ويعقلنى عقلى

هى النعل زلت بى ، فهل انت مكذب
لقيل الاعادي : انها زلة الحسل ؟

وارق من هذا قوله فى بائيته الرائعة مطلعها : (40)

اما علمت أن الشفيع شباب ؟
فيقصر عن لوم المحب عتاب

وهى قصيدة طويلة فى مدح ابن جهور ، ولست اشك فى انه عارض بها الشاعر القائد : ابا فراس الحمدانى فى رائعته البائية التى مطلعها :

اما لجميل عندكن ثواب ،
ولا لمسيء عندكن متاب ؟

والتى منها هذه الابيات المرتصة التى تفيض حكما وعبرا ، وتصور فى نفس الوقت نفسية ذلك البطل المغوار ، الذي فلت النائبات من غربه ، واشاح الخلان والصحاب عنه وجوههم ، بعدما تنكر له الدهر ، وتجهمت له الايام ، ولم الاطالة فى التحليل ؟ فلنترك فارس بني حمدان يتحفنا بروائع الحانه :

اذا الخل لم يهجرك الا ملالة
فعندي لاخرى عزمة وركاب !

اذا لم اجد فى بلدة ما اريده
فعندي لاخرى عزمة وركاب

. . بمن يثق الانسان فيما ينوبه ؟
ومن اين للحر الكريم صحاب ؟

وقد صار هذا الناس — الا اقلهم —
ذئابا على اجسادهن ثياب !

تغابيت عن قومى ، فظنوا غباوتى
بمفرق أغبانا حصى وتراب !

ولو عرفونى حق معرفتى بهم ،
اذن علموا انى شهدت ، وغابوا !

وما كل فعال يجازي بفعله ،
ولا كل قوال لدى يجاب !

ورب كلام مر فوق مسامعى
كما طن فى لوح الهجير ذباب . !

وليس عجيبا أن يعارض ابن زيدون أبا فراس فكلاهما قد صهرته الاحداث ، فذاق الم السجن ، وعانى من زمانه الامرين ، وتجرع الصاب والعلقم من كيد الخصوم ، وشماته الحساد . . وقد استمعنا الى نفثات أبى فراس ، فلننظر — الآن — الى اي حد جاراه ابن زيدون حين قال : (47 . .)

نديتك . ! كم القى النواغر من عدى ،
تراهم لنيران الفساد ثقاب !

عفا عنهم تدري الرفيع ، فاهجروا ،
وباينهم خلقى الجميل ، فعابوا !

وقد تسمع الليث الجحاش نهيقها ،
وتعلى الى البدر النباح كلاب !

اذا راق حسن الروض ، او فاح طيبه
فما ضره أن طن فيه ذباب

فلا برحت تلك الضغائن .. انها
أفاع لها بين الضلوع لصاب .

يقولون : شرق ، او مغرب صريمة ،
الى حيث آمال النفوس نهاب

فانت الحسام العضب اصديء متنه
وعطل منه مضرب وذباب

وما السيف مما يستبان مضاؤه
اذا حاز جفن حده ، وقراب

وان الذي املت كدر صفوه
فاضحى الرضى بالسخط منه يشاب

وقد اخلفت ، مما ظننت ، مخايل ،
وقد صفرت ، مما رجوت ، وطاب

فمن لى بسلطان مبين عليهم ،
اذا لج بالخصم الالد شغاب ؟

ليخزهم ان لم تردني نبوة
يساء الفتى من مثلها ، ويراب . !

وان ابن زيدون ليبلغ قمة البلاغة ، ويبدع كل الابداع ، عندما يتخلص الى مقطع « الاعتذار » من قصيدته العصماء هذه ، فلنعش — اذن — معه هذه اللحظات : (48)

سأبكى على حظى لديك ، كما بكى
ربيعة ، لما ضل عنه ذؤاب

واشكو نبو الجنب عن كل مضجع ،
كما يتجافى بالاسير ظراب

فثق بهزبر الشعر ، واصفح عن الوري ،
فانهم — الا الاقل — ذئاب

ولا تعذل المثنين بى ، فانا الذي
اذا حضر العقم الشوارد غابوا

وردت معين الطبع اذ ذيد دونه
اناس لهم فى حجرتيه لواب

.. فعد بيد بيضاء يصدع صدقتها
فان أراجيف العداة كذاب

وحاشاك من ان تستمر مريرة
لعهدك ، او يخفى عليك صواب

**

وحقا ، فان ابن زيدون قد نصح لمولاه ، فاخلص له النصح ، وافنى شبابه فى خدمة الدولة الجهورية بصدق وامانة ، وانه كان النجم اللامع بين خدام البلاط والبلبل المغرد ، المشيد بمحاسن الدولة ، الراصد لاحداثها ، ومع كل هذا ، فانى لشكاته المريرة تلك أن تنفذ الى سمع سيده . ؟ وانى لزفراته الملتهبة ، وتحسراته الموجعة ، أن تخترق شغاف قلبه ، أو تحظى بلفتة من عطفه ؟ خصوصا وقد لعبت الدسائس دورها فى تشويه صورة ابن زيدون لدى سيد البلاط حيث جعلته يتصوره فى هياة المجرم الجاحد للنعمة المنكر للجميل .. ؟

ولذا ، فقد كانت تعتري ابن زيدون نوبات حادة من الالم ، تجعله يستسلم لليأس ، ويفتقد كل أمل فى النجاة ، فتضيق جدران السجن عن ايوائه ، ويكفهر الوجود فى ناظريه .. ولم لا يتبرم من هاته الحياة التعسة ، وهى ما برحت تعاكسه وتناوئه ، غير مدخرة جهدا ولا وسعا فى مناهضته ومحاربته .. ؟ وقد اجاد التعبير عن هذا الجانب المؤلم من حياته حيث قال : (94 ..)

لا يهنيء الشامت المرتاح خاطره ،
أنى معنى الامانى ، ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الارض عاصفة ؟
أم الكسوف لغير الشمس والقمر ؟

ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر .. !

.. ما للذنوب التى جانى كبائرها
غيري ، يحملنى اوزارها وزري ؟

.. قد كنت احسبني والنجم فى قرن ،
ففيم اصبحت منحطا الى العفر .. ؟

أحين رف على الآفاق من ادبى
غرس له من جناه يانع الثمر .. ؟

وسيلـة سببـا ، ــ الا تكن نسبـا ــ
فهى الـوداد صفـا من غير ما كدر

وهذه نفحات اخرى من نفس المعين : (134 . .)

. . ان الالى كنت من قبل اغتضاحهم
مثـل الشجى فى لهاهم ليس ينتـزع

لم احظ ــ اذ هم عدى باد نفاقهم ــ
الا كما كنت احظى اذ هم شيـع

ما غاظهم غير ما سيرت من مدح ،
فى صائك المسك من انفاسها فنـع

كـم غـرة تلقتهـا قلوبهـم
كما تلقـى شهاب الموقـد الشمـع

اذا تأملـت حبـى غـب غشهـم
لم يخف من فلق الاصباح منصـدع

ومن هذه البابة ايضا هذه النفثات المشجية التـى تعتبر من ارق مـا قيل فى الشكوى : (112 . .)

الـم يان ان يبكى الحمام على مثلـى ؟
ويندب ثاري البـرق منصلت النصل ؟

وهـلا اقامت انجم الليـل ماتمـا
لتندب فى الآفـاق ما ضاع من نثلى ؟

ولو انصفتنى ، وهى اشكال همتـى
لالقت بأيدي الذل ، لما رات ذلـى

ولا فترقت سبع الشـر ، وغاضهـا
بمطلعهـا ، ما فرق الدهر من شملى !

لعمر الليالى ! ، ان يكن طـال نزعها ،
لقد قرطست بالنبل فى موضع النبـل

تحلـت بآدابـى ، وان مـآربـى
لسانحـة فى عرض امنيـة عطل !

اخـص لفهمى بالقلـى ، وكانمـا
يبيـت لذي الفهم الزمان على دخـل

واجفـى على نظمـى لكـل قـلادة
مفصلة السمطين بالمنطـق النصـل

ولو اننى استطيع كى ارضى العـدا ،
شريت ببعض الحلم حظا من الجهـل

وهكذا يسترسل ابن زيدون يعزف على اوتـار مخيلته هاته الانغام الشجية ، لكنه سرعان ما يثوب اليه رشده ، فاذا هو وجها لوجه امام القدر الذي لا تطيش سهامه ، فهل هو اول من نكب . . ؟ وهل فـى استطاعته تحويل دفة المقادير .. ؟ واذن ، فلنستمع اليه وهو يسلـى نفسه ، ويقدم لها العزاء بما وقع لامثاله ، ومن هم اسمى منه مكانة وارفع جاها . . : (113)

امقتولـة الاجفان ، مالك والهـا ؟
الم ترك الايام نجما هوى قبلـى . ؟

اتلـى بكـاء ، لست اول حـرة
طوت بالاسى كشحا ، على مضض الثكل

وفى « ام موسى » عبرة ، ان رمت به
الى اليم فى التابوت ، فاعتبري واسلى !!

ولـلـه فينا علم غيـب ، وحسبنـا
به ، عند جور الدهر ، من حكم عدل !

على ان شاعرنا كثيرا ما كان يقلع عن البكاء ، ويتجلد للنائبات ، كما ينبىء عن ذلك قوله : (80)

من مبلغ عنـى البلاد اذا نبـت ،
ان لست للنفس الالوف بباخـع ؟

امـا الهـوان فصنت عنـه صفحـة
اغشى بها حد الزمـان الشـارع

فليرغـم الحـظ المولى ، انـنـه
ولـى ، فلم اتبعـه خطوة تابـع . !!

ان الغنى لهـو القناعـة ، لا الـذي
يشتف نطفـة مـاء وجه القانـع

. . مالى وللدنيا ؟ غـررت من المنـى
فيهـا ببارقـة السـراب الخـادع

وقمين بنا ، ونحن ندرس الشكوى فى شعر ابن زيدون ، الا نغفل الوقوف عند طائيته الرائعة ، التى احتفل فى نظمها ايما احتفال ، حيث سكب فيهـا عصارة فنه ، واودعها نفثات قلبه الجريح ، وصمـخ كلماتها وابياتها بوثبات بيانية هى السحر الحلال ، والعذب النمير الزلال . . وقد قالها وهو مختف بقرطبة عقب فراره من السجن ، وهذه مقتطفات منها : (14)

احبابنــا ، المــوت بحــادث عهدنــا
حوادث ، لا عقد علينـا ولا شـرط

فلعمركم ، ان الزمان الــذي قضــى
بشت جميــع الشمل منــا لمنحــط

. كان فؤادي ، يوم اهوى مودعــا ،
هوى خافقا منه ، بحيث هوى القرط

اذا ما كتاب الوجد اشكل سطــره ،
فمــن زفرتــى شكل ، ومن عبرتى نقط

الا هــل اتى الفتيــان ان فتاهــم
فريسـة من يعدو ، ونهزة من يسطــو

وان الحسام العضب ثــاو بجفنــه ،
وما ذم من غربيه قد ، ولا قــط

هرمت . ! وما للشيب وخط بمفرتــى ،
وكائن لشيب الهم فى كبدي وخط . !

وطاول سوء الحال نفسى ، فاذكــرت
من الروضة الغناء ، طاولها القحــط

مثون مــن الايــام خمس قطعتهــا
اسيــرا ، وان لم يبد شد ، ولا قمط

اتت بي كما ميص الاناء مــن الاذي ،
واذهب ما بالثوب من درن مســط

اتدنو قطــوف الجنتين لمعشـــر ؟
وغايتى الســدر القليل ، او الخمط ؟

وما كــان ظنــى ان تغرنــى المنــى
ولالغــر فى العشواء من ظنه خبــط

ولم يفت ابن زيدون أن يعرض فى قصيدته هذه خصومه ، وينتحل المعاذير لفــراره من السجن ، وذلك حين يقــول : (17) .

عدا سمعه عنى ، واصغى الذي عدى ،
لهم فى اديمى — كلما استكفوا — عــط

بلغت المدى اذ قصــروا ، فقلوبهــم
مكامن اضغان ، اساودها رقــــط

يولوننى عــرض الكراهــة والقلـــى
وما دهرهم الا النفاســة والغمـــط

وقــد وسمونى بالتى لست اهلهــا
ولم يمــن أمثالى بأمثالهــا قـــط

نــررت ، فان قالوا الفرار ارابــة
فقد فر « موسى » حين هم به القبط

**
*

ولنجعل مسك ختام هذا الفصل قول ابن زيدون فى موشح رائع ، له مسيس علاقة بالشكوى التى مدار كلامنا ، وهو فى ذكرى قرطبة وايام وصاله بها :

خليلى ، ان اجزع فقد وضح العــذر ،
وان استطع صبرا فمن شيمتى الصبــر

وان يــك رزءا ما اصاب بــه الدهــر

ففــى يومنا خمــر ، وفى غدنا امــر ،
ولا عجــب ، ان الكريـم مـــرزا

رمتنى الليالى عن قســى النوائب
فمــا اخطاتنى مرســلات المصائب
اقضى نهاري بالامانــى الكــواذب

وآوي الــى ليــل بطــىء الكواكــب
وابطــا ســار كوكب بات يكــــلا

**
*

واما بعد ، فهذا هو ابن زيدون فى شكواه وبلواه فى شوقه وحنينه ، فى آلامه واشجانه ، أرجو أن اكون المت ببعض جوانب الموضوع ، أما الاحاطة والدراسة المستوعبة ، فلها مجال غير هذا ، وحسبى ، اللــه ونعم الوكيــل .

مقابلة مع الكاتب

ثروت أباظة

أجرى المقابلة : الأستاذ حلمي محمد القاعود .

يعتبر الاستاذ ثروت اباظة من ابرز كتاب الرواية المعاصرة فى مصر والعالم العربى ، وهو الآن واحد من كبار كتاب صحيفة « الاهرام » القاهرية ، حيث يطالع القراء صباح كل ثلاثاء بمقال سياسى او اجتماعى على درجة ملحوظة من الاهمية ، لتركيزه على قضية الحرية والاصالة الفكرية ، وانتقاد مظاهر الطغيان الفكري والسياسى والاجتماعى . وبالاضافة الى هذا فانه يراس تحرير القسم الادبى بالاهرام ايضا، كما انه يراس تحرير مجلة « القصة » الفصلية التي تصدر عن نادي القصة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ومما هو جدير بالذكر أن ثروت اباظة من عائلة ادبية فوالده هو الاستاذ ابراهيم الدسوقى اباظة – رحمه الله – وكان اديبا معروفا بجانب نشاطاته السياسية فى الوزارة والمجلس النيابى . كما أن عمه ووالد زوجته « عزيز اباظة » كان من أشهر الشعراء المعاصرين ، قبل أن ينتقل الى رحمة الله – .

وينتمي الاستاذ ثروت اباظة الى الحس الاسلامي الاصيل ، ويبرز فى ادبه ميل واضح الى القيم الانسانية العليا ، التي حض عليها الاسلام ، وأمر بها .

وفى هذا اللقاء الذي استمر حوالي ساعة تحدث الاستاذ ثروت اباظة عن اكثر من قضية ، وأكثر من موضوع . . وقد بدأ حديثه قائلا :

« الاسلام هو الدين الوحيد الذي يستطيع ان يواكب الحضارة العالمية مهما تتقدم ، فليس هناك دين كرم الانسان واحترم التفكير عنده كما كرم الاسلام الانسان،والتفكير الانساني. فمن حقنا نحن المسلمين أن نشرف دائما أننا مسلمون ، وأننا نقف تحت هذا اللواء الشامخ الذي يصل السماوات العلا بأرض الحياة . . »

ولقد سألته ، هل تعتبر نفسك كاتبا اسلاميا ، أو معبرا عن التصور الاسلامى فى رواياتك ؟

فأجاب قائلا :

« أعتبر نفسى كاتبا اسلاميا فى رواية « لقاء هناك » وكذلك فى رواية « شىء من الخوف » على أساس أن الانسان عند الاسلام هو « الحرية » ، وأعتبر نفسى ، فى كل ما كتبت كاتبا مسلما ، وان لم أكن كاتبا اسلاميا . . »

وهنا سألته :

– ما الفرق اذا بين الكاتب المسلم والكاتب الاسلامى ؟

« الكاتب المسلم هو الذي يصدر فى كل ما يكتب عن روح الاسلام ، ولا يخرج عن الاطار العام الذي يحدده الدين القويم . اما الكاتب الاسلامى فهو الذي يرصد نفسه لتفسير الدين وشرح تعاليمه . ولست ذلك الرجل للاسف » ؟

ومن هنا طرحت عليه سؤالا آخر :

– كيف ترى الرواية المعاصرة عندنا داخل الاطار الاسلامى ؟ والى أين مدى استطاعت التعبير عن المفهوم أو المفاهيم الاسلامية ؟

قـــال :

« ارى هذا التعبير عند نجيب محفوظ فى رواياته التي افردها لفكرة البحث عن الايمان والتي بـــدات « بأولاد حارتنا » ، واستمرت حتى اعلن ايمانه فى رواية « الطريق » . ثم اعلن ايمانه الاسلامى فى روايـــة « الشحاذ » . واعتقد ان نجيب يمثل وجها من اهـم وجوه الرواية فى العالم العربى . واعتبر كتب « مصطفى محمود » الاخيرة من اهم الكتب الاسلامية التـــى استطاعت ان تتحدث الى شباب الجيل . فقد وصل مصطفى محمود الى اللغة المشتركة بينه وبين الشباب. واعتبر أيضا أن المرحوم عبد الحميد جودة السحار أهم قصاص اسلامى ، وخاصة فيما كتبه عن حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، والذين معه ، فى أجزائها العشرين ، وقد كان العرض فيها عرضا قصصيا . اما محمد عبد الحليم عبد الله ، فهو كاتب مسلم فى كل ما قدم من روايات ، وهو كاتب اسلامى فى روايته : « الباحث عن الحقيقة » . هذا عن الجيل الثانى والثالث اما جيل العمالقة ، فلا نستطيع أن نوفيه حقه مـن التقدير فى هذا المضمار ، وبحسبنا ان نذكر اعمـــال الدكتور محمد حسين هيكل ، وعبقريات العقاد ومحمد لتوفيق الحكيم ، واسلاميات طه حسين ، وهذا علـى سبيل المثال لا الحصر . ولا ارى فى الاجيال التاليـــة ـــ بعد الجيل الثالث ـــ شيئا يستحق الذكر » .

وانتقلنا بعدئذ الى تناول قضية الساعة فى مصر ، حيث يدور الصراع حول الاسلام والماركسية البعض يعتقد بسوء نية أو بسذاجة انه من الممكن ان يكون المرء مسلما وماركسيا فى آن واحد ! ولكن ذلك وفق التصور الاسلامى مستحيل بالطبع . وقد تحـــدث الاستاذ ثروت فقـــال :

« الواقع ان الماركسية فى العالم العربى ، تأخـذ اكثر من حجمها بعاملين . العامل الاول : ان الهاتفين بها يتمتعون بصفاقة معدومة النظير ، والعامل الثانى : أن لهم اصواتا نكيرة مرتفعة ، ولكن هذا او ذاك لا يستطيع أن يغطى الحقيقة التى تظهر دائما فى كـل انتخابات سواء كانت انتخابات عامة أو انتخابات خاصة لاتحادات نقابية أو مهنية ، ومن ادلة صفاقتهـــم محاولتهم التمسح بالاسلام ، وهم يعرفون ان مذهبهم ينكر الاديان جميعا ، وفى مقدمتها الاسلام ، ولصوتهم النكير المرتفع . وجدوا قوما بلا ثقافة ، ويريدون أن يدعوا الثقافة ، وهؤلاء موجودون للاسف فى بلاد عربية ويلبسون ثياب الشيوعية ظانين أنها تكسبهم مظهرا ثقافيا . ولو تعمقوا ثقافتهم لعرفوا اي ثوب مهلهل يرتدون . . وحسبى وحسبك ما حدث فى الاحـــزاب الشيوعية الغربية . لقد تنازلوا عن اهم مبـــادىء الشيوعية ليحصلوا على اصوات كثيرة فى الانتخابات، وهو مبدأ حكم البروليتاريا الذي انكره الحزبان ايضا . واريد ان اعرف : ماذا بقى بعد هذا من المذهـــب الشيوعى ؟ فهم اذا فى احزاب اوربة الشيوعية يحتضنون الديمقراطية ليحصلوا على اصوات اكثر للشيوعية . وفى روسيا لجأوا الى امريكا والى فرنسا لاقامـــة منشآت هناك . لان سياسة الحزب الشيوعى فشلت اقتصاديا . فالمذهب الشيوعى اذا افلس افلاسا تاما ، ولم يبق له معقل الا الصين التى يمكن فيها ان يتقبل مذهب يجعل الانسان آلة . لان الانسان فى الصـــين اقل من آلـــة . . »

ثم استطرد الاستاذ ثروت اباظة قائلا :

« وهذا المذهب ايضا فى الصين فى سبيله الـى التحلل بعد موت ماوتسي تونج ، فانت فى كل يوم تقرا عن الانتفاضات التى يكيد بها بعضهم لبعض ، ومـا ظنك بمذهب لا يستطيع الاستمرار الا لوجود شخص معين ؟ فان قارناه بالاسلام وكبرت هذه المقارنة، فانت تعلم ان الدين الاسلامى ازدهر وانتشر بعد موت النبى عليه الصلاة والسلام ، لانه دين حق يخاطب العقـل والقلب . اما هذه الفقاعات فلم تتحمل امتحان ستين عـــامـــا » .

وفى نهاية لقائى معه سألته عن أخباره الادبيـــة ، فقـــال لـــى :

« انتهيت من رواية « أوقات خادعة » التـــى تنشر مسلسلة الآن بمجلة اسبوعيـــة . واكتـــب رواية جديدة اسمها ـــ خائنة الاعين » ناظرا فيها الى قوله تعالى ـــ يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » ولكنها ليست رواية اسلامية » .

وقد وجهت له الشكر باسم « دعوة الحق » على تفضله بهذا اللقاء والاجابة على الاسئلة التى طرحت عليـــه .

القاهرة : حلمي محمد القاعود

حول مستقبل الشعر في الشطرين

أمام الشعر الجديد

حركات التجديد تقابل دوما بالانكار، ويعتبر ماتدعو اليه بدعة وخروجا عن المألوف الذي تقبله الناس ، فأصبح من الصعب التفريط فيه بعد ان تشبعت به افكارهم ، وتعلقت به قلوبهم ، وهذا الموقف من الحركات التجديدية يخلق صراعا حادا بين الطرفين : القديم والجديد ، يؤدي عادة الى ظهور ثالث يميل الى الاعتدال ، ويحاول التوفيق بين المتناقضين ذلك ما تثبته مسيرة البشرية في كل الواجهات التي تحتمل ظهور مثل هذه الحالة .

غير ان هذه العملية لاتمر بسهولة ولا بسرعة ، فبقدر تشبث اصحاب القديم (المحافظين) بمبادئهم وافكارهم وقيمهم ، وبقدر اخلاص اصحاب الجديد (المجددين) لجديدهم ، ووعيهم ، بمقوماته ، وتكامله وعمقه وجديته وقيمته ، بقدر كل ذلك يشتد الصراع بين الطرفين .

واذا كانت الحياة الفكرية من بين اهم الميادين الحيوية التي تشهد مثل هذا الصراع على الدوام ، فانه يغنيها بدون شك ، لانه دليل حيويتها وتفاعلها ، اذ بدون هذا الصراع تغرق في الخمول والجمود والكسل مما يؤدي بها الى التقهقر والتأخر ، لانعدام ملامح التجديد والابتكار ، وهو كل فكري تتفشى اثاره السلبية فى حياة الامة فتهددها بخطر الجمود وشبح الانحطاط ، ومن ثم فان هذا الصراع ، يعتبر في الواقع مظهرا من مظاهر صحة الحياة الفكرية ، يؤدي الى نشاطها وحركتها ، اذ تظهر المؤلفات العديدة التي تعتمد المنطق والتفكير العميق ، بعيدا عن العواطف والحماس التقليدي ، لان الموقف موقف دفاع عن مقومات ومبادي ، وبالتالي دفاع عن الشخصية ، فيعود المحافظون الى قديمهم يراجعونه ويعيدون فيه النظر لابراز مظاهر الجودة والاصالة فيه ومحاولة اغنائه وتطويره ليساير العصر ، ويبتعد عن الجمود ، وبقدر ما توفرت ذلك المظاهر فيه، وقابليته للتطور، يكتسب صفة الخلود ليصبح من الاثار الانسانية الخالدة الرفيعة ، التي تعتبر جزءا من ماضيه المجيد الذي يدفع صاحبه لبناء مستقبل امجد يتناسب مع ذلك الماضي او يفوقه ، وتلك هي مهمة التراثيين ومسؤوليتهم تجاه التراث من جهة ، وتجاه امتهم من جهة اخرى .

ومثل تلك المهمة ، ان قام بها اصحابها على الوجه الاكمل ، تضع الطرف الثاني ، المجدد ، في موقف صعب، ومن ثم يكون لزاما عليه أن يعمق جذور قضيته، ويضعها في اطار واضح اصيل يكسبها التقدير والاحترام ، وبالتالي يزيد من عدد الانصار الذين يتجاوبون مع هذا الجديد ، غير انه من الواجب ان نشير هنا ، الى ان الجديد ، اي جديد ، لا ينزل فجاة من السماء ، دون سابق ارهاص ، اي انه ليس مقطوع الصلة بما هو كائن او بما كان ، الذي يعتبر الاساس المتين ، وان كان خفيا احيانا ، الذي يشيد عليه ذلك الجديد . وقد يبتعد ويختلف عنه فيما بعد ، ولكن في البداية ـ لينجح الجديد ـ يجب ابراز تلك الروابط التي تربطه بالتراث الاصيل الذي ساهمت الامة عبر الاجيال والقرون في بنائه باخلاص ، ليكون ابنا شرعيا له ، وكلما وفق المجددو فى ابراز ذلك ، لقيت دعوتهم مزيدا من التقبل والرضى ، فالنفس الانسانية تانف من الجمود ، وتميل الى التجديد ، غير انها نادرا ما تتقبل هذا الجديد بدون روية او تفكير ، بل تحتاج الى وقت كاف للتفكير والتمحيص قبل اتخاذ موقف .

ويمكن القول ، ان تشبث المحافظين بقديمهم دليل على شخصيتهم ، اذا كان هذا التشبث ايجابيا ، يقوم على الفكر والمنطق والتامل العقلي ، ويعمد الى التطوير والتجديد ، ولا يكتفي بالاجترار والترديد ، كما يمكن القول ان نجاح الدعوة الى الجديد تتوقف على مدى جديته وعمقه من جهة ، والى وعي اصحاب الجديد واصالة رؤياهم ووسائلهم وطرقهم في طرح قضاياهم من جهة اخرى .

وقد عرف الشعر العربي هذا الصراع منذ القديم ، منذ القرن الثالث الهجري حين تبلور هذا الصراع في الخصومات التي ظهرت حول كل من ابي تمام والبحتري ، وانقسم النقاد والدارسون الى محافظين يفضلون طريقة البحتري ، وآخرين مجددين يفضلون طريقة ابي تمام ، وقد كان هذا الصراع وما تلاه فيما بعد من اهم البواعث التي ساعدت على ازدهار الحركة الادبية بصفة عامة والنقد بصفة خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث ظهرت اهم الكتب النقدية الناضجة عند العرب . . .

ويعرف الشعر العربي في هذا القرن ـ القرن الحالي

ـ هذا النوع من الصراع بين قديمه وجديده ، منذ اواخر الاربعينات ، وقد يكون الرجوع من جديد الى ابراز جوانب من هذا الصراع شيئا متجاوزا ، لان الكثير قد قيل فيه ، واصبح الشعر الجديد الآن ظاهرة تفرض نفسها ، ولكن على كل حال ، فان الصراع ما زال قائما ، ولا سيما ان بعض اعلام الشعر والنقد من الطرفين ما زالوا يرددون بعض الآراء والاقوال في مناسبات عديدة ، مما يدل على ان الصراع لم ينته بعد ، فما زالت هناك كثير من التساؤلات التي تحتاج الى مزيد من ابداء الراي ، ومنها على سبيل المثال التساؤل عن واقع ومستقبل الشعر ذي الشطرين وآفاقه امام حركة الشعر الجديد . وللاجابة عن ذلك يمكن ان نستعرض آراء بعض اعلام الشعر ذي الشطرين انفسهم من المعاصرين، ونكتفي براي شاعرين كبيرين : احدهما الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري ، وثانيهما الشاعر المصري المرحوم صالح جودت ، ومعلوم انهما يمثلان قطبين كبيرين مخلصين للشعر ذي الشطرين .

فالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري حين يتحدث عن الواقع والمستقبل يعلن انه :« لاقمة في الشعر من بعدي » ، ففي ندوة عقدتها الاذاعة والتلفزيون في العراق ، ونشرت في مجلتها (عدد 176 ، السنة السابعة 15 شباط 1976 ، ص : 42 وما بعدها)

يدلي شاعر العربية الجواهري برايه بكل جرأة وحرية في الشعر ، ويقصد الشعر التقليدي ، فيرى بان هناك تشويها للحرف العربي ، وان هناك فراغا لا يوجد من يسده الآن على الاقل ، اما عن المستقبل ، فهو يرى من خلال رؤيته للواقع ، انه لاقمة في الشعر من بعده ، فهل معنى هذا ان هذا الشعر يعرف ازمة، او هو على الاقل مقبل عليها ؟ يرى الجواهري ان الشاعر بدر شاكر السياب ، وهو من العراق ايضا ، بدا حياته الشعرية كما هو معروف ، على الطريق التقليدية الكلاسيكية ، ثم تحول الى النهج الجديد ، يرى الجواهري ان هذا الشاعر كان هو المنتظر لان يسد الفراغ . . . ولكن ، لم يسد احد الفراغ الذي تركه السياب .

ومن خلال ذلك نستنتج : ان الجواهري كانه يتأسف على مستقبل هذا الشعر ، فهو لا يجد من بين الشعراء ، على المدى القريب على الاقل ، من يستطيع ان يواصل مسيرة هذا الشعر على مستوى جيد ليكون قادرا على الصمود والتحدي ، قد يكون هذا الراي قابلا للنقاش ، ولكنه على كل حال يمثل وجهة نظر معينة لصاحبها ذوق ودراية ، الى جانب شاعريته الفذة التي يقدرها الجميع ، مما يجعله واحدا من اكبر شعرائنا المعاصرين على الطريقة الكلاسيكية في الوطن العربي .

لقد كان السياب في نظر الجواهري شاعرا يعد بالكثير ، غير ان تحوله الى الطريقة الجديدة ، جعله من كبار رواد هذه الحركة في العالم العربي ، وهذا التحول ، جعل الشعر العمودي يفقد ، في نظر الجواهري ، شاعريته فذة لم تعوض لحد الآن . ومع ذلك يمكن ان نتساءل هنا عن مدى شمولية هذه النظرة واتساعها ؟ اليس هناك ، في باقي اجزاء الوطن العربي شعراء يمكن ان يكونوا في المستوى الفني المطلوب لسد هذا الفراغ ؟ بالنسبة للسياب ، هل ترك هذا الفراغ بعد تحوله من الشعر العمودي ، ام بعد موته ؟ من المعروف ، ان بدر شاكر السياب قد فرض نفسه سواء كشاعر عمودي في بداية حياته الشعرية ، او على الطريقة الجديدة التي اصبح رائدا من روادها وما يزال تاثيره واضحا في الاجيال التي تلته من شعراء الموجة الجديدة .

اما الشاعر المرحوم صالح جودت فيعلن ان «المستقبل للشعر ذي الشطرين » . ففي حوار مع الشاعر نشره الاستاذ عبد العال الحمامصي في كتاب « الهلال » ـ مارس 1976 ـ بعنوان (هؤلاء يقولون : في السياسة والادب) يقول ان المستقبل للشعر ذي الشطرين بعد ان يعود الشعراء الجدد الى الصواب بعد استكمال ادواتهم الشعرية بالسن والمطالعة ،« ان المستقبل للشعر العربي الاصيل باوزانه التي ارساها الخليل ، مع التجديد فيها ـ كما فعل المهجريون والاندلسيون ـ في حدود اطار معين لا تسيب فيها ولا انحدار » .

ونلاحظ من خلال هذا القول ، ان الشاعر صالح جودت مطمئن على مستقبل هذا الشعر ، لانه يرى اسماء شاعرة من جيل الشبان توسم فيها القدرة على حمل راية هذا الشعر والمضي به نحو اجيال قادمة . ومن هذه الاسماء التي يرشحها المجد للمستقبل ـ على

حد تعبيره ـ ممن لا يقربون الشعر الجديد : سعد درويش ، عبد المنعم الانصاري ، الحساني عبد الله ، علي الباز ، فؤاد طمان ، يس الفيل ، وابراهيم التلواني . . . ومعظم هؤلاء من بين الشعراء الذين ينشرون قصائدهم في (مجلة الهلال) التي كان صالح جودت رئيسا لتحريرها قبل التحاقه بالرفيق الاعلى ويسلم الروح لباريها على اثر مرض كان يعاوده بين الفينة والاخرى لم ينفع معه علاج .

وصالح جودت في نظرته لمستقبل الشعر ذي الشطرين يختلف كما رأينا عن الجواهري في نظرته لهذا الشعر في المستقبل ، لان صالح جودت يرى ان هذه الموجة الجديدة مرحلة من مراحل الشعر سيعود اصحابها الى الشعر الاصيل بعد نضجهم ، ومن ثم فهو يحمل على اولئك الذين يتمادون في حركتهم دون ان يظهر منهم مايدل على استعدادهم للعودة الى الشعر ذي الشطرين ، والتخلي عن تلك المرحلة التي يعتبرها مجرد مرحلة من مراحل التمرن والتجربة ، ويتجلى هذا الموقف واضحا في قصيدته اليتيمة التي نظمها على تلك الطريقة الجديدة للمرة الاولى والاخيرة ، كما يقول ، يهاجم فيها اصحاب هذه الطريقة بسلاحهم نفسه ، وهي التي يقول في اولها :

انظم بالشعر الجديد هذه القصيدة .

لان من انظمها من اجلهم

من ثقتي بجهلهم

لا يعرفون اللغة القديمة

للامة العظيمة

لايحسنون ابحر الخليل

. . . الخ .

وهذا الموقف المتشدد من الشعر الجديد ، وجدناه ايضا عند كثير من الادباء والنقاد ، مثل عباس محمود العقاد ، وعزيز اباظة وغيرهما ، وهو موقف يظهر من خلاله ما يقابل به الجديد عادة من عنف ، غير ان هذا العنف قد يقوى وقد يضعف ، بحسب هذا الجديد وممثليه من جهة ، وتغلغل القديم في النفوس وتمكنه ومدى قدرة اصحابه وتساهلهم او تشددهم من جهة اخرى .

ولو حاولنا المقارنة بين رأيي كل من الجواهري وصالح جودت ، لوجدنا انهما يتفقان في نقط التي مؤداها ان الشعر ذا الشطرين هو الشكل الاصيل للتعبير في نظرهما ، وقد اخلصا له في عملهما الشعري كما اخلصا له في موقفهما ضد الشعر الجديد الذي خرج عن هذا الشكل ، غير ان صالح جودت قد اتسم موقفه كما رأينا بنوع من الشدة والعنف ، وهو واثق من العودة الى مسار الشعر العربي المتعارف عليه منذ القديم بعد المراس ونضج التجربة . وقد يكون من الصعب الاتفاق مع الشاعر صالح جودت لاول وهلة ذلك ان كثيرا من التجارب على الطريقة الجديدة قد فرضت نفسها واثبتت نضجها عند كثير من شعراء هذه الحركة امثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي ومحمد الفيتوري وغيرهم من الشعراء العديدين الذين تصدر لهم الدواوين والمجموعات المتوالية ، التي اثبتت نفسها واحتل البعض منها في ديوان الشعر العربي الحديث منزلة لاتقل اهمية عن عيون الشعر العربي التقليدي وروائعه .

واذا كانت هناك تجارب ناضجة واصيلة على الشكلين ، افلا يكون هذا الصراع حول الشكل المناسب للتعبير مجرد مظهر خارجي شكلي لا يصل الى عمق القضية التي تتصل بالمضمون قبل الشكل ؟ مما قد يدفع الى طرح سؤال قد يكون الخوض فيه من الامور البسيطة او الثانوية ، وهو : هل نريد المضمون الجيد ام الشكل الجيد ؟ مع العلم ان المضمون الجيد لا يمكن ان يطرح الا في شكل جيد ، والشكل هنا لا يمكن ان يقتصر على هذا البناء الهندسي للقصيدة ، فهو يشمل الكلمة وتوظيفها والصورة والرمز وما يحمله من ايحاء ، الى غير ذلك . غير انه في الوقت الذي نجد فيه شعراء الحركة الجديدة ينظرون الى البناء القديم بتقاليده واصوله على انه يحد من حرية الشاعر ورغبته في الوصول الى غايته المقصودة ، نراهم يغرقون في ضبابية وغموض يجعلان من العمل الشعري لغزا معقدا في كثير من الاحيان تتشابك فيه الرموز والاساطير التي يستلهمها الشاعر ، فيصعب فهم التجربة الا بعد جهد من طرف الشاعر في وضع الهوامش لقصيدته ، ومن طرف القارىء لربط ذلك بمسار القصيدة ، وهذا يجعل القصيدة الشعرية الجديدة غالبا لا تتجاوب مع اكبر عدد ممكن من القراء ، مع ان هذا التجاوب شرط من شروط الادب الاصيل ، ومعنى هذا ان على شعرائنا الجدد ان يعيدوا النظر في لغتهم ووسائل تعبيرهم حتى تكتسب تجاربهم ما يتوخاه القارىء من قيم في الشكل الى جانب المضمون الانساني الرفيع الذي يصل اليه القارىء من اقرب الطرق ـ ولا سيما في هذه الظروف التي تحتاج الى السرعة والبعد عن اللف رغبة في كسب مزيد من الوقت ـ ولكن دون اغراق في السطحية والسذاجة في نفس الوقت . وبرغم ما لهذا الغموض في الشعر الحديث من جوانب ايجابية في كثير من الاحيان ـ والغموض نجده ايضاحتي في بعض شعرنا القديم ، عند ابي تمام والمتنبي مثلا وعند غيرهما كذلك ـ حين يتميز بالاصالة كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل ، فان هذه الظاهرة قد تصبح حاجزا بين

القراء والعمل الشعري ولاسيما بالنسبة لمن الفوا قراءة الشعر القديم ، لانهم يجدون صعوبة كبيرة في التجاوب مع الشعر الجديد وربما رفضوه من اجل هذه الصعوبة . وقد استاثرت هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الفنية في هذا الشعر الجديد باهتمام العديد من النقاد ، بل والشعراء انفسهم من رواد هذه الحركة مثل الشاعرة نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ، وما تزال تثار في كثير من الاحيان مثل تلك القضايا ولا سيما عند شعرائنا الشباب الذين يندفعون بدافع التقليد الحماسي في بعض الاحيان مما يجعل تجاربهم تقابل بنوع من عدم الاهتمام والصمت .

واذا كان الشعراء ينقسمون على انفسهم الى قدماء وجدد ، او تقليديين ومتحررين ، فانه ليس من المفروض ان ينقسم القراء والدارسون ايضا ، فيقبل بعضهم على هذا النوع وبعضهم على غيره حسب الميول والاهواء ، ذلك ان القارئ او الدارس ، سواء كانت الدراسات عادية او اكاديمية ، مطالب برصد التيارات الفكرية المتنوعة ، ومسايرة الحركة الثقافية المتعددة الاتجاهات، رائده في ذلك ما يتوفر عليه العمل الفني من جودة واصالة ، ومدى تعبيره عن قضايا الانسان وهمومه تطلعاته وطموحه ورغبته في الحياة الاسعد والمجتمع الافضل . والاديب الملتزم يدخل في حسابه ذلك كله ، لانه لا يكتب لنفسه فقط ، والا لما اقدم على اذاعة ما يكتب ونشره في الناس ، فهو ينقل تجاربه للاخرين ومن ثم كان عليه ان يراعي الجانب الآخر ، المتلقي ، قارئا عاديا اودارسا ناقدا . ومن ثم فانه بالنسبة للشعر ، لا يمكن القول با نهذه القصيدة مثلا رديئة لانها تسير على طريقة القدماء ، او لانها تثور على طريقتهم وتتبع طريقة جديدة ، حسب نظرة كل فريق ، بل يجب ان ينظر الى جودتها سواء من حيث المضامين التي تطرحها ، او من حيث اللغة التي يصب فيها الشاعر تلك المضامين . بعيدا عن كل تحيز او تعصب وهكذا فان الجيد او الرديء من الشعر يعتمد على مدى ثقافة الشاعر الفنية وصدق احساساته وانفعالاته ومعانقته لقضايا اخوانه وامته ، وقضايا الانسان بصفة عامة ، ومدى قدرته على نقل كل ذلك في صورة واضحة بليغة الى الآخرين .

مكناس : علي لغزيوي



مع الشاعر الغزال

للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

في لوح المجد العربي بالاندلس ، وفي عصر ازدهار الحضارة الاسلامية ، واثناء رسوخ قوائم العرش الاموي بالعاصمة قرطبة ، نبغ علماء وحكماء وشعراء وكتاب وفنانون مبدعون وصناع متفننون مبتكرون ، بشكل عجيب سارت بخبره الركبان وتناقلته الالسن ، وبذلك جاء الاقوام من البلدان المجاورة ليتعلموا ويتحضروا ويطلعوا على ما عند الاندلسيين من علوم وفنون وعجائب وطرائف ...

كل هذا كان ، وعلى مستوى يقصر عن وصفه اللسان ، ويعجز عن ادراكه التصور . لكن خصوم هذه الحضارة والحاقدين عليها عملوا — بعد انتهاء حكم المسلمين — على تحطيم الجانب المادي منها ، وتدميره ، الا القليل النادر ، وارتكبوا جريمة فظيعة بطمس الجانب المعنوي المتمثل في المؤلفات بالاحراق (1) والتمزيق والمسخ ، فلم يسلم منه الا القليل ، القليل الذي كان منسوخا أو منقولا ، ورغم أن هذا التراث وقع في يد من يعرف قيمته ، وفي يد من لا يعرفها ، فانه على كل حال نجا من الضياع ، ومكن الباحثين من الحصول عليه حينا بعد حين .

كثيرون هم هؤلاء الافذاذ من اهل البحث والدراسة الذين صرفوا هممهم ، وواصلوا جهودهم لاكتشاف آثار اهل العلم والحكمة والادب الاندلسيين ، ولم يبخلوا بالجهد والمال والوقت لهذا الغرض الكبير ، وبذلك تيسر لنا أن نعرف جانبا من التراث الفكري لديار حضارتنا الاندلسية المجيدة . ويستحق الذكر والتقدير في هذا المجال الاساتذة الكرام : عنان ، واحسان ومكي ، ومؤنس ، والعبادي ، والابياري ، والسحار ، وعلي عبد العظيم ، وع. ع. سالم ، وكنون ، وابن تاويت والورياكلي ، وأعراب ، وزمامة ، وبنشريفة ، والكتاني ، والكعاك ، وبروفنصال وبالنثيا ، وكوميز ، وغيرهم .

فمن العدم ، او شبه العدم أخرجت الى النور ووضعت بين ايدينا دواوين بعض شعراء الاندلس ، وانعم به شعرا يولد في ديار الفن والرقة والجمال ، حتى انه لدينا منها — الان — دواوين : ابن خفاجة ، وابن زيدون ، والمعتمد ابن عباد ، وابن هانىء ، وابن الخطيب ، والاعمى التطيلي ، وابن شهيد ، وابن خاتمة الانصاري ، وابن دراج ، وحازم القرطاجني وابن الاحمر ... هذا بالاضافة الى الكتب الادبية الجامعة ، مثل (نفح الطيب) و (المطرب من اشعار اهل المغرب) و (جذوة المقتبس) و (المقتبس) و (الذخيرة) و (التشبيهات) وغير ذلك ... وكل هذا جميل ومفيد ، ونتطلع الى المزيد منه ، والى تكميل ما هو منه مبتور .

بقي محروما من هذا الحظ السعيد ، الذي واتى الاخرين ، شاعرنا الرقيق الحاذق ابو زكرياء يحيى الغزال ، فهو أحد الذين ما تزال دواوينهم مفقودة ، أو محفوظة في أحد الاماكن ، ولا يدري احد هل يكتب لها ظهور في يوم من الايام ، أم ان الاختفاء سيكون نهائيا — لا قدر الله — بالنسبة اليها . غير ان ديوان الشاعر ان كان قد اختفى ، فان نتفا

(1) ذكر المؤرخون ان المتعصبين أحرقوا من كتب المسلمين الف الف كتاب ، أي والله مليون كتاب . فيا للجريمة النكراء !

ومقطوعات منه قد ضمنها بعض الادباء مجموعاتهم وأماليهم ... وهكذا ضاع الديوان وبقيت المقتبسات!

تعترض قارىء الادب الاندلسي مقطوعات لهذا الشاعر الاريب ، ويلفت نظره فيها سهولتها وعمقها وبراعتها فى تناول الاحداث ، واطوار الزمن ، وتقلبات عواطف الناس ... وانه لمما يثير العجب حقا ، ان الباحث الاسباني (بالنثيا) حين رأى هذه المزايا متوفرة فى شعر (الغزال) زعم زعما مضحكا قائلا : ان براعة الشاعر الغزال ترجع الى أصله الاسباني ! وهذا مثل قولهم ان العمران الاندلسي لا يختلف أصله قوطي ، وأن الموسيقى الاندلسية نابعة من الالحان الكنائسية ، الى غير ذلك من دعاوي التنكر !

انه عند استعراض هذه الحصيلة من أشعار (الغزال) بالبحث والتحليل والتذوق يتجلى أن المقطوعات تشتمل على المواضيع الآتية :

— غزل ، وميولات وجدانية .

— تعفف عن المغريات ، والتزام خطة توقير الكهولة والشيخوخة .

— شعور بالاستياء من تصرفات بعض الناس .

— التصدي لبعض هؤلاء الناس بالسخرية والتهكم

— تأملات فى شؤون الحياة واطوارها .

— الزهد فى متاع الحياة ، والتطلع الى النهاية الهادئة .

وهناك فنون معروفة فى الادب العربي — شرقا وغربا — يفتقدها الباحث فى هذه الاشعار ولا يجدها، اما لان المقتبسين لم يروا فائدة فى اقتباسها ، واما لان الشاعر أصلا لم تكن له ميول نحو هذه الفنون ، وذلك مثل :

— مدح الامراء والوزراء والسراة .

— الفخر بالحسب والنسب والامجاد الوطنية والقومية .

— مشاهد الطبيعة الجميلة .

— المشاعر الودية نحو الاهل والولد والاصدقاء والعشراء ...

والواقع انه ما دام الديوان برمته مفقودا فالحكم الصحيح لا يمكن اصداره ، فنحن لم نتعرف على الشاعر وشعره ، الا من خلال ما اختاره المختارون (2) . وعلى هذا قد يكون هذا الذي اختير احسن ما فى الديوان ، وقد لا يكون أفضل ما فيه ، وقد يكون نموذجا فقط لما فى الديوان ، وممثلا لاقسامه كما هي فى الحقيقة ... والاحتمالات الثلاثة معقولة ، وغير بعيدة .

وعلى ذكر الاختيار لاحظت شيئا عجيبا ، ذلك ان قصيدة غزلية متركبة من ستة عشر بيتا ، تختلف اختلافا كبيرا — فى ثلاثة عشر بيتا منها — بين راويين فاضلين هما : (ابن دحية) و (المقري) ، فالمطلع للقصيدة عند الاول :

لم أنس اذ برزت الي لعوب
طربا ، وحيث قميصها مقلوب

بينما هي عند المقري كما يلي :

خرجت اليك ، وثوبها مقلوب
وقلبها ، طربا اليك ، وجيب

القصيدة عند الاول يبداها الشاعر بضمير المتكلم ، بينما الثاني يوردها بضمير المخاطب ، وان كانت روح الشاعر الغزال أظهر فى رواية ابن دحية ، وابن دحية أقرب الى عصر الشاعر ، لانه من العصر الاموي بينما راويتنا التلمساني من العهود الاخيرة للعرب بالاندلس ، انما يلاحظ كذلك ان المقري كتب مجموعته الادبية (نفح الطيب) مستندا على حافظته ومراجعه ، بينما كتب ابن دحية كتابه من حافظته فقط ، فعند من يكون النص الحقيقي ؟

ان الاهتمام بهذه القصيدة يأتي من عدة نواح :

— انها اطول قصيدة من القصائد التي رويت للشاعر ..

(2) مجموع المقطوعات الشعرية المعروفة للشاعر الغزال 37 مقطوعة ، عدد أبياتها نحو 230 بيتا ، وهي مبثوثة فى أهم المراجع القديمة مثل : نفح الطيب للمقري ، والمطرب من أشعار اهل المغرب لابن دحية ، والمقتبس لابن حيان ، والتشبيهات لمحمد بن الكتاني .

— انها ذات موضوع غزالي طريف ، ذاك الـــذي يتمثل فى اغراء غانية للشاعر ، بينمــا يجـــد المغري نفسه عاجزا عن الاستجابة !

— ان الوصف فيها دقيق للموقف الذي حدثت فيه (المشكلة) ، بجميع الحركات والسكنات والاقوال والافعال ...

وليس فى الامكان ايراد القصيدة بأحد نصيها ، خصوصا نص ابن دحية لان فيها ما يخدش الحياء ، ولو ان ابن دحية قال عنها انها ذات (شعر حسن فى الهزل ، جزل فى معانيه ، دون فحش فيه) (3) .

هذا ، وقد نال الشاعر الثناء من جميع الرواة القدماء والمحدثين ، اثنوا على حذقه ورقته وبراعته الشعرية ، وكادوا يجمعون على ذلك ، الا الراويـــة (ابن حيان) الذي وجه اليه تهمة (هتك الاعراض) فى كتابه المقتبس ، غير ان محققي هـــذا الكتـــاب ذكروا عن هذا المؤرخ انه كان شديدا فى احكامـــه ، وعلى هذا فقد يكون شاعرنا ممن أصابهم شرر من تلك الاحكام . وفى اشعار صاحبنا ما يبرئـــه من هـــذه التهمة ، فلنقرا متمهلين هذه القطعة القصيرة :

وسليمي ذات زهـــد
فى زهيد من وصـــال

كلما قلت : صليـنـي
حاسبتني بالخيــــال

والكرى ، قد منعتـــه
مقلتي اخرى الليالـــي

وهي أدرى ، فلمـــاذا
دافعتني بمحــــال ؟

أترى انا اقتضينـــــا
بعد شيئا من نـــوال ؟

الحقيقة ان هاتك الاعراض لا يتسبـــب ، ولا يتمنى تمنيات أقرب الى اليأس ، وانما يسيـــر الى غاياته بوسائل غير الاشعار ، بل هو يسخر من اسلوب يسمى الشعر والعواطف ، لانه يائس من نفســه انـــه عملي اكثر مما هو نظري .. اللهم الا اذا كان يقصد بهتك الاعراض هتكا معنويا ؟

وليس معنى هذا ان شاعرنـــا كان ذا احـــلام مجردة ، بل انه كان يرى مقاييس معينة فى الجمال الانثـــــوي :

فارعة الجسم ، هضيم الحشا
كالمهرة الضامر لم تركـــب

أو درة ساعة استخرجـــت
لم تمتهن بعد ، ولم تثقـــب

مشربة اللون ، متنوع الضحى
صفراء بالاصال كالمذهـــب

ان شاعرنا من المحظوظين الاقلاء الذين انعـــم الله عليهم بعدة مزايا قد لا تجتمع لغيره ، فهو وسيم فى رجولة متماسكة ، وهو حاذق اريـــب لا تمـــل معاشرته ، وهو جليس الامراء والكبراء ، وهو محـــل الثقة القيام بالمهام السامية لدى الدول الاجنبيـــة ، التي تتطلب السفارة اليها مؤهلات خاصة . وهكـــذا اوفد الى بلاد الدنمارك سفيرا ، فنال ثقة الملـــك ، ونال اعجاب الاميرة (نود) ، وعندئذ أبى الا معابثتها شعرا ، وان كنا لسنا متاكدين بانه عابثهـــا بغيـــر الشعـــر ! :

كلفت يا قلبـــي هوى متعبـــا
غالبت منه الضيـــم الاغلبـــا

اني تعلقـــت مجوسيـــــة
تأبى لشمس الحسن ان تغربا

اقصى بلاد الله ، من حيث لا
يلقى اليه ذاهب مذهبـــــا

يا (نود) يا رود الشباب التي
تطلع من أزرارها الكوكبـــــا

يا بأبى ، الشخص الذي لا ارى
احلى على قلبي ، ولا اعذبـــا

ان قلت يوما : ان عينـــي رات
مشبهه ، لم اعد ان اكذبـــا

قالت : ارى فوديه قد نــــورا
دعابة ، توجب ان ادعبـــــا

(3) يراجع الجزء الثالث من كتاب (نفح الطيب) ص 22 والمطرب من أشعار أهل المغرب ص 149 .

قلت لها : يا بأبي انـــــه
قد ينتج المهر كذا أشهبـــا

فاستضحكت عجبا بقولي لها
وانما قلت ، لكي تعجبــا !

مضى الشاعر فى مهمته عشرين شهرا ، انجز رغبة الامير الاموي فى كف هجومات الدنماركيين على الحواضر الاندلسية ، وكسب عطف الملك الدنماركي (هوريك) ، كما احيط باعجاب زائـــد من الاميـــرة (نــود) ، ولعل ذلك الانحراف من هذه المراة هو الذي جعله يكون هذه الفكرة السوداء عن المراة ، وما عهدناه الا معجبا محبا متولها :

يا راجيا ود الغواني ضلـــة
وفؤاده كلف بهن موكـــــل

ان النساء لكالسروج حقيقة
فالسرج سرجك ، ريثما لا تنزل

فاذا نزلت فان غيرك نــازل
ذاك المكان وفاعل ما تفعـــل

او منزل المجتاز أصبح غاديا
عنه ، وينزل بعده من ينـــزل

او كالثمار مباحة اغصانهــا
تدنو لاول من يمر فياكـــل

اعط الشبيبة ، لا ابالك حقهــا
منها ، فان نعيمها متحـــول

واذا سلبت ثيابها لم تنتفــع
عند النساء ، بكل ما يستبدل

ورغم تقلبه فى رعاية رب القصر الدانمركــي ، وانغماره فى رعاية حاملة التاج فان الذكرى ــ مــع ذلك ــ حركت نفسه ، واهاجت خاطره نحو ديــار الاهل والاحباب فانشد :

ربع قلبي لما ذكرت الديــارا
وتنورت بالتخيلات نـــارا

وازدهتني ذات السنا ببروق
من لظاها ، فما أطيق اصطبارا

والقريح الفؤاد يزداد للنــا
ر ، وميض السعير منها استعارا

وعاد الشاعر تاجحا موفقا ، فاستقبل أحســن استقبال ، ونال الحظوة فى كل مكان ، ووصلــت اخباره الى اسماع الغيد الحسان ، المعجبات عادة بالرجولة الموفقة ، الحائزة على الشهرة والمجــد ، ويظهر ان احداهن صرحت له باعجابها ، فتقبل ذلك منها بتحفظ وعدم مبالاة :

قالت : احبك . قلت كاذبـة
غرى بذا ، من ليس ينتقـــد

هذا كلام لســـت أقبلـــه
الشيخ ليس يحبه أحـــــد

سيان ، قولك ذا وقولــك ان
الريح نعقدها ، فتنعقـــــد

او ان تقولي النار بـــاردة
او ان تقولي : الماء يتقـــد !

حقق الشاعر النجاح الباهر فى سفارته ، وصان مقامه من الابتذال ، ونال رضى الخليفة وجعل السنة الدانماركيين تلهج بحذقه وبراعته ... وكل هـــذا ليس هينا على ذوي القلوب المريضة ، التي يضنيها الحسد ويحرقها الحقد ، فاخذوا يتضايقون منــه ، ويهونون من شانه فارتجت لذلك عواطفه الرقيقة .. فكتـــب :

الناس خلق واحد متشابــه
لكنمــا تتخالــف الاعمـــال

ويقال حق فى الرجال وباطل
اى امرىء الا وفيه مقـــال !

ولكل انسان بما فى نفســـه
عن عيبه عن غيره اشغـــال

يستثقل اللمم الخفيف لغيره
وعليه من أمثال ذلك جبال !

وينام عن دنياه نومة قانـــع
بنعيم دنياه ، وذلك خيـــال

ورأيت السنة الرجال أفاعيا
طورا تثور وتارة تغتـــال

فاذا سلمت من المقال غير ما
تجني ، فانت الاسعد المفضال !

لم يستكن الخصوم ـ من غير خصومة ـ الى المسالمة ، وانما مضوا ينقصون ويعيبون ويختلقون الاكاذيب ، بدون هوادة ، فاكتفى بان اطلق فى وجوههم هذا النقد الساخر :

لا ، ومن اعمل المطايا اليه
كل من يرتجى اليه نصيبا

ما ارى ههنا من الناس الا
ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا

او شبيها بالقط القى بعينيـ
ـه الى فارة ، يريد الوثوبا !

وظنوا أن السنتهم اصابت مكانا حساسا فى مكانة الشاعر ، وان الامير التي لا تخفى عليه اشاعة او خبر ، قد بلغته اشاعاتهم واكاذيبهم ، ولذلك سكت عنه وتناساه ، ولكنه عاد ـ كما بلغهم ـ فاستدعاه وجامله بشكل زائد عن الحد ، فلم يسع الشاعر العنيد الا أن يسجل وينشر ذلك فى قصيد جميل ، بين الاصدقاء والاعداء على السواء ، وهكذا تسامرت الاندية بهذه القصيدة :

قال الامير مداعبا بمقاله
جاء الغزال بحسنه وجماله

اين الجمال من اربى على
متعدد السبعين من أحواله ؟

اين الجمال له ؟ الجمال من امرىء
القاه ريب الدهر فى أغلاله

وأعاره من بعد جدته بلى
واحال رونق وجهه عن حاله

لقد افتخر فى المقدمة ، افتخر بالوسامة وطول العمر ، وحلول أن يطفىء من غل واحقاد خصومه ، فأتى بكلام عن ذهاب أيام الشباب ، واتعاب الدهر... لعلهم يكفون من غوائهم لكنهم أصروا على موقفهم ، ومضوا يشنعون وينقصون ، وهنا جاهرهم بانه ، وهم ، على مستوى واحد من الضعف البشري :

اذا اخبرت عن رجل برىء
من الآفات ظاهرة صحيح

فسلهم عنه هل هو آدمي
فان قالوا : نعم ، فالقول ريح !

ولكن بعضنا اهل استتار
وعند الله اجمعنا جريح

ومن انعام خالقنا علينا
بأن ذنوبنا ليست تفوح

فلو فاحت لاصبحنا هروبا
فرادى بالفلا ، ما نستريح

وضاق بكل منتحل صلاحا
لنتن ذنوبه البلد الفسيح

ويا ليت المضايقات جاءت فقط من الافذاذ الاكفاء ، فحتى الخصي (نصر) المقرب جدا من الامير بل المتطاول عليه فى بعض الاحيان ، فهل يتردد صاحبنا فى مجابهته ، لا :

أيا لاهيا فى القصر ، قرب المقابر
يرى كل يوم واردا غير صادر

كأنك قد ايقنت أن لست سائرا
غدا بينهم فى بعض تلك الحفائر

تراهم ، فتلهو بالشراب وبعض ما
تلذ به من نقر تلك المزاهر

وما أنت بالمغبون عقلا ولا حجى
ولا بقليل العلم عند التخابر

وفى ذاك ما أغناك عن كل واعظ
شفيق ، وما أغناك عن كل زاجر

وكم من نعمة يعصى بها العبد ربه
وبلوى عدته عن ركوب الكبائر

سترحل عن هذا ، وانك قادم
وما أنت فى شك ، على غير عاذر

ولم يطل الامر بهذا الخصي ، فقد انكشف امره الخطير للامير (عبد الرحمن بن الحكم) الذي كان يخصه بمعاملة فريدة ، لقد حاول هذا الخصي أن يسمم هذا الخليفة فى كأس الدواء فما كان من الخليفة ـ وقد علم بالامر ـ الا أن الزم الغادر بالشرب

من نفس الكأس ، فانتهى بذلك أمره . وعندئذ شيعه بهذه القطعــة :

اغنى أبا الفتح ــ ما قد كان يأمله
من التصانع ، والتشريف للدور

وكل فرض وعرض كان يجمعه
ــ حفيرة ، حفرت بين المقابير

ولم يألها القوم تضيقا ، ولا وقعت
فيها الكرازين الا بعد تقديــر

فصار فيها كأشقى العالمين وان
لفوه بالنفح فى مسك وكافــور

ما العرف ؟ لو اخبرونا بعد ثالثة
الا كعرف سواه فى المناخيــر

وكان ازمع شيئا لم تكن سبقت
به من الله احكام المقاديــــر

اذا اراد الله شيئــا كونــــه
فلن يضرك فيه سوء تدبيــــر

وتأبى الحوادث الا ان تتوالى ، فقد فاجأه خبر انعام الامير على الفنان (زرياب) بقصر الخصــي المتوفى ، وذلك تقدير منه لهذا الرجل الغريــب ، الذي جاء من الشرق فاستولى على الالباب ، واحتل مكانة كبرى ، وكاد يقضي على المقامات الاخــرى ، ولذلك كتب هذه القصيدة تحت تأثير الانفعال من هذا الانعام الكبير ، وليس فى وسعه الا ان يكتب قصيدة من هذا النوع ، فلقد كتب ــ ذات يوم ــ قصيــدة هزلية فى حق زرياب فكان جزاؤه الطرد من الاندلس ، وهو الآن ليس مستعدا لارتكاب مثل هذه الحماقة ، فليكتف بهذه القصيدة ، التي يتداخل فيها التشفــي مع الموعظة والتعجب مع التحذير :

ذكر الناس : دار (نصر) لزريا
ب ، وأهل لنيلها زريــاب !

هكذا قدر الاله وقد تجـــــ
ـــري بما لا تظنه الاسبــاب

اخرجوه منها الى مسكن ليـــ
ـــس عليه الا التراب حجاب

لا يجيب الداعية فيه ولا يـر
جع اليه منــه جـــواب

وتفالت تلك المراكب عنــه
واميلت الى سواه الركــاب

ليس معه من كل ما كان قد جمـ
ـــع الا ثلاثة أثـــواب

وتلاشى جميع ذاك ، فلمــا
يبق الا ثوابه أو العقــاب

عسكر جندوا فليس مــأذو
ن لهم عنه أن يكون حســاب

فرأيت الرقاب من اهله ذلــ
ــت وعزت من آخرين رقاب

وكذلك الزمان يحدث فى تصـ
ـريفه الذل والبلا والخراب

لتعجبت والذي منه أعجبـ
ـت اذا ما نظرت شيء عجاب

لكان الذي تولى الـذي كـا
ن عليه مخلـد لا يــراب

فعله بعده كفعل امرىء ليـ
ـس عليه بعد الممات حساب

ولعقل الفتى صحيح ، ولكن
حيرتـه الاوراق والاذهــاب

وضاقت نفسه من ماجريات الامور فى هــذه الحياة ، وخروج الامور عن سيرها الطبيعي وارتفاع شأن الاوباش وخمول ذكر الاماجد . . فلم يجد أمامه من حل ومخرج سوى أن يسخر ، وكانت سخريات فنيــة لاذعــة :

فقال فى عجوز خبيثة الحرفة :

جرداء صلعاء لم يبق الزمان لها
الا لسانا ملحا بالملامــات

لطمتها لطمة طارت عمامتهـا
عن طلعة ليس فيها خمس شعرات

كأنها بيضة الشارى اذا برقت
بالمأزق الضنك بين المشرفيات

لها حروف نوات في جوانبها
كقسمة ارض ميزت بالتخومات

وكاهل كسنام العيس جرده
طول السقاع والحاح التقودات

وقال في قاض ذي مستوى فظيع من الجهالة يسمى (يخامر) :

لقد سمعت عجيبا
من آبدات (يخامر)

قرا عليه غلام
(طه) و (سورة غافر)

فقال : من قال هذا ؟
هذا لعمري شاعر !

اردت صقع قفاه
فخفت صولة جائر

اتيت يوما بتيس
مستعبرا متحاسر

فقلت قوموا اذبحوه
فقال : (اني يخامر) !

وقال في عدلين لا يتورعان عن التلاعب بمهمتهما المقدسة :

أتاك أبو حفص ، ويحيى بن مالك
فأهلا وسهلا بالوغى والمعامع !

رجال اذا صبوا عليك شهادة
حكت فيك وقع المرفهات القواطع

اقول لديكي اذ رأيت وجوههم :
تعز ، فقد جاءتك احدى الفجائع

رنا ، واستهلت عند ذاك دموعه
وقال : كثيرا ما افاضوا مدامعي

وليس عاديا أن تبدل الحياة سنتها ، ولا أن يبدل أهل الدنيا سنتهم هم ايضا ، فما على شاعر فنان رقيق الشعور سوى أن يركن الى ظل ظليل ، بين خميلة وارفة ومياه متدفقة صحبة دواوين اشعار ، أو في صحبة أفراد الاسرة ، الذين يبقون وحدهم على العهد مهما تقلب المتقلبون وتلون المتلونون ، وطال العهد به في هذه الحياة ايضا ، فأخذ الكلل والملل يسري :

الست ترى الزمان طواني
وبدل خلقه كله وبراني

تحيفني عضوا فعضوا فلم يدع
سوى اسمى صحيحا وحده ولساني

ولو كانت الاسماء يدخلها البلى
لقد بلي اسمي لامتداد زماني

ومالي لا ابلى لتسعين حجة
وسبع اتت بعدها سنتان !

اذا عن لي شخص تخيل دونه
شبيه ضباب أو شبيه دخان !

فيا راغبا في العيش ان كنت عاقلا
فلا وعظ الا دون لحظ عيان

المصير محتوم ، والنهاية الابدية تتراءى على هيئة شبح أسود ، أسود فاحم ، يلوح بذراعيه العاتيتين عبر الفضاء الواسع ، فيحجب النور البهي والنسيم المنعش وهما احسن ما تتميز به الحياة الدنيا ، ولذلك همس مودعا :

اصبحت والله محسودا على أمد
من الحياة قصير غير ممتد

حتى بقيت ــ بحمد الله ــ في خلق
كأنني بينهم ــ من خشية ــ وحدي

وما افارق يوما من افارقه
الا حسبت فراقي آخر العهد

انظر الي ، اذا أدرجت في كفن
وانظر الي اذا أدرجت في اللحد

واقعد قليلا ، وعاين من يقيم معي
ممن يشيع نعشي من ذوي ودي

هذه حياة شاعر لبيب اريب ، مر بدنيا الاندلس الزاهرة الراقية الفاتنة السعيدة فترك بصماته النورانية في الاوساط ، الاوساط الفكرية والفنية والديبلوماسية ــ بلغة العصر ــ والاجتماعية ، أثر فيها واثرت فيه نال منها ونالت منه ، وما غادر الحياة بعد نحو قرن ــ من الزمان ، حتى كان قد ارتوى من كأسها حتى الثمالة .

سلا : محمد بن احمد اشماعو

أزمة فكر أم فكر أزمة

للأستاذ أحمد شوقي

— 1 —

فى الحياة الثقافية والادبية والفكرية التي نعيشها ـ مبدعين أو متلقين ـ غالبا ما تجد الاقلام فى مناخ هذه الحياة وجوها ـ الصافي منها والكدر ـ فرصا عديدة لتناول بعض جوانب هذه الحياة نقدا وتحليلا ، فحصا وتمحيصا ، دراسة تتسع لهذه الحياة بما رحبت به ، أو تضيف لها او تتطلع الى آفاقها تستشرفها وتحاول ان تتحسس الطريق اليه ـ كل قلم باسلوبه الخاص ، ثم تحاول بعد ذلك أن تصل الى هذا الافق او ذاك وتتلمس وجها من وجوهه ، لتقضي فيه بعد ذلك كله قضاءها الفكري وتقول فيه الكلمة الفاصلة : هل فيه ما يصلح للحياة حقا والبقاء والاستمرار ام ينعدم او يكاد ينعدم فيه كل بصيص من الضوء ، فتسدل ستارا ، أو تجد فيه شيئا من تلك الحياة وشيئا من ذلك البصيص من الضوء ... وتعود النظرة التي كانت من قبل متأملة شاخصة الى منطلقها معاودة السير او موثرة التوقف حتى ينجلي ما يتراكم على الافق من غبار وتعتيم ، أو موثرة التوقف لتقيم رؤية تقييمية لما مضى ؛ تاركة رؤية تقييم ما ياتي الى فرصة من الفرص أو مناسبة من المناسبات .

فى جو هذه الحياة ومناخها لا تعدم الاقلام وقفة من ضرب آخر ، هي وقفة السؤال او التساؤل وقد تكون لديها رصيد من الاحكام والآراء والفروض :

هل هناك أزمة فكر ام هناك فكر ازمة ؟ ! ويلح هذا السؤال او هذا التساؤل على هذه الاقلام ـ أو على اصحابها ـ حتى يصبح او يكاد يصبح هو القضية وهو المسالة ، فيستبد بها حتى تكاد لا تجد نفسها ـ هذه الاقلام قادرة على السير او التوثب الا اذا وجدت جوابا او اجوبة عن ذلك السؤال المرهق المضني ، ولكني اوثر ـ مع من يوثر ان يسميه قضية ؛ وهي قضية فعلا ، وكم من القضايا فى حياتنا الثقافية والادبية والفكرية نطرحها اسئلة على انفسنا وهي قضايا ملحة !

وينبغي الا نخدع انفسنا فنقول انها قضية عابرة بامكان الزمن أن يمحوها ويطمس معالمها من الطريق ويزيح عبأها عن كاهلنا ، فهي ليست من تلك القضايا التي تنطوي على مثل هذه الطبيعة ، ولا يتعين علينا كذلك ان نهول منها حتى تصبح شغلنا الشاغل فى حياتنا الثقافية والادبية والفكرية بصفة عامة ، فنضعف امامها وتحتوينا حتى نصبح غير قادرين على ادارة رحى هذهالحياة ، وبالتالي ننشغل بها حتى تكاد تصبح لدى بعضنا ضربا من اللهو والعبث الثقافي والادبي ـ وما اكثر هذا اللهو والعبث فى حياتنا الثقافية والادبية ؟ ـ وتصبح لدى البعض الآخر حاجزا زجاجيا سميكا يحول بيننا وبين رؤية ما مضى وما يأتي رؤية سليمة واضحة ، خالية من الشوائب والوان الكدر القاتم .

ومــع ذلــك ...

تظل القضية ملحة على افهامنــا واذهاننــا ، مستبدة بها ، مقيدة اليها بسلاسل النظـر والفكـر والتدبير ، حتى يوجد لها جواب يشفي غليــل ذوي الافهام والاذهان ، ويكون عندها قناعة بصواب الجواب على السؤال ــ القضية : هل هناك أزمة فكر ام هناك فكــر أزمــة ؟

— 2 —

لولا خشيتي ــ واكاد اقول خوفي ــ لقلــت بداهة ان ما يتجلى لنا ونحن نعيش ونضطرب في جو الحياة الثقافية والادبية ومناخها ــ الصافي حينــا والكدر حينا آخر ــ هو دليل على وجود فكر أزمــة اكثر من دلالته على وجود ازمة فكر . ولاضيف بداهة ايضا : ان هذا حكم جاهز امسك به بداية هذا المبحث خلافا لما جرى به العرف والتقاليــد في المجــال النقدي ان يوخر صدور الحكم الى خاتمة المبحث والقضية ، ولكني آثرت ذلك حتى لا اضــع القارىء أمام اشكالية المصطلحات والمفاهيم النقدية الغامضة التي تختلف وتتشابك وتتعقد باختلاف وتشابــك وتعقد اصحاب المصطلحات والمفاهيم التي تستخدم الآن في حياتنا الثقافية والادبية استخداما شنيعــا يفرغها من محتواها ويجهض امكانياتها الذاتيــة في البقاء والتأثير ، وتوظف في المجال النقدي توظيفــا يسيىء الى هذه المصطلحات والمفاهيم ثم يسيىء مرة أخرى وبشكل فادح الى حياتنا الثقافية والادبية، وهما اساءتان بالغتا الخطورة لو تمعنا قليلا في اجواء حياتنا الثقافية والادبية وتفاعلها مع هذه المصطلحات والمفاهيم التي تمت حينا الى النقد بصلة من الصلات، وتنتفي هذه الصلة أحيانا أخرى وكثيرة ، فكثير من هذه المفاهيم والمصطلحات والمقاييس التي نسميها نقدية ونحاول تطويع ثقافتنا وأدبنا الحديث أو القديم، تستمد روحها من العقائد والايديولوجيات والمذاهب المستوردة ــ نفسية كانت او اجتماعية او سياسية او أدبية وحتى اقتصادية اذا صح القول ، وهو قول ليس غريبا ولكن له شواهد ودلالات فيما نقرا وفيما نعيش فيه من جوانب حياتنا الثقافية والادبية .

واظن اننا وضعنا أيدينا على نقطة حساسة جدا في طريق دراسة وتحليل الموضوع الــذي نحــن بصدده ، ما دمنا قد عرفنا وأدركنا المنبــع الــذي تنطلق منه الاصوات التي تزعم أننا نعاني أزمة فكــر وتدعي اننا اسرى هذه الازمة بشكل او بآخر ، فهؤلاء الذين يزعمون ويدعون أننا نعاني أزمة فكرية منطلقون من مفهوم واضح صريح يلغي من حياتنا الثقافيــة والادبية كل قيمه أصيله لا تتطابق ولا تنسجم مــع القيم والافكار التي يولمونها من قاموس اصطلاحاتهم ومفاهيمهم ومقاييسهم النقدية المشتقة بدورها من روح العقائد والمذاهب والايديولوجيات التي يتبنون مواقفهم النقدية منها ويأخذون منها ما يطابق أحكامهم على حياتنا الثقافية والادبية ثم يخضعون اجواء هذه الحياة ومناخها الادبي والفكري لمقاييسهم الخاصة ، وهي مسالة نعتبرها جناية على هذه الحياة الادبيــة فوق اعتبارنا اياها مغالطة تنطوي على ضرر كبيــر واكاد أقول على شر كبير . ومما يزيد الطين بلــة ــ كما يقال ــ ان تلك الاحكام وتلك المقاييس تختلط فيها وتداخلها النزعة الشخصية الخالصة ومضاعفات هذه النزعة العميقة وهذا الجنوح الرامي الى هيمنة الاتجاه الانطباعي الذي نعرف جميعا العيوب التــي ينطوي عليها حين تتخذه قاعدة من قواعــد نظرتنــا النقدية والتحليلية الى الفكر والى أزمته في حياتنــا الثقافية والادبية .

حين قلت ان ما يتجلى لنا في حياتنا الثقافية والادبية هو فكر ازمة اكثر منه ازمة فكر قلت ذلــك وتحت يدي (مشجبان) نعلق عليهما مشاكلنا الثقافية والادبية والفكرية وكل ما يتصل عندنا بالنشاط العقلي والذهني المعبر ، وهما : ثقافتنا المعاصرة وعلاقتها بالتراث ومشكلة المضمون في انتاجنــا الثقافــي والادبي . وهما مشكلتان اسالت الاقلام الغزير مــن الحبر عنهما وحولهما ، وذهبــت في تفسيرهمــا وتحليلهما مذاهب شتى لا نرى ضــرورة لعدهــا وحصرها ، ولكننا نقصر القول على اتجاهين فيهمــا فرضا انفسهما على الادباء والكتاب والقــراء وعلى بعض صور الكتابة الادبية .

● الاتجاه الاول يرى أن (ثقافتنــا المعاصرة) ينبغي أن تعزل نفسها عن التراث حتى تكون ثقافتنــا ثقافة معاصرة حقا ، وهو موضوع آخر قد نخصص له دراسة خاصة عن معنــى المعاصرة في الثقافــة والادب ، وأصحاب هذا الاتجاه يقولون به ويذهبــون الى هذا الرأي بدعوى أن التراث جزء من الماضــي وعنصر منه لا يجب أن « يقحم » نفســه في الثقافــة المعاصرة اذا أردنا أن تكون هذه الثقافة معبرة عــن عصرنا ، ومعبــرة عن همــوم الناس في حياتهــم اليوميــة !

وهو اتجاه متطرف ـ كما رأينا ـ في رؤيته الى التراث ، لانه ينظر اليه على أنه عنصر سلبي ليس له اي دور في اغناء وأثراء حياتنا الثقافية والادبية المعاصرة ، وليس لديه ما يضيفه الى هذه الحياة . فالاحرى هنا ـ عندهم ـ أن نحكم على هذا التراث بالموات ما دام ليست له صلة بهذه الحياة الثقافية المعاصرة . وخلافنا مع أصحاب هذا الاتجاه خلاف يمتد الى الجذور العميقة المكونة لحياتنا الثقافية والادبية ، لانه يمس بفكرنا من اساسه ويحاول ان يهدمه أو على الاقل أن يلحق به تشويها ، ويكفي للرد على هذا الاتجاه أن نستشهد بمثال واحد فقط هو ما يسمى عند الاوروبيين بعصر النهضة : هل كان عصر النهضة هذا وليد الصدفة أم كانت له أسبابه الذاتية والموضوعية ؟ هل قام الاوروبيون ـ بمحض الصدفة كذلك ! ـ بخلق ادب وثقافة لهم دون أن تكون لهذا الادب ولتلك الثقافة جذور بالفكر والثقافة الاغريقية القديمة ؟ اليس من مصادر هذا الادب وتلك الثقافة استمدوا عناصر نهضتهم الادبية والفكرية والثقافية والعلمية والفنية ، حتى شبت عندهم هذه الثقافة ونمت وامتدت اغصان شجرتها في الاجواء وسرى ماء الحياة فيها واخضرت ثم ازهرت ثم أعطت اكلها وثمارها ، ولو انهم اشاحوا بوجوههم عن الفكر الاغريقي وثقافته العقلانية الخلاقة لما تغيرت حياتهم الثقافية والادبية والفلسفية والفنية ، ونضيف لاصحاب هذا الاتجاه المتطرف في رؤيته الى تراثنا الفكري والادبي فنقول ان جزءا ضخما من التراث الاغريقي الذي استعان به الاوروبيون في خلق نهضتهم وصلهم عن طريق العرب والمسلمين الذين كانوا سباقين الى ترجمته والاستفادة منه في انطلاقتهم الحضارية الزاهرة التي امتدت من أقصى حدود آسيا الى الاندلس ؟ !

● أما أصحاب الاتجاه الثاني فلا يقل حظه من التطرف في رؤيته الى التراث من أصحاب الاتجاه الاول ، فيقولون ان التراث الادبي والفكري هو علاقة مقدسة يجب ان يمتد اثرها وتأثيرها الى حياتنا الثقافية والفكرية حتى تصبح هذه « القداسة » هواء تتنفسه هذه الحياة وتعيش به ، مهما كانت وبلغت حدة العوامل المتجددة التي تفرض نفسها على حياة الشعوب والامم . ونحن نقول ان في هذه الرؤية الى التراث نصيبا من الخطأ ينبغي علينا أن نعالجه ، فالتراث الادبي والثقافي ـ شأنه شأن اي تراث آخر ـ أشبه بوعاء محدود اتسع في وقته وعصره لشتى الوان الابداع والخلق والابتكار حتى امتلأ وفاض أو كاد ، ولا يتعين علينا ان نحمله أكثر مما يحتمل ويطيق ، هو وعاء خليق بنا أن نأخذ منه بالاسباب الكفيلة بضمان اضافة جديدة لا ان نحوله الى عبء على حياتنا الثقافية والفكرية يثقل هذه الحياة ويثقل على أصحابها حين يريدون الابداع والخلق . ويكفينا من هذا التراث أنه يمثل ويجسد ظاهرة صحية ودلالات أصيلة وناضجة ، وبرهان على النمو والاكتمال ، وأخذه المأخذ الذي يريد أصحاب الاتجاه الثاني فهو يشبه عندي أن نمضي الى الوراء لنجر عربة لقي حصانها حتفه الى حياتنا المعاصرة ونحاول ركوبها من جديد على علاتها !

ولعل المحاولات التوفيقية التي قام بها بعض مفكرينا ومثقفينا قمينة بأن تضع حدا فاصلا بين مفهوم اصحاب الاتجاه الاول ومفهوم أصحاب الاتجاه الثاني في رؤيتهم وتفسيرهم لمعنى التراث ومدلوله والمدى الذي يمكن ان يصله في التأثير على حياتنا الثقافية والادبية والحضارية بصفة عامة .

أما المشكلة الثانية وهي مشكلة المضمون في انتاجنا الادبي والثقافي فهي في اعتقادي « مشكلة انتماء » بالدرجة الاولى . ذلك أن الاشكال الادبية تختلف وتتغير ، وتغير من الوان جلدها باختلاف وتغير الاجيال التي تتبنى وتتخذ هذه الاشكال ادوات للتعبير الادبي ، أما مسألة المضمون فرهينة بموقف الاجيال مما يقع في عصرها من متغيرات وطوارىء ؛ وقدرة انتماء هذه الاجيال الى صميم مجتمعاتها وطاقتها على استيعاب وامتصاص الدلالات الجديدة التي تطرحها وتفرضها المرحلة الجديدة التي يمر بها المجتمع الذي تعيش فيه هذه الاجيال وتحس نفسها معبرة عنه وعن حركته وهمومه وآلامه وآماله، واضطرابه أو سكونه ، وتطلعاته أو جمود افراده عند نقطة معينة لا يريدون أن يتجاوزوها اما لضعف تحس به وتستشعره أمام التحديات المطروحة واما لصعوبة تقييم الاختيارات الاساسية .

ولا اعتقد مطلقا انني قمت بحل عقدة المضمون ومشكلته في انتاجنا الادبي والثقافي ، ولكني اظن انني لمست هذه العقدة من خلال محاولتي ربطها بالعوامل والرواسب المؤثرة والفاعلة فيها .

— 3 —

فكر ازمة ؟! كيف ولماذا ؟!

من تلك المنطلقات الاساسية التي سبق لي ذكرها ، نستطيع ان نتلمس اكثر طريقنا نحو فكر الازمة وليس أزمة الفكر كما يشاع ويقال ويتردد فى هذا المنبر أو ذاك من منابر التعبير الادبي والفكري.

ان الذين يزعمون أن فى حياتنا الثقافية والادبية ازمة فكر مخطئون لسببين اساسيين :

أ — استعبادهم واسترقاقهم بروح النظريات والعقائد والايديولوجيات الواردة او المستوردة على حد سواء واقترابهم المذهبي والعقائدي فى هذه الروح الدخيلة وانتماؤهم الفكري والوجداني لنصوصها الضيقة انتماء يبلغ عند بعضهم درجة التعصب الاعمى وما يصاحبه من قصور الرؤية وغموضها .

ب — انغلاقهم وانكماشهم فى دائرة ذلك الانتماء والاغتراب دون محاولة الاقتراب من ضمير ووجدان امتهم وتراثها الادبي والفكري والحضاري ، وحتى اذا حاولوا الاقتراب منه نظروا اليه نظرة ازدراء واستعلاء تصل احيانا الى درجة الاستخفاف بهذا التراث واهانته وتجريحه ... وكل شيء يجوز !

فاذا كان الواقع الثقافي والادبي عندهم لا يمثله الا ذلك الاستعباد المطبق عليهم لروح فكرية حضارية غريبة عن هذا الواقع وعن مناخه الاصيل ، ولا يمثله الا انغلاقهم وانكماشهم فى دائرة الانتماء والاغتراب لهذه الروح الدخيلة ... ... فلماذا ننتظر او نتوقع ان يصدر عنهم الا ما يشير ويمثل دلالات ذلك الاستعباد والانتماء والاغتراب والانكماش ؟ !

لقد قلنا انهم اسرى رؤية فكرية ضيقة الى تراثنا اولا ، ثم الى حياتنا الثقافية والادبية ثانيا ، ونستخرج من ذلك انهم يعيشون فى الواقع فكر ازمتين لا ازمة واحدة ! وليس من الصعب أن تقنعهم بانهم يعيشون ويعانون من فكر ازمتين حادتين ، ولكن الاقناع عندنا مشروط بقاعدة اساسية يجب أن تتوفر لديهم ، قاعدة فكرية تمثل وضوحا فى الرؤية وانفتاحا معقولا ومقبولا يطبع عقولهم واذهانهم ، وطرحا كاملا وشاملا لاشكالية التعقيد القائم بين ايمانهم بوجود ازمة فكر او فكر ازمة .

اما نحن فنقول انه لا وجود لازمة فكر فى واقعنا الثقافي والادبي ، فحياتنا الثقافية والادبية فى هذا الواقع ، نابضة ، ملموسة نتائجها ، سواء شئنا أن ننظر اليها من زاوية مفهومنا للتراث أو من زاوية مفهومنا للمضمون ، ولكي لا نخدع انفسنا لا نقول ولا نزعم أن هذا الواقع الفكري الذي نعيشه مقنع بالنسبة لنا ، فلا زلنا نطمح ونتطلع الى ما هو اجود وافضل محاولين تجاوزه بما يصدر عنا من الوان الابداع والخلق والاجتهاد — على قلة هذه الالوان — ولكنه — اي ذلك الواقع — لا يمثل لنا ولا يجسد لدينا اي شعور بوجود ازمة فكرية . ولا نحاول مطلقا افتعال واختلاف ازمة فكرية فى واقعنا اذا راينا هذا الواقع يبطيء فى خطوات مسيرته او يفتر نشاطه لسبب من الاسباب .

بالاضافة الى ذلك ، فاننا نرى أن هذا الواقع الفكري الذي يمثل قناعتنا بأن التراث — أولا — عنصر ايجابي من عناصر النهضة والدفع — وان المضمون — ثانيا — باب مفتوح على مصراعيه يستقطب ويستوعب الاشكال التعبيرية الجديدة — اقول ان هذا الواقع الفكري هو تجسيد حسي على مستوى الفكر بايماننا بالعقيدة والقيم والمثل النابعة والصادرة من وجدان هذه الامة الروحي والفكري ، ومن ضميرنا الوطني والقومي اليقظ ، لا نخشى على انفسنا من ضياعه بقدر خشيتنا من تفككه وتفتته ، لان القوى الروحية الكامنة فى هذا الواقع تشدنا اليه شدا عنيفا وفى نفس الوقت تتيح لنا ان نجابه التحديات الفكرية والعقائدية المتشابكة بايمان وثقة لا يتزعزعان، آخذين بعين الاعتبار التطورات التي يشهدها عصرنا فى مختلف المجالات والحقول ، نواصل السير لنرقى بهذا الواقع ونسمو به الى آفاق ارحب واوسع، مستمدين طاقة السير من اشعاع فكرنا المغربي الاصيل .

— 4 —

ان كل أمة تريد ان تبني لنفسها حياة جديدة ، او تتهيا لتبدأ مرحلة جديدة من هذه الحياة ، تستمد — باديء ذي بدء — مقومات البناء والاستمرار مما يكمن فى ضميرها الوطني ووجدانها الفكري ، والاستفادة من العناصر الايجابية الكامنة فيهما لارساء قواعد هذا البناء واستمراره وتعبئتهما لتهييء حياة جديدة ، خصبة ، نامية ، حتى تضمن لنفسها

البقاء والوجود ، واخطر التحديات فى اعتقادي التي تجابه امة فى مثل هذه المرحلة الجديدة الدقيقة فى حياتها هو خطر الازدواجية فى التفكير ، واختلاق واصطناع ازمات مفتعلة فى الفكر الوطني والقومي ، ومحاولة تمييع مصادر الفكر الوطني الاصيل وتفتيته حتى تتفسخ شخصية الامة ، ومحاولة عزل هذا الفكر الوطني الاصيل وابعاده عن الحياة اليومية فرد ، حتى يتلاشى التفاعل الايجابي بين الفرد وفكره ، وخطر افتعال أزمة فكرية فى الحياة الثقافية والادبية ، وهو خطر لا يهدد فحسب شخصية الفرد ولكنه يهدد كذلك شخصية الامة المتطلعة المتوثبة ، ولا يستهدف وجدان وضمير الفرد ولكنه يستهدف ضمير ووجدان الامة باكملها ، لان الفكر مثل الغذاء المشاع بين الناس ولهم يجب أن يراقب شأنه شأن الافكار تماما ، وكما يعزل الغذاء الفاسد والخبيث من حياة الفرد والامة حتى لا ينشر السموم ، كذلك ينبغي عزل الفكر الفاسد والخبيث من حياة الفرد والامة ، حتى لا يستشري فساده وخبثه ، فتنهار شخصية الامة وتتحلل كما يتحلل الطين فى الماء على حد تعبير ابن سينا !

أحمد تسوكي

من أبحاث العدد التاسع

- **تحريف التاريخ والعقيدة . . . . . الدكتور ابراهيم حركات**
- **القاضي أبو بكر بن العربي (11) . . . للاستاذ سعيد أعراب**
- **كتاب مناهج البحث فى اللغة . . . . تعليق للاستاذ محمد بن تاويت**

منهجية تدريس اللغة العربية
في الشعب العلمية

الحلقة الرابعة

للأستاذ محمد حمزة

ان تعلم اللغة انما يجيء عن طريق معالجة اللغة نفسها ، ويتأتى بمزاولة عباراتها ، ويظهر ان تعلم اللغة العربية للشعب العلمية انما تكمن غايتيه في مساعدة التلميذ على اكتساب اللغة ، وانماء رصيده منها ، وتفهم أسرارها لتكون له اداة طيعة تمكنه من نقل افكاره ، والتعبير عن مكنونات نفسه ومحصوله العلمي ، وبث ذلك في غيره بلغة سليمة قويمة . تضمن لما تلقاه وبلقنه البقاء والانتشار والذيوع في الناس ، فيستفيدون من تجاربه ، ويفيد مما قد يعارضونه فيه. ان الغربيين يدرسون اللغة لمطلق اللغة وتعلمها واستعمالها . ويطعمون العلوم باللغة ، ولا ينظرون الى كل منها نظرة جزئية انفصالية لان كل شيء في الدنيا يتقوى بقوة الروافد التى تصب فيه . والثقافة الصحيحة هي التى تسعى الى التكامل في جميع مناحى الحياة . والغرض من تدريس اللغة العربية للشعب العلمية هو نشر الذوق والمتعة بالنصوص التى تخفف من ثقل وجفاف العلوم .

ويبدو أن النص العلمي يمكن ان يُؤدى دوره علما ولغة لو توفرت له شروط يتلخص بعضها فيما يلى:

1 ــ الا يكون طويلا ، فكلما طال النص مله العقل ومجته الاسماع « واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد البسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا من الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، اصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة » . وقد قال عامر بن قيس : « الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الاذان » (1) .

2 ــ الا يكون حديثا مرتجلا ثم يكتب كما ارتجل، لان الارتجال شيء والكتابة شيء آخر . ففي الارتجال تكرار ومعاودة للمعاني والالفاظ . وهذا مما يأباه السلوك العام للعلم ومناهجه ، والحديث المرتجل يفقد كثيرا من مقوماته بعد نشره مكتوبا ، فهو يفقد النبر والتنغيم ، والحالة العاطفية للمرتجل وهو يلقى كلامه ، كالزفرات والحركات الاشارية . « وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون اظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة

1) البيان والتبيين للجاحظ ج 1 ص 83 بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط 3 ــ 1388 ــ 1968 . مكتبة الخانجي بالقاهرة .

اوضح وافصح ، وكانت الاشارة ابين وانور ، كان انفع وانجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو اليه ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت اصناف العجم.. فاما الاشارة فاليد، وبالراس وبالعين والحاجب والمنكب ، اذا تباعد الشخصان ، وبالثوب والسيف ، وقد يتهدد رافع السيف والسوط ، فيكون ذلك زاجرا ، ومانعا رادعا ، ويكون وعيدا وتحذيرا ، والاشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هى له ، ونعم الترجمان هى عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغنى عن الخط . وبعد فهل تعدو الاشارة ان تكون ذات صورة معروفة وحيلة موصوفة ، على اختلافها فى طبقاتها ودلالاتها . وفى الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة ، فى امور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الاشارة لم يتفاهم معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتة. وقد قال الشاعر فى دلالات الاشارة :

اشارت بطرف العين خيفة اهلها
اشارة مذعور ولم تتكلم

فايقنت ان الطرف قال مرحبا
واهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال الآخر :

وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه

وفى الناس من الناس
مقاييس واشباه

وفى العين غنى للمر
ء أن تنطق افواه

وقال الآخر :

العين تبدى فى نفس صاحبها
من المحبة او بغض اذا كانا

والعين تنطق والافواه صامتة
حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

هذا ومبلغ الاشارة ابعد من مبلغ الصوت . والصوت هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التاليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع . والتاليف» (2) اذن، فالاحاديث المرتجلة غالبا ما تكون فى التثقيف العام ، ولا تفيد كثيرا فى غرس الاساليب اللغوية وتعليمها ، ولعل الجاحظ قد رصد هذه الظاهرة اذ يقول : « وكان ابو شمر اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ، ولم يقلب عينيه ، ولم يحرك راسه ، حتى كان كلامه انما يخرج من صدع صخرة ، وكان يقضى على صاحب الاشارة بالانتقال الى ذلك ، وبالعجز عن بلوغ ارادته ، وكان يقول : ليس من حق المنطق ان تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه ابراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة ، وبالزيادة فى المسألة ، حتى حرك يديه وحل حبوته ، وحبا اليه حتى اخذ بيديه ، وفى ذلك اليوم انتقل ايوب من قول ابي شمر الى قول ابراهيم ، وكان الذي غر ابا شمر وموه له هذا الراي ، ان اصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ويميلون اليه ، ويقبلون ما يورده عليهم، ويثبته عندهم ، فلما طال عليه توقيرهم له ، وترك مجاذبتهم اياه ، وخفت مؤونة الكلام عليه ، نسى حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم ، وكان شيخا وقورا ، وزميتا ركينا ، وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكورا بالفهم والحلم » (3) .

3 — فى حالة ترجمة النص ، يستحسن ان لا يقوم بها الا شخص ضليع فى العربية ، ومتشرب لروح اللغة العربية ، ومدرك لاسرارها ومفاهيمها وبيئة أصواتها والفاظها ، لما فى ذلك من تحد هائل يفرضه فهم المقامات المختلفة من علاقات اجتماعية ، وعقلية وذوقية ، وعاطفية دقيقة متشعبة ، لا يبتليها،ولا يفهم مراميها ، ولا يحيط بها خبرا ، ولا ينفعل بها الا ابناء البيئة ذاتها . ويظهر انه من تضييع الوقت « البحث عن الالفاظ بدلا من الترجمة راسا من قبل اختصاصيين فى الموضوع ممن عرفوا لغتهم جيدا ، ولو ان سلفنا فى

2) المصدر السابق ج 1 ص 77 .
3) المصدر السابق ج 1 ص 91 .
4) مجلة اللسان العربى ج 7 ص 60 .

العهد العباسي عمل ما عملنا لما ترك لنا تراثا شامخا ادرك العالم المتحدث اليوم اهميته وقيمته » (4) . وتعلم مفردات اللغة يتم وفق قانون معين لا عن طريق وضعها وضعا ناشزا لا يخضع لقانون أو عرف . ان تعلم مفردات اللغة « ليس عملية مستمرة فحسب خلال ايام الطفولة ، بل خلال الحياة كلها . فاللغة تتسع باستمرار ويغير الاستعمال مدلول الكلمات ، ويضيف العلم باستمرار في اكتشافاته حقائق جديدة عن عالمنا ، كلمات جديدة في اللغة » (5) والمعركة الجديدة معناها كلمات جديدة ، والملاحظة الدقيقة تستلزم ما هو اكبر من ملاحظة التفاصيل ، انها تعني أيضا ادراك الصورة الكلية والقدرة على ربط التفاصيل بعضها ببعض لايجاد مدلول لها وتفهم ما بينها من علاقات . ان الترجمة علم تصب فيه كثير من العلوم ، وقد يحدث اقل خطأ في الترجمة اعظم خطر في تأويل الاشياء وفهمها ، « وقبل تسعين سنة فقط ، اكتشف العالم الفلكي الايطالي « جيوفاني فيرجينيو سكيا برلي » ، رئيس مرصد ميلان ، وجود خطوط على سطح المريخ سماها «كنالي» وترجم هذا الاسم الى اللغات الاوربية الاخرى خطأ بمعنى « قنوات » بدلا من « خطوط » ، وقد تسبب هذا الخطأ في اثارة اهتمام العالم فجاة بالمريخ ، فطلع البعض من الناس بنظريات تقول بأن المريخ ماهول بمخلوقات ذكية شقت تلك « القنوات » لري الكوكب الجاف ، وادت الاثارة برجل امريكي الى اقدامه على بناء مرصد في ولاية « اريزونا » خصوصا لدراسة تلك « القنوات » المزعومة ، وبالفعل تم تخطيط 400 « قناة » منها ، بلغ طول بعضها 5000 كيلو متر . ورغم ذلك فشل بعض الراصدين في مشاهدة « القنوات » ، وتوقف الامر عند هذا الحد ، وظل متوقفا الى ان اطلق الامريكيون في شهر نوفمبر عام 1964 أول سفينة لهم لسبر اغوار المريخ وهتك اسراره ، هي السفينة « مارينر 4 » فمرت في شهر يوليو عام 1965 على بعد يقرب من عشرة آلاف كيلو متر منه ، وفي أثناء ذلك ارسلت الى الارض 22 صورة سطحية غيرت الكثير من النظريات القديمة التي وضعت حوله ، ولم تظهر الصور الاولى أية دلائل او اثباتات توحي بوجود تلك « القنوات » التي اكتشفها العالم الفلكي الايطالي « جيوفاني فيرجينيو سكيا برلي » ولكنها اظهرت فوهات براكين وقمما واخاديد» (6) يقول ماريان بيسر: ان العلماء لا يحصلون غالبا « على تعليم كاف في المهارات اللغوية ، ولذلك فهم يفشلون أحيانا في التعبير لغيرهم عن اكتشافاتهم وملاحظاتهم بوضوح وجلاء .

وهدف التعبير العلمي هو الكشف عن المعاني وايضاحها ، وعرضها في الفاظ واضحة الدلالة ، بتفصيل الافكار الاساسية للموضوع ، وعرض جزئياتها ، والمام بالعناصر التي تتالف منها ، ثم بلورة هذه العناصر بعد ذلك في صورة كلية عامة تتجلى فيها وحدة الموضوع وتفصح عن وجودها ، ومهما يكن من شيء، فالعلوم لا تعيش وحدها بدون لغة ، بل ان للعلوم فضلا كبيرا واثرا ظاهرا فيتنمية اللغة وتطويرها مادةواسلوبا لما تكسبها العلوم من دقة وجلاء وقوة ووضوح، والعلم يضيف باستمرار كلمات جديدة لتعبر عن الحقائق العلمية المستحدثة ، واللغة تقوى بقوة علوم أصحابها وحسب مدى سيرهم في معارج الحضارة ، والعلم والادب يتفاعلان ويحبلان ويلدان، شأن كثير من ظواهر الكون ومظاهر الطبيعة ، وبقدر تفاعلهما وتآزرهما تكون قوتهما وقوة أصحابهما ، فقد امتاز الاغريقبالادب والفلسفة والعلم والرياضيات في آن معا ، وعرف ذلك عند العرب في ايام ازدهارهم وعزهم ، ونرى مثل ذلك عند أمم الغرب المتقدمة اليوم ، وليس ذلك مجرد صدفة ، بل لعدم استطاعة الانسان الجاد الاستغناء عما ينتجه غيره في شتى وجوه الحياة ، فالنجار يصنع بيتا ، والمخترع آلة ، والطبيب قد يكشف دواء لمرض عضال اعيا غيره من الاطباء ، والمنطقي يضع مقياسا منطقيا والشاعر ينظم قصيدة ، فالافادة والاستفادة موجودتان الا أن أوجه الشبه لا تدرك اذا لم تدرك الفروق .

وعليه فللثقافة الادبية اثر ملموس ، وللمعرفة اللغوية ميزاتها في الاسلوب العلمي ، ويظهر بعض ذلك فيما يلي :

1 ــ الثقافة الادبية واللغوية تيسر التعبير عن الحقائق العلمية الدقيقة .

---

5) التنشئة العلمية ص 93 ، تاليف ماريان بيسر ، ترجمة احمد محمود سليمان ، الدار المصرية للتاليف والترجمة .

6) هنا لندن ، عدد 256 ص 23 ، فبراير 1970 .

2 ــ تتجلى الحاجة اليها حين يتصدى الكاتب للترجمة او العالم للحديث ، فانها تعينهما على اختيار انسب المصطلحات ، ونقل المعارف فى دقة وجلاء .

3 ــ تساعد على سلامة الاسلوب وخلوه من الاخطاء النحوية واللغوية التى تشينه وتحط من قدره.

4 ــ تمكن الكاتب فى المسائل العلمية والنفسية والفلسفية والاجتماعية ونحوها من توضيح المعانى ، وتيسير التعبير عن الافكار العويصة المعقدة .

5 ــ لا شك ان ازدهار الحياة الادبية يؤثر فى التعبير العلمى ، فالاساليب جافة عديمة النسخ والمائية فى عصور الانحطاط والتقلص الفكري ، رقيقة جيدة فى عصور الازدهار ، وفى تاريخنا ــ نحن العرب والمسلمين ــ عبرة وذكرى للذاكرين ! فالعلم والادب متكاملان ولا يجوز الفصل بينهما . وكل دعوة الى هجران الادب واهماله والعكوف على العلم المادي وحده ، ان هى الا حجة داحضة ، وقتل للقوة الروحية فى الانسان التى تدفعه الى كشف السر فى نفسه وفى الكون ، بل هى واد للفكر وما يحوطه من تصور ، او يصنعه من تخيل او هى تذف بالانسان فى مهامه التحجر العقلى والانقباض الذهنى كالراس لا صحة فيه ، بل كلوم وحيط وجراحة طريئة لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بدهن ، فالادب حلاوة الاذواق الرفيعة ، وبلسم القلوب الكليمة والعلم لا يعوته الادب ، بل يلطف جوه ويقويه . ومن منا يجهل اسرة بنى زهر فى الاندلس ــ مثلا ــ وقد لمعت فى الطب ، والعلوم ، والكمياء ، والطبيعة ؟ ! وكانت الى ذلك بارعة فى الحديث ، والادب ، واللغة ، وقالت الشعر ، ولماذا نذهب بعيدا ونحن نعلم ان ابراهيم ناجى كان شاعرا وطبيبا ، وان أحمد زكى ابا شادي كان شاعرا ومربى نحل ، وان على محمود طه كان شاعرا ومهندس مبان . ونجد عند الغرب اعلاما عرفوا بالعلم والادب على السواء ، منهم براتراند راسل الذي كان رياضيا وفيلسوفا ، وعالم اجتماع ، والبرت شفايتزر الذي كان قسيسا ، وعالم لاهوت ، وباحثا موسيقيا ، وعازف ارغن ، وطبيبا ، ويظهران بليزباسكال لا يغيب عن الاذهان عند كل من يتحدث عن تفاعل العلم والادب .

فالعبرة ليست بالعلوم وحدها ، ولا باللغة وحدها منفصلة منزوية ، ولا بأي فرع من فروع المعرفة معزولا بعيدا عن الحياة ، وانما العبرة بتآخى نتاج العقل البشري فى هذا الحقل او ذاك وبالجد وحسن الاختيار لطرق الاداء والايصال ، لان حسن الاختيار دليل على لبابة العقول ، وقد يتم لنا التوفيق بين العلم والادب عن طريق النصوص التى نقدمها للناشئة ، ويحسن أن تكون مثل هذه النصوص مزيجا مما كتبه قدماء علماء العرب ومحدثوهم ، ولا عبرة بالكثرة ، فالقليل الجيد المحكم ، خير من الكثير المفكوك العري والقديم لا يضيره قدمه اذا كان معبرا موحيا ؟ والكشف عن القديم وتقديمه للنشء فى معرض بهى يرضي عنه نفوسهم يجعل ابناءنا يقبلون على علوم اسلافهم ولغة أجدادهم ، وينتشعون بها ليرتبط حاضرهم بماضيهم ، وليدركوا أن قومهم لم يقصروا وان رماهم الناس بالتقصير ، ولا يتم ذلك الا بمعاملة التراث والتوجه نحو المستقبل فى شجاعة وعدم تردد . ولا ننسى أن التقدم فى الحضارات التى يعنو لها وجه التاريخ كان انسانيا وماديا فى آن معا فى شتى العهود والاحقاب ، قديمها والحديث .

ان الحضارة كل لا يتجزأ ، هى تربة واحدة تنتجزهورا مختلفة لكنها متسقة متكاملة ، فالفكر يفلسفها . والعلوم الاجتماعية تحتفظ لها طابعها ، والتكنولوجية ترعاها ، ولا يتصور قيام حضارة عرجاء ، أو مدنية هتماء تدور فى المرعى ولا ترعى فتعتمد عنصرا واحدا دون سائر العناصر التى تعطى للحضارة مظهرها الاجتماعى الانسانى الشمولى ؟ يقول العقاد : « اننى انظر الى الدنيا نظرة فيها من الشمول اكثر مما فيها من التفصيل . وان الحياة والزمان والعالم كلها عندي جملة واحدة متماسكة ، ليست المظاهر الفردية فيها الا اجزاء عارضة تنال قيمتها بقدرما تحتويه من ذلك الكل العظيم ، وكأن الاشخاص والشخوص الفردية فى هذه الصفة عملة الورق التى لا قيمة لها بذاتها ، ولا بالذهب الذي تمثله ، ولكنما قيمتها الصحيحة بالجهد الحى الذي تساويه والثروة العينية التى تدل عليها » .

ان جهود العلماء ورجال الفكر متساوية الى حدما ، بل ان اطار الفكر الانسانى هو اكثر شمولا واتساعا ، وربما كانت سرعة التغير فى العلوم التطبيقية هى التى طمست على هذه الحقيقة ، لان مثل هذه العلوم السريعة للتغير مستعدة لها اكثر من غيرها مما ينتجه العقل البشري . فقد ينسخ بعضها البعض الاخر ، وقد يحل محله ، وقد يلغيه فيستغنى عنه ، كما وقع فى الانتقال من السفينة الشراعية الى السفينة البخارية ثم الى السفينة التى تسيرها الطاقة الذرية .

لذلك يجب الاحتفاء بالفكر الانساني ورعايته حتى لا يظل كالبذرة البعيدة عن تربتها ، عطشى لا يلقى اليها اهتمام . والتعامل مع الفكر من أهم الخطى الحضارية ولذلك نجد الغربيين يعتنون حتى بالافكار الساذجة البسيطة العفوية التى تصدر عن اطفالهم ، على حين اننا لا نفعل ذلك نحن ، بل نسخر من ذلك ناسين أو متناسين أن تراثنا يقول : « خذ الحكمة ولو من افواه الصبيان » أو « تعلموا الحكمة ولو من افواه المجانين » أو « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها » . فالفكرة ايا كانت ، ومهما كان مصدرها ، تعتبر صورة لتجربة او تعبيرا عن خبرة او جزءا من المعرفة ، موضعها من العلم كموضع القطرة من النبع ، او الماء البكيء من النهر .

ان كثيرا من المصطلحات العلمية وارد فى كتب اسلافنا توفر علينا كثيرا من عناء البحث لايجادها من جديد ، وان ما كتب او قيل عن العلماء العرب القدماء لا يكفى ، فانه لم يزل فى البحر من السمك اكثر مما أخرج منه ، والاكتفاء باللقمة الجاهزة تزيد من ضراوة الجوع ، والمحمود ان ننهل من معين قدمائنا ، ونقرأ ما كتبوه باقلامهم وخطوه بيراعهم ، فكتاب الحيوان مثلا للجاحظ ، وحياة الحيوان للدميري ، وعجائب المخلوقات للقزويني ، وغير ذلك من الكتب العربية القديمة ، تجمع الى جمال العبارة حسن الوصف ، وروعة السرد ، وبها عبارات تعبيرية بديعة ومصطلحات تعوزنا الحاجة اليها اليوم فى عصرنا الحاضر المتسم بالنهضة الشاملة فى شتى حقول المعرفة زيادة على ما فى ذلك من احياء للتراث وبعث له ، وانه ما من امة رغبت فى الخير ، وحرصت على ان تنال حظها من الحياة ثم سلكت لذلك مسلكا يقطع صلة ما بينها وبين ماضيها الا ضاع سعيها وتقطعت بها الاسباب

ومما لا شك فى اهميته ورجحانه ان تجمع النصوص المترة مما كتبه علماء العرب وخصوصا المتادبون منهم ، فى القديم والحديث ، ومما ترجمه الذين اتفق الناس على فضلهم وعلمهم ، للقدوة والاقتداء ، وتفجير مكامن الابداع ، لان فى مثل هذا العمل ما يجعل النشء يستشعرون الامجاد،ويطعمون الاساليب ويتفاعلون بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، ويتعرفون على أرومتهم وأصولهم فيدركوا ادراكا عميقا ان الانسان كلما زاد معرفة بتاريخه زاد معرفة بنفسه ، وكلما زاد فهمه لماضيه زادت قدرته على تصور مستقبله ، وليدركوا ايضا اننا لا نخرج من ابنائنا احجارا متحجرة لا تستطيع التعبير عما تلقته من علوم ، أو تنظر الى اللغة على أنها وزر ينقض الظهر او الى الادب على أنه ترفيه ثقافي .

محمد حمـزة ـــ الرباط

اقـــرأ فى العـــدد التاســع

- نظرية الاصلاح الاجتماعي عند تــاج الديـــن السبكـــي . . . . . . للاستاذ فــاروق حمــادة
- مع الشاعر أحمد الصافي النجفي . . للاستاذ محمد بن محمد العلمي
- نشـــاة المسيـــرح المغربـــي . . . للاستاذ محمد العلمي حمدان

نماذج من الدعاة :

أبو حامد الغرناطي

للاستاذ اسماعيل الخطيب

انك لتعجب بعد ما تقرأ رحلة ابى حامد الغرناطى وتطلع على ما قام به هذا الرجل ــ كيف انه ظل الى الان غير معروف الا عند الباحثين والمتخصصين وجمهور محدود من القراء بينما هو لا يقل عن غيره من الرحالة المغاربة من حيث الاطلاع وسعة الرحلة بل هو يزيد عليهم ، اذ لم يكتف بالفرجة والسياحة بل كان قبل ذلك داعية اسلاميا من طراز فريد .

ورحالتنا هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسى الغرناطى ، ولد بها سنة 473 هـ وبها نشأ ودرس على مشايخ عصره وبلده وقد عرف بالذكاء والتدقيق فى الملاحظة ، ولم يصل الى سن السابعة والعشرين حتى غادر بلاده الاندلس فى رحلته الطويلة فى المشرق الاسلامى والذى لم يعد منه حتى وافاه الاجل .

رحل حوالى سنة 500 هـ واتجه نحو المغرب الاقصى ودخل سجلماسة ثم انتقل الى تونس وركب البحر منها الى الاسكندرية ، وبها اخذ عن ابى عبد الله الرازي وابى بكر الطرطوشى ، ومنها رحل بعد عام الى القاهرة وظل بها حتى عام 515 ثم اتجه الى دمشق واسمع بها الحديث ، ثم رحل الى بغداد التى سمع بها من ابىصادق مرشد بن يحيى المدينى وابى عبد اللـه محمد بن احمد الرازي .

وبعد اقامة استمرت اربع سنوات ببغداد انطلق فى رحلاته الى هضبة ايران وبلاد التركستان وجنوب روسيا وحوض الفلجا وشرقي اوربا . فى رحلة طويلة كان له فيها دور كبير فى التعريف بالمغرب والاندلس ، وقد كان يشعر ــ كشعورنا اليوم ــ بمدى الجهل بالغرب الاسلامى من طرف اخواننا فى المشرق ، وعبارته (ومولدي بالمغرب الاقصى بجزيرة تعرف بأندلس فيها اربعون مدينة ومولدي فى مدينة تسمى غرناطة) فيها يتجلى بوضوح مدى ما يشعر به من ان المغرب غريب عن المشارقة لا يعلمون عن حضارته الا القليل .

ولعل هذا الشعور كان من الدوافع التى دفعته الى تاليف كتابه (المعرب عن بعض عجائب المغرب) وما اورد فيه من ذكر اعاجيب خيالية تتنزل منزل الف ليلة وليلة .

وربما كانت لغة التهويل هى الوسيلة لجذب القارىء وتعريفه ، وهو نفسه بعد رواية تلك المغربات يقول « والعاقل يعرف الجائز والمستحيل » على كل حال ، فقد الف ابو حامد كتابه فى المشرق ليعرف اهله ببلاده المغرب لكنه فى كتابه لا يتحدث عن المغرب فقط بل يستطرد لينتقل الى مواضيع مختلفة منها الفلك ووصف بلاد اخرى .

واهم ما فى الكتاب وصفه للبلاد التى اقام بها اكثر عمره التي بآسيا واوربا الممتدة من خوارزم الى سهل المجر « وهو كلام دقيق يعتبر من الاسانيد العلمية التى يمكن الاعتماد عليها فى التاريخ لهذه النواحى ووصف خصائصها الجغرافية سواء كانت طبيعية أم بشرية »

ذاك كتابه الاول ، أما الثانى فهو « تحفة الاحباب ونخبة الاعجاب » وقد الفه نزولا عند رغبة صديقه عمر ابن محمد الخضر الاردبيلى وقسمه الى مقدمة واربعة ابواب :

الباب الاول : فى وصف الدنيا وسكانها من انسها وجنهـــا .

الباب الثانى : فى وصف عجائب البلدان وغرائب البنيـــان .

الباب الثالث فى وصف البحار وعجائبها .

الباب الرابع : فى وصف الحفائر والقبور .

ومن خلال هذا الكتاب والكتاب الاول سنتعـرف على ناحية من نواحى ابى حامد هى ناحية الدعـــوة الاسلامية وهى موضوع هذه العجالة :

لقد كانت الناحية الدينية تستحوذ على اهتمامـه فهو فى أول الكتاب يتحدث عن أمم السودان فيصف مـن احوالهم فيقول « فاوة وتوقو وملى وتكرور وغدامس فقوم لهم بأس وليس فى أرضهم بركة ولا خير ولا دين لهم ولا عقول » وعند ما يتحدث عن بلاد الصين يذكر احترام اهلها للتجار المسلمين وانهم لا يأخذون منهم المكوس ثم يقول : « فيا ليت ملوك المسلمين اقتدوا بمثل هـــذه السياسة الحسنة فهم كانوا احق بها » .

وبطول مقامه بأرض روسيا صار اهلها المسلمون يسألونه فى أمورهم ، ويحكي فى كتابه (التحفة 166 — 117) ما وقع له فى (سجستين) وهى مدينة على مصب نهر الفولجا من ان فقيرا عثر على سوار من ذهب وبحث عن صاحبه فلم يجده فسأل ابا حامد فأفتاه بأنه حلال له، فامتنع الرجل فقال له أبو حامد « أفد به الاسرى من أيدي الترك ففرح وقال : بارك الله عليك فرجت عنى كربـة فقلت : أو ليس هنا من اهل العلم من يامرك بمثل هذا فقال : ها هنا من اهل العلم من يقول : اعطنا اياه نحن نعرف ما نصنع به وانما يريدون اكله ».

واستقر أبو حامد بهذه البلاد طويلا حتى اتخـذ فيها دارا وأولادا ، ويتكلم عن سكانها ومنهم مغاربـة فيقول : « وفى المدينة « أي سجستين» من أمم التجار والغرباء وأولاد العرب من المغرب آلاف لا يحصـــى عددهم » .

وهذه اشارة لها قيمتها لمن يريد أن ينطلق منهـا نحو دراسة هجرات المغاربة الى بلاد اوربا الشرقيـة والوسطى وآسيا الغربية والشمالية .

وقد ذكر أثناء حديثه عن « انقورية » وهى هنغاريا ان بها آلافا من أولاد المغاربة وانهم يعلنون الاسلام ولا يخدمون النصارى الا فى الحروب عكس الخوارزميـين الذين يكتمون الاسلام ويخدمون الملوك .

ويقول : « ولما دخلت بين اولاد المغاربة اكرمونى وعلمتهم شيئا من العلم واطلقت السنة بعضهم بالعربية وكنت اجتهد معهم فى الاعادة والتكرار فى فرائض الصلاة وسائر العبادات واختصرت لهم الحج وعلم المواريث حتى صاروا يقسمون المواريث » .

لا شك ان هذا العمل استغرق منه زمنا ليـس بالقصير وان عمله هذا كان انقاذا — الى فترة — لهؤلاء المغاربة من ضياع شخصيتهم وذهاب كيانهم وقد كانوا عندما اتصل بهم ابو حامد قد بدأوا ينسلخون عن كيانهم بنسيانهم للغتهم واحكام دينهم .

ونلاحظ العزة والانفة التى كانوا يتمتعون بها من عدم خدمتهم الا فى الحروب التى يظهرون فيها بسالتهم واقـدامهـم .

ويذهب حسين مؤنس الى ان هؤلاء المغاربة من الجماعات التى كانت تقوم بالغزوات على شواطىء اوربا الجنوبية وتستقر فى مراكز توالى غزواتها منها لتنطلـق بعد ذلك داخل أوربا تعمل لحسابها الخاص او تدخل فى خدمة الدول القائمة .

هذه وجهة نظر ، ولها نصيب كبير من الصـواب ويبقى على الباحثين واجب البحث عن هؤلاء حتى يتـم التعرف عليهـم .

ولاشك ان المهمة الكبرى التى اضطلع بها أبـو حامد هى انقاذه لهؤلاء الآلاف من المغاربة ونشـره للاسلام بينهم من جديد ، وكان من نتيجة ذلك كما يقول : « فعددهم اليوم أكثر من عشرة آلاف وكان يخطـب فيه يوم الجمعة ظاهرا وباطنا لان ولايتهم عظيمة » .

وقد ارتفعت مكانته هناك « فكان بمثابة الرئيـس الروحى للمسلمين » يدافع عنهم ويتوسط بينهم وبـين ملك باشغرد . ومن ذلك ان أبا حامد لما راى بعـض المسلمين يشربون الخمر دعاهم الى تركه واباح لهـم الجوارى واربعة من الحرائر ، وقد استجابوا لدعوته

مما جعل الملك ينكر عليه دعوته ويقول له : ليس هذا من العقل لان الخمر يقوي الجسد وكثرة النساء تضعف الجسد والبصر ودين الاسلام لا يكون على وقف العقل.

فكان من جواب ابى حامد ان النصرانى يشرب الخمر على الطعام بمنزلة الماء فلا يسكر والمسلم اذا شربه فهو يطلب السكر فيذهب عقله فيزنى ويقتل ويكثر ويبيع سلاحه وفرسه فان أمر بالغزو فلا يجد سلاحا واما الجوارى والنساء فان أولاد الجنود جنودك والخير فى كثرتهم .

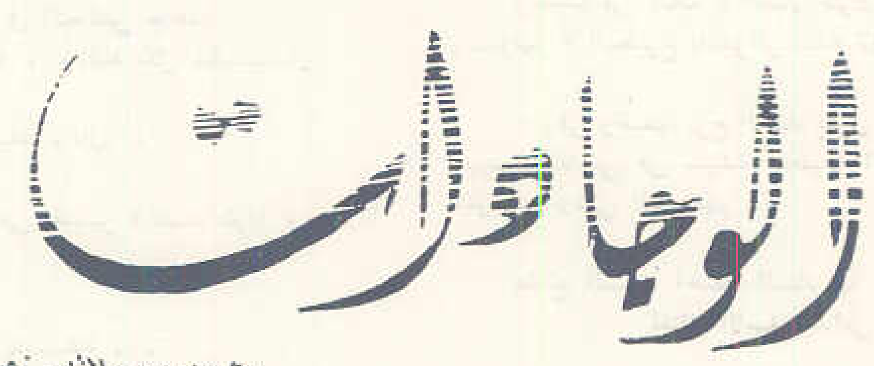
وهكذا — بحيلة — استطاع ابو حامد ان يمنع المسلمين من شرب الخمر وذاك اسلوب فى الدعوة نهجه فى بلاد بعيدة عن المراكز الاسلامية وتحت حكم غير المسلمين .

وبعد عمر طويل توفى أبو حامد سنة 565 بدمشق وهو فى الثانية والتسعين من عمره .

تطوان — اسماعيل الخطيب

من موضوعات العـدد القـادم

- **المثقـــف الوطنـــي . . . . للاستاذ محمد حمادي العزيز**
- **أبجديـــة متطـــورة . . . . . للاستاذ عدنـان الداعــوق**
- **القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو . . عرض الدكتور محمد عبد المنعم خفـاجـــي**



للأستاذ : عبد القادر زمامه

735 — التوحيدي يتحدث عن الادب الاندلسي .. !

وجدت ابا حيان التوحيدي فيما كتبه عن الصاحب بن عباد وابن العميد في كتابه : « اخلاق الوزيرين » ص 397 من طبعة دمشق سنة 1965 م يقول :

« ... فقلت انشدني الاندلسي ابو محمد لبعض شعراء المغرب بيتا ذكر فيه أشياء زعم انه لا حقيقة لها ... ! فقال : وما ذاك البيت ... ؟ فانشدته .. :

الجود والغول والعنقاء ثالثة
أسماء اشياء لم تخلق ولم تكن

فقال : اوفي المغاربة من له هذا النمط ... ؟

قلت : سالته عن هذا فقال لي :

— في المغرب من يقدم نثره على نثر ابراهيم بن العباس الصولي ... ! ويقدم نظمه على نظم ابي تمام !

فقال : فهل روى لك غير هذا ... ؟

قلت : نعم ... ! انشدني لشاعر لهم يعرف بأبي بكر محمد بن فرج بن طفيلي يعرف بابن الامام .

افديك من متوجد غضبان
حتى يلوح له ضباب دخان

يقتاده شم القتار بانفه
مثل اقتياد النجم للحيوان

وعلا الدخان «بشت طولة» مربيا
يبدي كمين مطابخ الاخوان

وبحانة الملهين جاسوس له
ينبيه اين تناكح الزوجان

صب الى الطوفان مرتاح الى الـ
جولان . مضطغن على الخلان

فترى الاماميين حول ركابه
كالخيل صائغة ليوم رهان

لو يسمعون باكلة او شربة
بعمان . اصبح جمعهم بعمان

زار الفتى القرشي لا لتعهد
منه . ولا شوق الى لقيان

حتى اذا وضع الخوان تساقطوا
نهما عليه تساقط الذباب

ورايته من بينهم متمخطا
فى لقمة كتخمط السكران

لم ينصرف الا وفي أكمامه
حمل . وفي أعفاجه حملان

واخو ثقيف فر منه قاصدا
جيان . لو اغنت قرى جيان

لو حل في نجران لم يبعد على
عزمات نيته مدى نجران

كالموت تسعى في التخلص جاهدا
منه . وتلقاه بكل مكان

فعجب من الابيات وقال :

— ما ذا قال لك في تفسير « شت طولة » ... ؟
فقلت :

— زعم انها بليدة ...
قال :

— فما جيان .... ؟
قلت :

— زعم انه مكان يعرف هكذا ...
قال :

— اكتب الابيات وادفعها الى « نجاح » وكان خازن كتبه ..... !

736 — الحوات يتفجع من غزو مصر ... !

وجدت في منظومة لابي الربيع سليمان الحوات هذين البيتين يشير بهما الى الغزو الذي قام به نابليون في بلاد الكنانة .... ! ووصل صداه الى المغرب ... !

« فيا معشر الاسلام مدوا أكفكم
الى الله بالشكوى عسى يحلل الوعر

ولا تغفلوا بل استعدوا بقوة
وهل اخذت الا بغفلتها مصر »

737 — يشق ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « ايراد اللال من انشاد الضوال » لابن خاتمة :

« **يشق** : لفظة عامية .. يطلقونها على الذي يعقد به اللبن ... ! والعرب تسميه الانفحة بكسر الهمزة . والحاء المخففة والمشددة .. ! »

738 — ابن حبوس وفتح المهدية

وجدت في كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » المطبوع بالجزائر سنة 1927 م ص 9

« وفي وضعها برج الاسد يقول أبو عبد الله ابن حبوس الفاسي في سيدنا الخليفة الامام الاول امير المؤمنين رضي الله عنهم :

بطالع السعد اختط البناء بها
لكنك الاسد الدامي الاظافير»

939 — ان الدخيل على البهائم يعرف ... !

وجدت في كناشة صديق عزيز :

« .... ومما قاله الشاعر الشريف الظريف سيدي عبد الملك البلغيثي :

اصبحت في صف البهائم راتعا
ارجو السعادة حيث لا تتخلف

قالت وقد شملت سواي بثوبها :
ان الدخيل على البهائم يعرف »

740 — في حديقة أبي الجنود ...

ووجدت في الكناشة المذكورة ...

« ... ومما انشده الاستاذ مولاي أحمد الشبيهي في جنان السبيل بحديقة أبي الجنود بفاس هذه الابيات :

« بابي الجنود حديقة الافراح
تنسي الهموم وصولة الاتراح

فدع الشواغل واقصدنه عشية
واصحب كتابك او انيس مراح

واستنشقن عرف الازاهر واقرين
من جدولي وادي الجواهر صاح»

741 — الذراع الرشاشية ... !

ووجدت في الكناشة المذكورة كلاما يتعلق ببعض آثار تاريخية بفاس :

« ... ومنها الذراع المثبتة بسوق العطارين من فاس المقيسة على الذراع الرشاشية التي بسارية من جامع قرطبة ... !

« والرشاشية مقيسة على الهاشمية التي بمصر من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .... ! »

742 ـ رزق مرخم ... !

ووجدت فى الكناشة المذكورة ...

« وانشد بعضهم فى رزق العلماء ...

العلماء كلهم من سادا
او لم يسد لم يبلغ المرادا

فرزقهم « مرخم » منادى
«كيا سعا .. فيمن دعا سعاذا»

والشطر الاخير مضمن من قول ابن مالك الطائي فى « الالفية »

ترخيما احذف آخر المنادى
كياسعا ... فيمن دعا سعادا

743 ـ كاف الكنوز . وكاف الكيمياء ...

ووجدت فى الكناشة المذكورة :

« وللشيخ احمد زروق فى التنبيه على اصحاب الشعوذة المشتغلين بالكيمياء واستخراج الكنوز ...

« كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا
لا يوجدان. فدع عن نفسك الطمعا

وقد تحدث اقوام بأمرهما
وما اظنهما كانا ولا وقعا »

744 ـ ولا نظرت الى شيء ...

ووجدت فى الكناشة المذكورة :

« ولابن جابر المكناسي :

تالله بعد احبابي الذين مضوا
وخلفوني رهين البث والحزن

ما ابصرت مقلتي من بعدهم حسنا
ولا نظرت الى شيء فاعجبني »

745 ـ تفتحت ابواب ... !

وجدت بخط احد الفضلاء ...

« ... وقال الكاتب ابو عبد الله سيدي محمد المسطاري المكناسي :

« هذه الكساوي خيمت بازائنا
تدعو هلموا ايها الكتاب

فاجابها عنا لسان الحال ان
عطف الوزير تفتحت ابواب »

746 ـ تحتاج للقصار ... !

وجدت فى ترجمة الشيخ عبد الواحد ابن عاشر انه لما حج والتقى مع الشيخ عبد الله الدنوشري . وسأله عن اشياخه ، وذكر له منهم القصار . انشده الدنوشري لنفسه :

قد حاك شقة العلوم ايمة
وكسوا بها بالفضل من هو عاري

رقت حواشيها ورق طرازها
لكنها تحتاج للقصار

والبيتان مذكوران فى « صفوة من انتشر » اليفرني ص 16

747 ـ باذناب البقر ... !

وجدت هذين البيتين منسوبين للقاضي عبد الواحد الحميدي فى طالب كثير الجدال .... !

والبيتان منقولان من نزهة الحادي ص 146

« وصوت عثمان لدى المجالس
كصوت بلبال من العتارس

ليس له فهم ولا له نظر
جزاؤه الضرب باذناب البقر »

748 ـ لمـــا بــــه ... !

وجدت فى مصورة كتاب « الفتـــوح » لابـــن الاعثم الكوفي . وهو من رجال القرن الثالث الهجري، رسالة ، كتبها سعيد بن العاص الى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . جاء فيها :

« ... وان الاشتر كان بينه وبيـن صاحـب شرطتي كلام ومراجعة فى شيء لا اصل له . فاغرى به الاشتر سفهاء اصحابه واشرار أهل المصر . حتى وثبوا عليه وانا جالس فضربوه حتى وقع لجنبه .. !

وهـــو لمـــا بـــه ... !!

749 ـ من شعر ثاني ملوك بني الاحمر .... !

وجدت في مخطوطة « ديوان الصبابة » لابـــن ابي حجلـــــة .

« قال الشيخ أثير الدين أبو حيان :

كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطـان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس . جميلا ، حسـن السياسة متظاهرا بالدين . رأيته مرارا بغرناطة ..! وانشدته شعرا ... ! وحضرت عنده انشاد الشعراء .. ومن شعـــره :

ايا ربة الخدر التي اذهبت نسكـي
على اي حال كنت لا بد لي منـــك

فاما بذل وهو اليـــق بالهــــوى
واما بعز وهو اليـــق بالملـــــك

750 ـ بين العود والخشب ... !

وجدت فى التقريظ الذي كتبه ابو عبـــد الله عبد السلام بن أحمد العمراني لكتاب الدرر البهية فى آخر الجزء الثاني منها هذين البيتين :

« فان فطنتم للحن القول بأن لكم
فضلي . ودلكم طلعي على رطبي

وان شوهتم فان العار فيـه على
من لا يميز بين العود والخشب »

فاس : عبد القادر زمامة



بمناسبة ذكرى 20 غشت :

الزبرقان

للأستاذ احمد زياد

لا اعرف من سماه بهذا الاسم او لقبه بهذا اللقب العجيب والظريف ، ولا ادري اين هى الصلة الوثيقة او غير الوثيقة التى تربط بين شخصية الزبرقان التاريخية وبين صاحبنا الذي كنا نحن جماعة من المناضلين نسميه « ببولحية » أكثر مما كنا نطلق عليه اسم الزبرقان ، أما اسمه الاصلي او العائلي « على » فلم يكن يناديه به احد ، لانه لم يكن ليدل عليه ولعله هو نفسه اخذ ينسى أن اسمه على . ولئن كنا اصطلحنا على تسميته « ببولحية » فان هذا الاصطلاح ظل فيما بيننا نحن الاقلية، ولم يكن لنا بد من ان نناديه شخصيا ومع الآخرين باسم الزبرقان تمشيا مع الاغلبية .

كان طويل القامة فى هزال طبيعى ، ذا عينين نافذتين وان كانتا ضيقتين ، ينبئان عن ذكاء فى شكل دهاء ، اغرب السيمات فى تقاسيم وجهه الذي كان فى حجم كرة بيضاوية الهيئة ، انك لا تستطيع ان تميز بين حالتى العبوس والطلاقة فى معالمها ، كما انه كان من الحرج ان تسأله عن حل هذا اللغز المحير فى شخصيته اضف الى ذلك انه كان قليل الكلام وقليله جدا .

حتى انه لم يكن يتكلم الا اذا كان مضطرا اضطرارا ولشدة رغبته فى الايجاز والاختصار وهيامه بحكمة الصمت الذهبية فان الزبرقان كان يفضل احيانا اشارة براسه او بيده سلبيا او ايجابيا على تحريك لسانه ولو « بلا » أو « نعم » وبدون شك فان صاحبنا لم يكن عييا ولا مندرجا فى « حزب باقل » العربى الذي كان العرب القدماء يضربون بفهاهته المثل الذيأصبح سائرا فيما بعد ، وانما كان اقتصاده الكلامى يكون صورة من صور ذكائه ودهائه ، ولكن ما هو المستوى الفكري لهذه الشخصية التى يظهر انني حريص على ان اعمق صورتها فى ذهن القارىء تعميقا ؟

انه لا يعدو مستوى مدرر القرية وهى « وظيفة» كان ما يزال الزبرقان — بلغة الاغلبية وبولحية بلغة الاقلية — يشغلها فى أول مناسبة تعرفت عليه فيها ، وفاتنى أن ابرز صفة أخرى من صفاته وهى الكتمان ذلك انه كان بحق وحقيق بئرا عميقا باسراره وباسرار غيره ، ولهذه المميزات كلها فان بعض الاخوان من ذوي الفراسة التى لا تخطىء رشحوه للقيام بمهمة خطيرة وجسيمة وحساسة ، وهى مهمة يمكن نعتها ووصفها بالاستخبارية ، التي تعني بلغة العصر الجاسوسية وضدها ، ومع أن هذا الاسم يبدو كبير الحجم بالنسبة لصاحبنا ، فانه استطاع ان يضطلع بالمهمة ، وذلك بالرغم عن الظروف الصعبة التي كان يعيشها المغرب وخصوصا من بداية سنة 1950، وهى السنة التى احتدم فيها الصراع بين السلطات الاستعمارية والقوات الحية فى البلد ، وفى طليعتها محمد الخامس قدس الله روحه لتبلغ ذروته سنة 1953 . ففى تلك الظروف التى نشطت فيها اجهزة التجسس الاستعمارية واصبحت تحصى الانفاس على كافة المناضلين عبر كافة أنحاء المغرب كان ولابد للحركة الوطنية من ان تأخذ حذرها وتبذل كل ما فى وسعها لامتلاك المعلومات تفاديا لمفاجآت

واحترازا من الوقوع فى فخاخ الدسائس والالغام الى جانب الحصول على ما يساعد على كشف خيوط المؤامرة الكبرى التى كانت تدبر يومئذ وتعريتها فى الخارج امام الراي العام العالمى ، وهى معززة بالوثائق والمستندات والوقائع المضبوطة .؟

وحين قدم لي الزبرقان شخصيا وتاملت ملامح وجهه ثم حادثته بشيء من التطويل ، ليجيبني بجمل وكلمات برقية مختزلة ، آمنت بفراسة صديقي الذي كان قد بادر الى ترشيحه للمهمة وبقدر متزايد من الحماس .

الا انه كان على المسؤولين فى جهاز « المخابرات الوطنية » فى تلك الفترة أن يحددوا الرقعة الجغرافية التى يمكن لصاحبنا ان يمارس نشاطه فيها بحيث تكون مضبوطة ضبطا دقيقا ومناسبة وملائمة لشخصية صاحبها وسرعان ما اندهش المسؤولون وهم بصدد افتتاح النقاش فى هذا الموضوع حينما ورد من صاحبنا طلب الكلمة عن عجل ، وسرعان ما كانت دهشتى اكبر واعظم حينما قال الزبرقان انه رهن الاشارة ليقوم بأية مهمة تسند اليه ، الا انه يحبذ أن يكون ميدانها معروفا لديه او قريبا من الميادين والجهات التي يعرفها جغرافيا ويلم الماما كافيا او مناسبا بعاداتها وتقاليدها ويا حبذا ان تتاح له الفرصة ليظهر مواهبه فى منطقة الجنوب ، ولم يكن بد من الاستجابة لرغبته هذه ، وعلى الفور واللذو ، بدأ الزبرقان يمارس مهمته التى كان يعتبرها بعض المسؤولين الوطنيين مجرد تجربة قابلة للنجاح مثلما انها قابلة للفشل ، فى حين ان الزبرقان كان يعتقد فى قرارة نفسه وطبقا لما كانت توحى به ملامحه البليغة فى الاعراب والتعبير عما يجول بخاطره ، انه يضطلع بهذه المهمة .

وبما ان الوضعية السياسية فى تلك الفترة وبداية من سنة 1950 كانت فى الاشهر الاولى من حملها للازمة الخطيرة التى تمخضت عن مولد سفاح فى سنة 1953 فقد كانت تتطلب الكثير من الحذر والاكثر من التحري والاستعداد لجميع الطوارىء التى كان الطقس السياسى ينذر بوقوعها ، وينبىء بان ساعتها آتية لا ريب فيها ، وانها هى ساعة الصفر لا غير .

واخذ شريط الاحداث يتوالى وهو يحمل فى كل اسبوع وفى كل شهر من جميع انحاء المغرب المشاهد الاولى من تلك المسرحية التى كان يلوح من خلال مناظرها انها ستكون من النوع الدرامى الكوميدي ؟

وسرعان ما انغمر الزبرقان، «وغطس» فى خضم الاحداث و « تخصص » فى ناحية الجنوب ليفجر فيها عنصر عبقريته ، ويشاء المخطط الاستعماري فيما بعد ذلك وخلال عمليات التمع وعواصفها الهوج التى اجتاحت البلد وهى غاضبة حانقة سنة 1953 ، ان تكون منطقة قواعد لمعتقلات سياسية رتبت سلالمها سلطات بونيفاس ترتيبا كان ولا شك حصيلة فتاوي فقهاء السياسة الاهلية ، فكان نصيب بعض المناضلين فى هذا المعتقل ، ولم يكن فى ذلك بينما كان مصير آخرين هذا السجن دون ذلك ، فلم يكن بد والحالة هذه من ان يعانى المناضلون عزلة خانقة خصوصا وان الخطة اعتمدت تصدير المعتقلين الذين ينتمون بحكم مساقط رؤوسهم الى الشمال ، « وتوريد » الشماليين الى نواحى الجنوب ، وكان الزبرقان فى هذه الظروف قد « ارانا حنة يديه » وتحدى فى صمت بعض الاخوان الذين كانت سيماهم فى وجوههم ، تعبر عن شيء من الشك والتحفظ ، اذ ما كادت سنة 1952 تطل براسها وعواصفها الهوج فى شهر دجنبر من تلك السنة حتى كان الزبرقان يتوفر على « مصالح استخبارية » فى العديد من جهات الجنوب بداية من مراكش الى اقصى نقطة فى اكادير ، وما ان صدرت اليه التعليمات بمحاولة الاتصال بالمعتقلات ومعرفة ما يجري بداخلها واسماء من هم محتجزون فيها ، حتى بادر الى تحريك اجهزته وشبكاته فى كل اتجاه ، ودارت الايام لتظهر انها اجهزة وشبكات ذكية ونشيطة ، فبالرغم عن الحصار الذي كان مضروبا عن المعتقلين فرادى وجماعات ، وبالرغم عن نوعية العزلة الفريدة من نوعها ، فان اعوان صاحبنا الزبرقان وعيونه الراصدة واطره ذات الكفاءة قد استطاعت ان تكتسب لها عيونا واعوانا داخل المعتقلات نفسها ومن حراسها فى اغلب الاحايين ، وسرعان ما اخذت حصيلة محترمة من البريد تصل الى المركز العام اما عن حالة المعتقلين وظروف معاشهم وانتمائهم الجهوي مع اسمائهم طبعا، واما فى شكل تقارير عن الوضع فى تلك الجهات .

وبمرور الايام لوحظ ان هيمنة جهاز مخابرات الزبرقان تزداد على جميع « القنوات » التى ترتبط بقواعد المعتقلات على اختلاف مواقعها فى الجنوب ، بل ان هذه الهيمنة قد تجاوزت ما لم يكن يتصوره احد حتى اولئك الذين لم تساورهم الشكوك اول الامر فى قدرة الزبرقان وكفاءته وموهبته ، ذلك ان اجهزة تلك « المخابرات » كانت تتسبب فى وقوع « انقلابات » داخل المعتقلات تنتهى بابعاد تشكيلة الحراس او البعض

منهم كلما توجست خيفة من سلوكها ، وهي «انقلابات» كان بعض المراقبين المدنيين من حكام الدوائر والملحقات يساهمون فيها تارة « شاعرين » ، واخرى مساقين ؟

وهكذا فقد نشطت حركة الصادر والوارد من المعتقلات ولم يكن بد من انتهاج أسلوب « الرقاصين» الذين كانت تناط بهم مهمة تبليغ الرسائل في المغرب قبل بزوغ عهد المواصلات الحديثة .

ولم نكن نبحث في التفاصيل وكيف يصل « الوارد» و « الصادر » من الرسائل المتبادلة فيما بين الوطنيين المعتقلين والقلة القليلة ممن اخطأتهم مناجل الحصاد في عملية قمع حصادي ، الا انه كان شتويا على غير قياس في مواسم الحصاد الصيفي .

لم نكن نبحث ولم نكن نستفسر لا « الرقاصين » ولا رئيس الجهاز الاستخباري وعميده الزبرقان ، لاننا كنا نعتبر ان ذلك من « أسرار المهنة » .

ولمدة تقرب من السنتين استمر نشاط ذلك الجهاز وكان يظهر من خلال قرائن الاحوال وارتفاع « الوارد » الى درجة اصبح معها ميزان مدفوعات « الصادر » من طرفنا تعاني عجزا ، بل اننا اصبحنا مدينين في بعض الاحيان للمعتقلين الذين عادوا يلحون على تسديد الديون باخبارهم باي شيء ، خصوصا حينما اقترب موعد وقوع الواقعة في شهر غشت من سنة 1953 واخذ الافق السياسي يزداد تجهما واكفهرارا ، وكل سيمة من سيماته تنذر بقرب انفجار الصاعقة التي كانت نشرة أحوال الطقس السياسي تتنبأ بها .

وظروف خاصة كهذه كانت تقتضي الزيادة في الاحتراز والتحري ، وهذا ما اشعر به الزبرقان وهو في رحلة من رحلاته الباطوطية عبر نواحي الجنوب ، ومع ذلك فانه ابى الا ان يقطع رحلة من رحلاته بعد ان تلقى التعليمات التي تفيد الرفع من حالة الطوارىء حتى القمة ، ويقدم بنفسه الى المركز العام ، ليتعرف بالضبط على ما يمكن عمله في حالة ما اذا « وقعت الواقعة » وانفجرت العاصفة .

ولاول مرة سنحت لي الفرصة ان انفرد بالزبرقان واسهر معه في ليلة باكملها في منزلي فتح لي قلبه فيها وحدثني احاديث ذات شجون عن مغامراته واساليبه في العمل ، ولاول مرة اكتشف في الزبرقان خصلة سماها المرحوم علي عبد الرازق « بالعبقرية العملية » ولاول مرة رايت الزبرقان وهو يتحدث اكثر مما يسمع على خلاف عادته ، ولاول مرة رايته يحلل الوضع السياسي في المغرب تحليلا علميا يربط بين المعطيات في الحاضر . ونتائجها في المستقبل على المدى المنظور ، ويصنف العناصر التي يتالف منها الهيكل السياسي تصنيفا دقيقا ، ويحفر لكل منها مجراه في ساحات الاحداث ومساربها ودوربها ، ويترصدها من المنبع الى المصب ، الامر الذي جعلني اصاب باندهاش كان ينقلني هنيهة بعد اخرى الى حالة من الذهول ، ثم اخذ يقص على بعض الوقائع من مغامراته واساليبه في التبشير الوطني والتوعية السياسية وتعميق مشاعر النضال في المواطنين .

ولئن غابت عن الذاكرة او امحت بعض تلك الوقائع فان واحدة منها ما تزال تتراقص في مخيلتي ولم تستطع السنوات التي مرت عليها ان تحجبها ، وان كانت العناكب الزمنية قد نسجت خيوطا شفافة حولها.

حدثني الزبرقان فقال :

كان من بين المعتقلين صديق عزيز علي ، وكنت على احر من الشوق لرؤيته بل ان رؤيته اصبحت امنية عزيزة هي الاخرى .

ومع ان الرسل كانت تسير بيني وبينه ذهابا وايابا وفي منتهى السهولة الا ان هذه الحالة لم تكن لتشفي غليلي ، وتحت الحاح من شعور باطني اخذت اضع المخطط وافكر في التراتيب لزيارته في معتقله .

ولما فاتحت صحابي في هذا الامر لم يخفوا تحفظهم ، وان من خلال ملامح وجوههم ، وبما انني كنت مصرا على تحقيق تلك الامنية فقد طلبت منهم وبشيء من الاستجداء ، الذي لم يكن من طبعي ، والذي اصطنعته اصطناعا مسايرة لمشاعري ، ويظهر ان صحابي قد اقتنعوا ، بعضهم على امل ، وبعضهم على مضض ، ولم يكن المعتقل بوضعه الجغرافي ليجعل من تحقيق الامنية امرا سهلا ، ذلك انه كان منعزلا وعاريا ولا تفصله عن مركز الحاكم الفرنسي سوى ساحة صحراوية الشكل بينما لم يكن حراسه كلهم سابحين في الفلك الزبرقاني « وجهازه الاستخباري » بالرغم من سعة هيمنته على العدد العديد من رجال الحرس على اختلاف انتماءاتهم الاقليمية ولهجاتهم التخاطبية .

ونظرا لاهمية المغامرة وخطورتها فقد التأم « مجلس حربي » بعيدا عن الاعين حيث جرى اخذ ورد ونقاش عميق ومعمق واستعراض لجميع الملابسات والاحتمالات ، ووضع العديد من التساؤلات السلبية

ومقابلها من الاجوبة الايجابية ، واخيرا حصل الاتفاق على خطة كانت هي وحدها الكفيلة بتحقيق أمنية صاحبنا وكانت خطيرة ورهيبة في اعدادها ، واكثر خطورة ورهبة في تنفيذها ، وتتلخص في ان يتولى الزبرفان نفسه دورة الحراسة في المعتقل في ليلة الاحد ويقوم مقام الحارس الرسمي الذي كان لحسن الصدف يشبهه في عينيه الضيقتين ولحيته المسدولة ولونه القمحي وقده في الطول كما في العرض على السواء .

الا انه كان ولابد من ان تجري عملية تمرين على دور الحارس قبل القيام به فجرب صاحبنا « اللبسة الرسمية » للحارس بسترتها وبنطلونها الفضفاض وحزامها الجلدي ذي اللون البني ، وعمامتها الصفراء. وحمل البندقية واخذ يجربها بناء على تعليمات من « الحارس الاصلي » رفعا وخفضا مع ترديد ما يلزم من كلمات السر الاخرى ، حتى اذا اجتاز هذا الامتحان بنجاح ، وضعت عليه اسئلة كان يجيب عليها ويزيدها من افكاره وتحاليله التي كانت تفترض المآزق لتجد لها الحلول اللازمة .

وحل اليوم الموعود وحلت الليلة الليلاء واختيرت ليلة الاحد لان الحاكم الفرنسي وخليفته غالبا ما يقضيان « الويكاند » والعطلة ، اما في عاصمة الملحقة او في عاصمة الناحية ، ومنذ الصباح الباكر والاعين الراصدة ساهرة على كل حركة للحاكم وخليفته وطباخيهما وحراسهما وانصرم النهار باكمله واقبل الليل ليحط بكلكله فوق ذلك الموقع الصحراوي ، الا انه لا الحاكم ولا الخليفة لم يغادر منزله ، الامر الذي يدل على انهما آثرا قضاء العطلة في عين المكان ، وهو احتمال كان واردا ووقعت دراسته خلال انعقاد « المجلس الحربي » الا انه كان مستبعدا أكثر مما كان محتملا ، والآن وقد أصبح واقعا وبما أن الواقع لا يرتفع فما العمل ؟ وبدات الاتصالات الاستعجالية تجري فيما بين الاطراف المعنية ، في موضوع هذه الحالة ، وهل يحسن تاجيل العملية ، ام لابد من السير فيها قدما الى النهاية ، ولكي لا يفاجأ صاحبنا بموقف « رجعي » من طرف جماعته فانه بادر الى استخدام جميع وسائل الاقناع ، وكان اسلوبه في اقناع اولئك الناس عجيبا وغريبا وساحرا على ما حكى لنا ، حتى ان تجاوبهم الروحي معه كان اعجب واغرب ، ومن ضمن ما استخدمه واستدل به : مطاردة كفار قريش للنبي صلوات الله عليه وسلم وابي بكر وهما في طريقهما من مكة الى المدينة ، وكيف اختبئا في الغار وما كان من امر وقوف المطاردين على حافة الغار نفسه ، وكيف ان الله سبحانه أعمى ابصارهم .

وبما ان الناس في ذلك الوقت وحتى الموظفين وصغارهم كانوا يستجيبون لمثل هذا الاغراء الروحي بنفس القدر الذي اصبح فيه الناس اليوم يستجيبون للاغراء المادي فانهم قد اقتنعوا ، وتقرر السير قدما في تنفيذ الخطة .

وهنا توقف صاحبي ليلتقط انفاسه باحتساء جرعة أو جرعتين من كاس الشاي الذي كانت درجة السخونة فيه في انخفاض ، اما انا فلم اشعر الا ووجدت نفسي استعجل الزبرفان في مواصلة حديثه ، لانني كنت اشعر وكانني اتتبع قصة من مغامرات ارسين لوبين ، وبعد ما رد علي بابتسامة مشرقة يشع منها نور الايمان الذي طالما لاحظته في ملامحه ، واصل حديثه .

وما ان حلت الساعة الموقوتة حتى كنت بداخل المعتقل متأبطا بندقيتي متحليا ببزتي ومعمما بعمامتي، ومنتعلا نعلتي ومتمنطقا بحزامي الجلدي البني ، والى جانبي مساعدي في الحراسة وكان اسمه ويا لعجب الاقدار ، « امان الله » ، حتى اذا لف السكون الموقع وما جاوره وان كانت الانوار ما تزال تنير في مسكن الحاكم دالة على انه يقضي سهرة ساهرة ، اقتحمت الباب على صديقي العزيز ، فظن انى حارسه الليلي ، وبكل يقين فانه كان ما يزال يراود نومه على نفسه فوقف مرعوبا وهو يردد ماذا حدث ؟ ذلك لان الجميع وحتى المحتجزين في السجون والمعتقلات كانوا يتوقعون الحدث المخيف ويترقبون العاصفةبعد ما كانوا يعيشون رياحها الهوج .

وهدات من روعه وحرصا على الوقت الثمين فلم اتاخر عن التعريف بحقيقة هويتي ، وتداخلنا في عناق طويل ثم فجرنا همومنا واحزاننا وشجوننا في احاديث طويلة كانت تنتهي في مجموعها بعلامة استفهام حول الواقعة المنتظرة وما بعدها ، وما هو العمل فيما اذا وقعت الواقعة وانشقت الازمة ليجرع الاستعمار الشعب كاسا حتى الثمالة ، وبعد دراسة مستفيضة للمشاكل والحلول ودعت صاحبي ، بعد ان رتبت معه « أمورا » كانت تستحق الترتيب ، الا ان الطمع البشري الراسب في النفسية الانسانية والذي شخصه الحديث الشريف في انه لا يملأ بطن بنى آدم سوى

التراب ، استطاع أن يدفع بي دفعا الى زيارة وطني آخر كان يقيم في نفس المعتقل ، وان كانت معرفتي الشخصية به غير راسخة ولا شبيهة بها ، وبالطبع فان سروره كان عظيما بهذه الزيارة وسر اكثر من ذلك حينما وجدني اتوفر على معلومات عن الوضع في قريته وافراد عائلته وفي هذا الوقت الذي بدأت اشعر فيه بلذة الانتصار في نجاح الخطة اذا بالحارس « امان الله» يقرع علينا قرعا ولكأنه في حالة مطاردة ، ومـا ان فتحت عليه حتى اخذ يردد : الحاكم ، الحاكم، فاسرعت خارجا وانا اردد السؤال ، اين هو الحاكم ، اين هو ؟ فاجاب انه في باب المنزل يودع خليفته وفهمت من اشارته انه سيعرج على المعتقل ، وهو يقوم بمثل هذه الزيارة المفاجأة من حين لآخر ، فلم يسعني الا ان اطلب منه الوقوف في محله خارج الباب على أن ارابط بدوري في داخل المعتقل ، وبما أن الحاكم يجيد اللهجة المحلية فكان لزاما علي ان اتذكر معلوماتي منها حتى لا ينفضح امري وذلك فيما اذا آثر ان يخاطبني بتلك اللهجة .

وتسلحت بالطمانينة الروحية التي تعتبر من اروع الاسلحة في مثل هذا الموقف ، الا ان قلبي كان يدق دقات تحت تأثير الوضع والمشهد على السواء وبعد حين ترامى الى صوت الحاكم وهو يخاطب رفيقي وصاحبي بكلمات لم يصلني منها الا هذه العبارة : عساس كل شيء مزيان ؟ « صحيت » بفتح الصاد وتشديد الحاء مع كسرها وسكون التاء ؟

فاخذت اتأهب للامتحان ، ويا له من امتحان ، وقفت وقفة عسكرية كتلك التي تمرنت عليها فيما قبل، ومسكت بالبندقية ، وعدلت من العمامة وتفقدت الحزام وتأملت مرة اخرى الوضع في رجلي ، وهل هو كما يجب أن يكون ، وفيما انا بصدد المرور بهذا الصراط، اذ بأمان الله يطل علي من الباب الخارجي بوجهه المستدير وعينيه الواسعتين وهو يجر بندقيته ويرسل الضحكات ثم طوقني بذراعيه وهو يمزج الكلام بالضحك مزجا ليخبرني بأن الحاكم اكتفى بسؤاله بعبارته التقليدية ولم يزد عليها : « كل شي مزيان » صحيت ، وتأملته جيدا ولم اشعر الا وانا اقبله واقول له : انك بحق وحقيق : امان الله واسم لمسمى ، وبذلك انتهت مدة دوري في الحراسة لتنتهي معها مغامرة من مغامراتي ، فنقلت راجعا ، وقبل أن اودع رفاقي من الحراس قال لي احدهم يا لعجب ياسي « الفقيه » . وهكذا كانوا يسمونني في تلك الانحاء ، أو لم تكن وقفة الحاكم على عتبة المعتقل وانت بداخله شبيهة بوقفة كفار قريش على الغار الذي حدثنا عن اخبار النبي صلى اله عليه وسلم وابي بكر فيه ؟

فحركت راسي وقلت ان العبد يدبر والقضاء ينفذ يا صحابي . وطوال المدة التي كان فيها الزبرقان يقص على هذه المغامرة كنت انصت اليه بامعان وتطلع وبذهول في بعض الاحيان ، وبمحاولة استكشاف العوامل التي صنعت هذه العبقرية في شخص لا يتعدى مستواه الطور الابتدائي ، وهي عبقرية يميزها الالمام والشمول بمشاكل البلاد والعمق في تحليلها والنظرة العلمية والعملية لابعادها ، حتى اذا وقعت واقعة 20 غشت من سنة 1953 وارغمتنا على الفراق وسار كل في سبيل ، اخذت الانباء تحمل الي في الشهور الاولى التي اعقبت الواقعة ان الزبرقان قد ظهر بخلايا مقاومة منظمة ومؤطرة وهي خلايا كان يقوم على اعدادها خلال جولاته « وسفاراته » ثم توالت الانباء بضروب من بلائه وقدرته النضالية ، كما علمت فيما بعد ان حرصه الشديد على زيارة صديقه العزيز لم يكن بدافع عاطفي صرف ، وانما كانت بغية اطلاعه على مسدسات كان يختزنها صديقه العزيز ويظهر انه علم بمكانها في ليلة مغامراته التاريخية ، ودارت الايام وبزغ عهد الاستقلال وكان طبيعيا ان اذكر صاحبنا الزبرقان وابحثعنه واستفسر عن مصيره ، اذ لم اعثر له على اثر فيما تبقى من القلة القليلة من المقاومين الحقيقيين التاريخيين ، فان كان حيا وحيثما كان فله مني هذه التحية التي تخلد اسمه ونضاله المستميت وجهاده في الله حق جهاده ، وان كان غير ذلك فسلام عليه مع المجاهدين الخالدين ؟

احمد زيـاد

في الفكر الأوربي :

نقد الشيوعية بالمنطق الجدلي

● الفيلسوف الفرنسي المعاصر « ريفيل » يثير الان ضجة عالمية فى المحافل الثقافية ، بكتاب صدر له اخيرا تحت عنوان : « حياة جوزيف ستالين » وهو اليوم موضع حوار دائر فى كثير من الصحف الاوربية والامريكية على السواء .

والفيلسوف الفرنسي المعاصر « ريفيل » يحلل فى كتابه ما سماه النزعة الستالينيـة وعلاقتهـا بالايديولوجية الشيوعية : ثم يعرض نمـاذج مـن السلوك الستاليني الذي جرى تقليـده فى انحـاء مختلفة من العالم ، بما فرضه من طابع الاستبـداد والتصفية والقهـر والطغيان .

ورغم أن « ريفيل » مفكر يساري ، الا انه بكتابه هذا قد أثار حملة من جانب الشيوعييـن ، الذيـن يتهمونه بمحاولة اذكاء الحرب الباردة من جديد ... وهو يرد على ذلك الاتهام ، بأن الحرب الباردة لـم تتوقف ابدا كما يتوهم المخدوعون «بسياسة الوفاق» وأن أى نظام شيوعي يستولى على السلطة سـوف يعطل حتما كل مظاهر الحرية المتوافرة للشيوعيين انفسهم فى ظل النظام الديموقراطي .

ثم يمضي « ريفيل » فى دراستـه للسلـوك الشيوعي من خلال الستالينية ، ويتناول الظاهـرة الجديدة التي يطلقون عليها اسم « الشيوعية الاوربية» والتي يراد بها تخليص الاحزاب الشيوعية من سمة التبعية للاتحاد السوفياتي ، وانقاذ صورتها من طابع الارهاب الذي استقر فى وجدان الجماهير .. فيقول الفيلسوف الفرنسي فى كتابـه ، ان ما يعـد بـه الشيوعيون اليوم فى فرنسا وايطاليا ، من قبولهـم لممارسة الديموقراطية بعد ان تخلوا عن ديكتاتورية البروليتاريا ، انما هو خداع يراد به مجرد الوصول الى السلطة من الطريق البرلماني ، بعد ان فشلوا فى الوصول اليها عن طريق الانقلاب . ويدلل على ذلك بأنهم لا يسمحون حتى الان بأي معارضة فى منظماتهم القائمة بالفعل ، فكيف اذن يسمحون بعد ذلك بوجود المعارضة الحزبية فى البرلمان !

واخيرا يتعرض الفيلسوف الفرنسي لموقـف الشيوعيين من الحريات السياسية وكيف انهم يبررون استبداد النظام الشيوعي القائم فى « بيـرو » على سبيل المثال ، يدعون ان هذا الاستبـداد ضرورة تاريخية على طريق الفردوس المفقود ، بينما هـم يدينون نفس هذا السلوك المماثل تماما فى « شيلي » البلد المجاور ويصفونه هناك بأنه مجرد استبـداد فـاشـي !

وينتهي الفيلسوف الفرنسـي الى ملاحظـة تاريخية مثيرة ، من زاوية « اجتماعية بيولوجيـة » فيقول ان النظم الفاشية سرعان ما تنتهي او تتحول الى الليبرالية فى بعض الاحيان ، بينما النظم الشيوعية التي تشترك معها فى نفس سمات القهر ، لا تكـاد تنشب اظفارها فى مجتمع حتى تطبق عليه من كـل جانب فلا يستطيع منها خلاصا . وهذا فى تقديره ، هو مكمن الخطر فى الجمود الذي يلقي بأثقالـه على مجتمع يرسف فى القيود والاغلال ، وما من وسيلـة امامه للتطور والحركة فى ظل النظام الشيوعي ●

مكتبة دعوة الحق

- نحـــو الادب الاسلامـــي
- المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلاميـــة



نحو الأدب الإسلامي

تأليف: الأستاذ عبد الهادي الفضلي   عرض وتقديم: الأستاذ زين العابدين الكتاني

توصلت من صديق عراقي بكتيب جديد هو العدد الخامس الذي صدر ضمن سلسلة: (من هدى النجف) في موضوع الدعوة: (الى نحو ادب اسلامي) للاستاذ السيد عبد الهادي الفضلي.

والكتاب الجديد من الحجم الصغير يقع في حوالي ستين صفحة تتناول الموضوعات التالية:

الادب الاسلامي في الدعوة الاولى، والادب الاسلامي اليوم، وفنية الادب الاسلامي ومذهبيته ونماذج من الادب المعاصر، والصحافة والادب الاسلامي، والتعليم والادب الاسلامي وخاتمة البحث القيم الممتع الذي يشير الى ابعاد مؤلفه الذي ينظر الى المستقبل بمنهجية ووضوح وتطلع.

والكتاب بصفة عامة يحمل دعوة علمية هادية ... رحيبة الافق ... تتصل بادبنا الاسلامي المعاصر وضرورة التخطيط لصياغة (لاجهزة تعبير. تفتح الطريق امامه الى الاذهان باوسع مجال .. وتعرب عما فيه من اصالة في الفكر والفن وما فيه من جمال في الابداع والعرض)، اذ الفكرة الناضجة لابد لها من ادب يبسط عليها ظلا من روعة الاداء وينفث سحرا من رائق التعبير لتطير به اجنحة الحروف المشعشعة بالانداء فتتعلق بها الاسماع والانظار وتنعطف اليها الارواح والقلوب ...

والذين يخوضون الصراع في معترك الفكر لابد لهم من اداة صالحة البيان ... والا كان مثلهم كمثل من ينزل ساحة النضال بلا عدة للقتال ..

ونعتقد ان الكاتب ـ وهو ممن شاركوا في الادب الاسلامي المعاصر واطلعوا على آفاقه ومشكلاته اطلاع تخصص ومعاناة ـ قد وفق كل التوفيق في الاعداد لهذه الدعوة المبصرة بايضاح خطورة دور الادب في ترويج العقائد والافكار الى جانب دوره في تصوير المشاعر والاحاسيس .. واستعراض ما استطاع الادب الاسلامي في عصر الدعوة الاول ان يفعله في التمهيد لها، وشق الطريق امامها لتستقر في قلوب واذهان ابنائها الاوائل ... ثم في تحليله لعناصر الادب الاسلامي وشروطه ومقوماته. ونقده لواقع بعض مؤسساته المعاصرة...وأخيرا في انتقائه لنماذج عصرية من هذا الادب الاسلامي لبعض من يمثلونه اليوم.

وكما يرى الاستاذ الفضلي فان الادب الاسلامي اليوم كما عاش الاسلام في أيامه الاولى صراعه مع الشرك يعيش اليوم صراعه مع الالحاد .

وكما عاش بالامس صراعه مع الاعراف الموضوعة ، يعيش اليوم صراعه مع القوانين الموضوعة

وكما ناقض ونازل الادب الاسلامي الاول شعر المشركين الاوائل ، يناقض وينازل اليوم ادب الالحاد ودعواته المختلفة .

فالاسلام الذي قارع الجاهلية في جزيرة العرب وفي دولتي الفرس والروم في تاريخه القديم ، يقارع الجاهلية في بلاد العرب ايضا ، وفي دعوتي الشرق والغرب ، في تاريخه الحديث .

والجاهلية اذ اتخذت في تاريخها الاول من الادب وسيلة دعاية ودعوة ، تعود اليوم فتتخذ منه ايضا وسيلة دعاية ودعوة ، فالقصيدة والمقالة والمسرحية والقصة والخطابة والنقد وامثالها ، اجهزة يرسلها الادب الجاهلي الراهن .

والادب اذ يتغلغل في اعماق الذهن ليزرع الفكرة، وفي اغوار النفس ليخلق العاطفة ، وفي محيط الامة ليوجه السلوك ، يقوم بالدور المهم .

ومن هنا كان معترك الصراع بين الاسلام والالحاد ومن هنا كان علينا ان نوفر تعليم القرآن . لنقارع الكلمة بالكلمة ، والفكرة بالفكرة ، والعاطفة بالعاطفة ، واخيرا السلوك بالسلوك .

ومن هنا عاد الادب الاسلامي اليوم ضرورة لابد منها ؛ الادب الاسلامي الذي يرتفع بمستوى المسؤولية ، والذي يحمل هم الفكرة وعبء الدعوة الى الله تعالى .

فعلينا ــ افراد وجماعات ومعاهد أن نقدر مدى مسؤوليتنا الاجتماعية في بعث وتوفير الادب الاسلامي واستثماره من اجل الدعوة الى الله تعالى .

اننا محاسبون امام الله تعالى ، وامام التاريخ ، وامام الاجيال . . لنزيل العقبات المنافقة من الطريق . . لنعر النفوس المريضة المغلقة .

واعتبارا للتخطيط الهادف نحو الادب الاسلامي ولاهميته من جهة ، وللاسلوب العلمي الدقيق الذي تناول به المؤلف موضوعه هذا حيث انه يتناول جانبا آخر من هذا الموضوع وهو فنية الادب الاسلامي ، فيرى ان هذا الادب تتمثل فيه روح الاسلام فكرة وعاطفة فيجيء ذا طابع اسلامي متميز ، يختلف بخصائصه عن الآداب الاخرى .

وقبل ان يفرد المؤلف الادب الاسلامي بالحديث الخاص ينطلق في تقسيم الاداب اولا فيحدد ، ويعين مركز الاسلامي منها ويرى ان :

من البديهي انقسام الآداب الى (1) : مبدئيه وغير مبدئية او ملتزمة وغير ملتزمه ، كما يطلق عليها ايضا .

واعني بالمبدئي : تلك الآداب التي عادت وسائل دعاية ودعوة ، لمبدأ معين ، او فكرة معينة

وفي ضوء تعريفها نتبين معنى الاداب غير المبدئية : وهي التي تاتي غاية ، لا وسيلة ولمجرد وجودها ، او وفق النظرية التي يعبر عنها بنظرية (الفن للفن) او الادب للادب . والآداب المبدئية تنقسم في ضوء تقسيم القرآن الكريم للانسان على اساس عقيدته الى مؤمن ومنافق وكافر الى :

1 ــ ادب اسلامي وهو الذي يقوم به المسلمون المؤمنون بمسؤولية الدعوة الى الاسلام ، ومسؤولية مكافحة سواه من مبادىء .

2 ــ وادب كافر : وهو الذي يقوله الكافرون المبدئيون يتوسلون به الى الدعوة لمبادئهم وافكارهم .

3 ــ وادب نفعي : وهو الذي يقوله المسلمون الانتهازيون والنفعيون الذين عبر عنهم القرآن بالمنافقين .

ويأتي الادب الاسلامي في عناصره :

1 ــ افكارا اسلامية ، نابعة من ذهنية اسلامية، المؤثر ، والنغمة الموسيقية الجميلة .

2 ــ وعواطف اسلامية ، املاها الرضا لله تعالى والغضب له سبحانه .

3 ــ وتعبيرا جليا يختار اللفظة ذات الايقاع المؤثر ، والنغمة الموسقة الجميلة .

1 ــ يمثل جانب الحضارة الاسلامية فكرا واسلوبا .

2 ــ وينطلق وسيلة توعية وخلق ، في اطار ابداع فني جميل ، او في حالة عرض واضح مشرقة . ويتنوع ــ فيما يرى المؤلف الى :

1 ــ ادب دعائي يوضح الفكرة الاسلامية ويبشر بها ، ويحملها الى غير الواعين من ابناء الامة ، والى الآخرين الذين لا يملكون من رصيدها ما يجعلها في مكانتها التي ارادها القرآن الكريم لها .

1) انظر الكتيب صفحات : 36 و 37

2 ـ ادب نقدي : يعـري الافكـــار الدخيلـــة والمستوردة ويكشف عن سمومها واوضارها . . يكشف عن عوار اليمين واليسار ، ويكشف عن الرجعية الى الجاهلية ، والى الالحاد .

ان ادبا اسلاميا هكذا هو الوسيلة ، وهو ايضـا الذي يرتفع ومستوى مسؤولية الاديب المسلم اليوم .

مذهبية الادب المنشود

ويمكن ان نحدد من هذا المنطلق مذهبية الادب الاسلامي التي تنطلق من مذهب اسلامي مستقلا بين المذاهب الادبية الاخرى .

ولاجل ان اوضح المقصود من هذه (المذهبية)(2) نأخذ بعض الامثلة :

فالماركسـية لانها دعوة الى مبدأ معين تذرعت بالادب وسيلة نشر ، وواسطة تبشير ، كانت مذهبا ادبيا .

والوجودية لانها دعوة الى فكرة معينة توسلت بالادب ذريعة بث واذاعة ، كانت مذهبا ادبيا .

والاسلامية لانها دعوة الى مبدأ معين ايضا خطت من الادب طريق هداية الى الله ، وطريق عمل في سبيل الدعوة اليه ، كانت مذهبا ادبيا .

نفس الكتيب صفحة : 39

وليست المذهبية فى الآداب المبدئية الا هذه ، لان الادب لم يعد غاية ، لينظر من جانب الفنية القائمـة فيـــه .

واعتداده وسيلة كان هو الملحظ فـــي تحـديد وتقييم المذهبية فيه . وهذا لا يعني انه لا يلتقي ومذهبا آخر من المذاهب الادبية الفنية ، التي جاءت نتيجـة مقياس العصور او مقياس الفن فكانت الكلاسيكيـة والرومانتيكية ، كانت الصنعة والتصنع . . والخ وكما كان لنا ان ندرس شعر الدعوة الاسلامية من خـــلال الدعوة لانها المبدأ الذي اختط هذا الشعر طريقه . . وندرس الدعوة الاسلامية من خلال الشعر لانه حافل بوجوه كثيرة منها .

وكما كان لنا ان ندرس الادب الماركسي ، ونسميه ماركسيا لانه انطبع بطابع الدعوة الماركسية ومفاهيمها ، وهكذا . .كان لنا ان ندرس الادب الاسلامي المعاصـر ونسميه اسلاميا ، لتمثل الروح الاسلامية فيه .

وهذا ما تعنيه (المذهبية) فيما اذهب اليـه مـن هذا العرض السريع من غير مناقشة . . وذلك ما نتمنى ان نعـــود اليـــه .

زيـن العـابدين الكتـاني



المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية

تأليف : اللواء محمد جمال الدين محفوظ
عرض : الأستاذ حسين أحمد العليمي

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
454 صفحة - 17 × 24 سنتم .

الحديث عن العسكرية الاسلامية متعدد الجوانب كثير الفروع . وهناك ارتباط دائم ووثيق بين كل جوانب العسكرية الاسلامية وبين مفهوم الجهاد فى الاسلام . ولابد لمن أراد الفهم الصحيح لجوهر العقيدة العسكرية الاسلامية أن يتفهم كل الابعاد التى ينطوى عليها المعنى الحقيقى للجهاد فى سبيل الله كما جاء به الدين الحنيف. يقول تعالى : « يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكـم ان كنتم تعلمون » فهنا نرى القرآن قد جعل الجهاد تاليا فى الاولوية مباشرة للايمان بالله ورسوله .

وفى العصر الحديث ظهر وكثر الحديث عـن العسكرية منسوبة الى امة او دولة بعينها . فهناك من يحدثك عن العسكرية الالمانية ، أو العسكريـة الامريكية ، او عن العسكرية الشرقية فى مقابـل العسكرية الغربية . وأصبح الامريكي يتفاخر بالحديث عن « التراث المجيد للعسكرية الامريكية » ، وهكذا الالمانى والروسى والفرنسى وغيرهم كل عن جوانب التفوق والفخار فى عسكرية امته .

والشىء العجيب أننا نجد اغلب المشتغلـين بالعسكرية من أبناء العرب والمسلمين يتدارسون كل صغيرة وكبيرة فى عسكريات الامم الاخرى من شرقية وغربية على السواء ، بينما نجدهم لا يكادون يعرفون شيئا يذكر عن عسكرية الاسلام .

يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ فى مقدمة كتابه : « العسكرية الاسلامية » تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ومن الحضارة الانسانية بالتالى ، فلولا جهـاد المسلمين الاوائـل واسترخاصهـم المـال والنفـس والولـد فى سبيـل الله ، لتغير وجه التاريخ ، ولتخلفت مواكب الحضارة الحديثة عن الظهور .. لقد كان لاجدادنا المسلمـين الاوائل فضل تأسيس هذه الحضارة ، وشق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية فى ميادين العلوم الطبيعيـة والانسانية ، وكان فضلهم هذا من بعض ثمرات الجهاد فى الاسلام » .

هناك اذن تراث من العسكرية الاسلامية يستحق التنبه اليه بالدراسة والوعى ، ويستحق أن يكـون مصدرا للفخار والاعتزاز لكل مسلم وكل عربى . فلماذا ما نراه الان فى أوساطنا العسكرية من جهل أو تجاهل نحو هذا الجانب المشرق الوضاء .. العسكريـة الاسلامية .. وعسكريونا هم أولى الناس بالاتجاه نحو هذا التراث العسكري الذي هو لهم وهم به جديرون ؟ لمـاذا ؟

انها الحرب التى تستهدف طمس معالم الحضارة الاسلامية ومنع قيامها من جديد . هى حرب حضارية تريد فرض التبعية على العرب والمسلمين فى كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافيـة والعسكرية أيضا .

.. بل والعسكرية على وجه الخصوص . فلقد كانت عبقرية العسكرية الاسلامية واحدة من أهم المكونات للحضارة الاسلامية .

« كان من بين أهداف تلك الحرب الحضارية طمس معالم العسكرية الاسلامية » ، ومنع قيامها من جديد وفرض التبعية على العرب والمسلمين فى مجال الفكر العسكرى وفن الحرب . والباحث العسكري المطلع يجد انه منذ عصر النهضة حتى اليوم ، وضعت آلاف الكتب حول الامبراطورية الرومانية ، بينما لا يتعدى ما كتب فى الغرب عن الفتوحات الاسلامية عدد اصابع اليد » .

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده يلبى حاجة ملحة . انه محاولة جادة ومخلصة لعرض العقيدة العسكرية الاسلامية ، والقاء الضوء عليها ؛ وهو — كما يقول كاتبه — دعوة لكل من يعنيهم الامر من المسؤولين والعلماء والمختصصين فى امتنا العربية والاسلامية ، للاتفاق والتعاون على تنظيم دراسة « العسكرية الاسلامية » على النحو الذي يعطيها حقها ويتكافأ مع قدرها ، ولا يقل عن جهد غيرنا من الامم فى هذا المجال .

والباب الاول من الكتاب يوفر مدخلا للقارىء غير المتخصص — فضلا عن المتخصص — الى مفاهيم الاستراتيجية العسكرية ويميز بينها وبين العقيدة العسكرية . ثم ينتقل المؤلف فى الباب الثانى الى الحديث عن العقيدة العسكرية الاسلامية ، فيبين لنا أن مصدرها هو الكتاب والسنة ، وانها بذلك متميزة عن العقائد العسكرية الاخرى التى هى من وضع البشر، كما انها تتميز بطابع سلمى دفاعى لا عدوانية فيه ، انبثاقا من فكرة السلام التى تحتل المقام الرئيسى بين أهداف الاسلام ومقاصده العامة .

وفى الباب الثالث يتحدث المؤلف عما اسماه باستراتيجية الردع التى يرى انها مفتاح الاستراتيجية المعاصرة . ويدور حديث المؤلف عن الردع بتعريف الانواع المختلفة له والتي تتعدد من حيث مداه ومن حيث الوسائل التى تحققه ، لينتقل بعد ذلك الى استراتيجية الردع الاسلامية ويتناول الخصائص المميزة لها والاسس التى تقوم عليها .

والباب الرابع من الكتاب بعنوان : « المفاهيم الاستراتيجية الحيوية فى ادارة الصراع المسلح » .

وهذا عنوان يدعو الى كثير من التحفز ، الا ان القارىء سرعان ما يكتشف أن هذا العنوان الطويل ينطوي على موضوعين اساسيين هما الادارة العلمية والحرب النفسية ، وقد عالج كلا منهما فى فصل خاص أوضح فيه سبق العسكرية الاسلامية فى هذين المجالين .

وفى البابين الخامس والسادس تحدث المؤلف عما يعرفه العسكريون بمطالب الكفاءة وقد خصص الباب الخامس للحديث عن مطالب الكفاءة النوعية والاستعداد القتالى . وخصص الباب السادس للحديث عن مطالب الكفاءة القتالية للقوات المسلحة . الا ان القارىء يشعر بوجود قدر كبير من التداخل فى موضوعات هذين البابين . فنحن نرى مثلا أن الكاتب قد افرد فصلا خاصا للحديث عن توجيهات الاسلام فى القتال باعتبارها من مطالب الكفاءة النوعية والاستعداد القتالى ، بينما يتحدث عن العلم والمنهج العلمى والتطور والاخلاق الفاضلة باعتبارها من مطالب الكفاءة القتالية .

ومن المباحث الهامة التى تعرض لها الكتاب موضوع الشورى فى العقيدة العسكرية الاسلامية . والشورى من المبادىء المقررة فى الاسلام بمقتضى الكتاب والسنة . وقد طبقها الرسول عليه الصلاة والسلام فى كثير من المواقف ، ووجهنا الى وجوب الاخذ بالمشورة الصالحة والنزول على الراي الصواب.

وتزداد اهمية الشورى فى مجال القيادة العسكرية ، ذلك ان من أخطر الامور أن تتركز السلطة فى يد فرد واحد تكون له وحده حرية التصرف التام فى جميع شؤون الجماعة . فضلا عما ينطوى عليه الانفراد بالسلطة من معنى التحكم الفردي والتسلط ، فان هناك كذلك احتمالا آخر لانحراف القائد عن أهداف الجماعة . ولذلك يأخذ الاسلام بقاعدة الشورى فى تنظيم الجيوش وادارة أعمال القتال .

وفى الباب الخاص باعداد الدولة للحرب تعرض الكاتب لبعض الموضوعات مثل اعداد الشعب للمعركة ، واقتصاديات الحرب ، والرعاية الاجتماعية لاسر المقاتلين والشهداء والجرحى والمهاجرين ، وكلها ذات اهمية خاصة لمن يريد الالمام باتجاه العسكرية الاسلامية فى تنظيم تلك الامور .

ولقد سبق للكاتب ان طالعنا كثيرا بمقالاته عن الجهاد والعقيدة العسكرية الاسلامية فى مجلة الازهر وغيرها ، كما كانت له اسهاماته الطيبة فى تقريب علم

الادارة الحديثة الى متناول الدارسين العسكريين ، وهو فوق هذا وذاك واحد من الضباط الرواد الذين جمعوا بين الدراسة المستفيضة لعلوم العسكرية الحديثة فى الشرق والغرب والوعى السليم بتراث العسكرية الاسلامية .

ومن هنا يأتى عتابنا عليه فى استعمال الفاظ غريبة عن لغة العرب والقرآن . فما كان عليه لو انه عرفنا بالاستراتيجية العليا او الكبرى على انها « السياسة العليا للدولة » وبالاستراتيجية على انها « فن قيادة الحرب » وبالتكتيك على انه « فن القتال ».

وفى هذا الصدد بالذات لا يسعنى الا أن استعير من كلمات الاستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب — وهو من هو فيما عرف عنه من غيرة على الاسلام والعروبة — فى تقديمه للمعجم العسكري اذ يقول :

« ان بقاء طائفة من المصطلحات العسكرية التركية أو الانجليزية او الفرنسية او الايطالية او الامريكية ، اثر من آثار الاستعمار الفكري البغيض ، لان الجيوش التى لا تزال تستعمل تلك المصطلحات الاجنبية تتذكر دائما استعمار تلك الدول الاجنبية البلادها ، ولا تنسى انها كانت خاضعة لتلك الدول فى يوم من الايام .

« كما انها باستعمالها تلك المصطلحات العسكرية الاجنبية تقر بتفوق جيوش الدول الاجنبية عليها حتى فى لغاتها . وكل ذلك يؤثر اسوا الاثر فى معنويات الجيوش العربية دون مسوغ .

« واللغة العربية ليست عاجزة عن وضع المصطلحات العسكرية باللغة العربية الفصحى ، مستقاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب اللغة والادب والفقه والتاريخ » .

لاشك انه كان الاحرى باللواء محمد جمال الدين محفوظ ان يؤثر استعمال الالفاظ والمصطلحات العربية الخالصة ، لاسيما وأن موضوع الكتاب هو عسكرية الاسلام ، دين القرآن العربى المبين .

ومما يلفت النظر كذلك استشهاد المؤلف برجال العسكرية الاجانب حيث لا يكون الموضوع مما يستدعى ذلك ، مع اضفاء هالة زائدة من التبجيل لهم . فمن قال ان الجنرال اندريه بوفر — الاستراتيجى الكبير على حد تعبير الكاتب — هو صاحب القول الفصل فيما يتعلق بمفهوم الردع ؟ واي جديد فى مثل قوله : « ان رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسى الحربين العالميتين ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد اخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسى ، وهى استراتيجية الردع ؟

بمثل تلك الاقوال التى لا تنطوي على جديد يستشهد الكاتب ثلاث مرات فى ثلاث فقرات متتالية بالجنرال اندريه بوفر — مع ان هناك من قادة العرب من تناول اقوالهم او كتاباتهم تلك الافكار بكل عمق واقتدار ، هذا اذا كان لابد من الاستشهاد بآراء الاخرين . ولو ان « بوفر » — بما عرف عنه من عداوة للاسلام والعرب — كان يتحدث عن الاسلام من اي جانب فلربما جاز ان يقال ان الاستشهاد بحديثه له مغزاه ودلالته. ولكن ما كان ينبغي ان تتناسى حقيقته كقائد من قادة الحملة الصليبية الصهيونية على مصر فى خريف عام 1956 ، ثم نستشهد بعد ذلك بكلماته حيث لا يكون هناك داع لمثل هذا الاستشهاد ؟

الا انه يبقى ان يقال — للحق وللحقيقة — ان الكتاب خطوة محمودة على الطريق ، لاسيما وان كاتبه المسلم الغيور ، قد اخلص فيه النية لله ولصالح الاسلام والمسلمين ؟ والكتاب بعد ذلك جدير بأن يقراه رجال العسكرية من العرب والمسلمين ، ليعرفوا — عن علم وعن وعى — ان لهم فى مجال العسكرية والقيادة تاريخا مجيدا وتراثا كان من دعامات الحضارة الاسلامية ، حين عرف العالم فيها اروع صورة للحضارة الانسانية فى كل العصور .

القاهرة — حسين احمد العليمي

اقـرأ فى العـدد التاسـع

- ظـاهـرة التمـرد الفكـري . . . . . للاستاذ عبد العلي الوزاني
- التطور والتغييـر فى الاسـلام . . . . . للاستاذ حسن السائح
- منهجية التعليم فى الاسلام . . . . . للاستاذ محمد المنوني
- صدى الفارابـي فى المغـرب . . . . . للدكتور عبد الهادي التازي
- المشكلة الثقافية فى العالم الاسلامي . . . . للاستاذ زين العابدين الكتاني
- يا مبدعـا هـذا الوجـود . . . . . للاستاذ علال بن الهاشمي الفيلالي

ديوان المجلة

- شجـرة النبـوءة
- المسيـرة والهـدف
- المولـى ادريس ... والفتـح الاكبـر

شجرة النبوءة

للشاعر الأستاذ
المدني الحمراوي

زرهــون ، عــم الربى يمن وتقديس ... مــذ حل فيك امام الغرب ادريــس
وفى ثــراك له قبــر ، بحرمتــه ... قطــر المغــارب منصور ومحروس
كنز من الشرف الاعلى ظفرت بــه ... وكوكب من سماء الطهر مقبــوس
طاب القرار الذي ءاوه فى جــدث ... وقد حباه بطيب انذكر قــدوس
عليــه نــور الجمــال مــن محبته ... ومــن ضياء كمال السر قانــوس
وجللــت روضــة تــؤدي جلالتــه ... مهابــة سرها للقلــب محسـوس
رنت لها فى الدنا اصداء مكرمــة ... فى كــل صقع لها سير وتعريــس
مناقــب كضياء الشمس شهرتهــا ... فضــل من الله لا قيــل ولا تلبيس
وكيف ؟ والفرع من اصل له شرف ... ورفعــة عجزت عنها مقاييــس
محمد مجمع الاسرار منبعهــا ... كنــز الحقائق من صفاه تقديــس
منار كل هدى ، ضياء كل سنــى ... له الكمال ، عليه الفضل محبــوس
مولاي ادريس من زهرائــه قمــر ... لــم يغش هالته كسف وتوكيــس

قــد لاح فى افقنا من نوره فــرج ... من بعــد ما ساءه خطب وتأييــس
وجــاء فى ركبه فتــح ومرحمــة ... وجاء دين الهدى يحدوه تأنيــس
اطل كالامــل المرتوب موكبــه ... و « راشد » مرشد يخشاه ابليــس

طوالع السعد من خطاها طلعت ... على ديار لها بالشرك تنكيس

فضل العناية شاء الله في ازل ... ان يستهل له في الغرب منفوس (1)

وخصه ــ كرما ــ بخير منتسبة ... بها فخاره طارف وقدموس (2)

بعترة المصطفى صينت مرابعه ... لما اتى وقدهم تسعى به عيس

وانبث في قطرنا من فضل دعوتهم ... لطف له في كروب اليأس تنفيس

هم الميامين والانوار زاهرة ... وهم بحار المنى ان شح قاموس(3)

وهم نجوم الهدى في كل ناصية ... وهم امان الورى ، وهم نباريس

ادريس قيدومهم في الفضل ، مقدمه ... لارضنا ظفر بالعز مأنوس

دعا الى الله بالقرآن امتنا ... نعمها رشد اداه ناموس (4)

من دار « اوربة » اكرم بتبعتها ... سارت بدعوته غر قوابيس (5)

فكان ما كان من فتح تقبله ... شعب دعاه الى العليا ادريس

كانما كان للانقاذ منتظرا ... فجاءه بغتة والجو منحوس

فاستبشر الشعب بالبشرى وطاربها ... مبشرون لهم في السير تغليس (6)

وعج بالفرج المأثور سامعه ... وجلجلت به في الدنيا نواقيس

واستمسكت امة مثلى بعروته ... وصد عن هديه رهط اباليس

« شماخهم » شامخ الاطماع ماكرها ... ومجرم في جحيم السخط مركوس(7)

اتى على مهل للحب مدعيا ... وفي ملابسه يكتن جاسوس

بغدره مثل الخذلان يضربه ... دهر بمثله منحوس ومنكوس

فما رأى مثله في الغدر حين غدا ... يبدي تودده والقلب موكوس

حتى انام بكيد عين صاحبه ... فلم يغادره الا وهو مفروس

لكن « كنزة » من لطف قد احتفظت ... بالكنز والكنز في الاحشاء مدسوس

حتى اطل هلال كان مرتقبا ... منها ، وتم له في الافق تقويس

وشب في كنف التأييد تحرسه ... عناية الله لا حصن ولا خيس (8)

---

1) المنفوس : المولود .
2) القدموس : القديم .
3) القاموس : البحر .
4) الناموس : المراد به هنا الوحي وهو من معانيه.
5) القوابيس جمع قابوس : الرجل الجميل الوجه الحسن اللون .
6) التغليس : السير في الغلس وهو ظلمة آخر الليل .
7) المركوس من ركس الشيء قلب اوله على آخره.
8) الخيس بكسر الخاء الشجر الملتف ، ومأوى الاسد .

لولا بقيته لبات مغربنا   وركنه من بنى الزهراء مكنوس
بشرى بها ابهج الرحمن حوزتنا   من بعد ما نابها روع وتعبيس
فاصبح الشبل بعد الليث منتصبا   له – على صغر – ذلت قرابيس
قاد الجيوش وما فى وجهه شعر   فاعجبت به فى الهيجا كراديس
سمى والده ثناه فى شرف   وصان ملكا ، ولم يعجزه تسويس(9)
ادريس شهم ومن ادريس منحدر   فطاب غرس باذن الله مغروس
تكنيه « فاس » اذا عدت مفاخره   غداة صارحه بالسر قسيس
بنى مباءتها لله محتسبا   فبورك المبتنى ، وطاب تأسيس
غرس به يده البيضاء سابغة   لها مدى الدهر فى الاجلال تنويس(10)
كانما هى فى تاريخ امتنا   حدائق علقت فيها فوانيس
هى اليتيمة فى عقد نتيه به   والحسن فيه تحصنت نواميس
الكل فيها ، فلا يخدعك مختلف   عنها ، فانه بالاهواء ممسوس
كفى بمسجدها فضلا ومعجزة   وبالمثنى له هناك راموس (11)
كأن قبره فى « فاس » وقبر اب   له « بزرهون » فى الدنيا فراديس
بنو على لهم فى المجد سابقة   جلى، وذكرهمو بالعطر مبسوس(12)
طاب البهاليل من صيد اذا ذكروا   حلت بذكرهمو رحمى وتحميس (13)
عمومة لبنى ادريس قد قدموا   يحدو ركائبهم ذكر وتدريس
من « ينبع » وفدهم قد جاء يقدمه   مبارك يمنه للناس ملموس
« الداخل » الحسن المحمود مقدمه   ذاك الذي فى رضاء الله مغموس
« سجل ماسة » قد آوته مغتبطا   كأنه أسد آواه عريس (14)
طابت اصول ، وطابت من ذوائبها   تلك الفروع التى لها عرانيس (15)
وهل كآل النبى فى العلى نفر   وفضلهم فى كتاب الله مدروس
انى على حبهم ، أرعى مواثقه   وليس فيه تبديل وتدليس
وحبهم برسول الله متصل   ومبغض الآل محروم ومتعوس

---

9) التسويس : التمليك .
10) التنويس الاقامة .
11) الراموس : القبر .
12) مبسوس : مخلوط .
13) التحميس : التهييج .
14) العريس : مأوى الاسد .
15) العرانيس : جمع عرناس انف الجبل .
16) التضريس : من ضرسه الزمان عضه واشتد عليه .

فهم اليد ومنـــه دونـهــا جـدل ... فلا يغرنك تلبيـــس وتهويـــس
اعظم بفاطمة الزهــراء ماتجـــا ... لا يعتـري معــه خـوف ولا بوس
احبب بسبطى رسول الله من لهما ... جاه عريض ، وتسويد وترئيـــس
انى بهم اسال الرحمن خاتمـــة ... حسنى ، بها يتقــى غمــر وتفليس
ونفحــة منه بالاحسان تشملنـــى ... فلا يزلزلنى فى الحشر تضريس (16)
على رسول الهدى والآل عاطـرة ... من الصلاة لها دفق وتبجيـــس
مع السلام الذي تسري هــو اتفه ... الـى رياض لهم فيها رواميس (17)
ولا خلت من سنى الاشراف اربعنا ... فهم بها أرؤس والغير مـرءوس
وهم ملاجئها فى كــل نائبـــة ... وهـم سيوف لها ، متاريس (18)
ولم يخب قط فى املاكهـم امـــل ... ولـن يخيب ، فانهم نقاريس (19)
ولا كعاهلنا وفخرنـــا « حســن » ... بعطر سيرته فاحت قراطيـــس
فــذ محاسنــه كالموج ليس لـــه ... حصر اذا دفعت به القواميس (20)
لا غرو ، فالفرع من اصل يطوقـه ... مجد بعروة خير الخلقمعروس (21)
على قرار الهدى والحق دولتنـــا ... أساسها ثابــت الاركــان ماسوس
أشرافها بهروا سبقا ، وما نكصوا ... يوما ، ولاحظهم فى المجد مبخــوس
هم الائمة لا جـدوى لحاسدهـــم ... فانه بائــر الاحــوال مطمــوس
يرومهم بسهام الكيد مــن حسـد ... وكيده ــ لو درى ــ عليه معكوس
يرضى خصيم رسول الله موبقـة ... بهــا يكون له فى النار تحبيـــس
ومن يمل قلبه بالحب نحــوهـمــو ... فاللطــف عدتــه ، والستر ملبوس
« زرهون » يا جبلا ثوى به جبـــل ... من التقىفى رياض الخلد مرسوس22
بوركت من جبل ضمت ذوائبـــه ... قبرا به ملك حبــر وقديـــس
فاويت أزهر قوم هــم زواهرنـــا ... سلما، وفىالحربهم اسد مهاريس23
وفى قرارة « فاس » نام أنورهم ، وفى «الريصانى» عميد الصيد مرموس (24)

---

17) الرواميس : القبور .
18) المتاريس : جمع متراس : خشبة توضع خلف الباب لتدعمه ، وما يستتر به من العدو كالحائط .
19) النقاريس : جمع نقريس : الدليل الحاذق ، والطبيب الماهر .
20) القواميس : البحار .
21) معروس : مشدود .
22) مرسوس : مدسوس ومدفون .
23) المهاريس : جمع مهراس : الرجل لا يتهيبه ليل ولا سرى اي هو شجاع جريء .
24) مرموس : مدفون ، والمراد بعميد الصيد مولانا على الشريف جد الاسرة الشريفة المالكة حرس الله ملكها ، وبارك فى فروع دوحتها .

وفى « الرباط » ضريح ضم مبتهـلا
به ازيح عن الاوطـان كابــــوس

« محمد » بطل الاملاك سيدهـــم
ومن به جبروت الكفر مهـــروس

أتـــم ملحمة ادريـــس بادئهـــا
وما تعاظمه هـــول وتدسيـــس

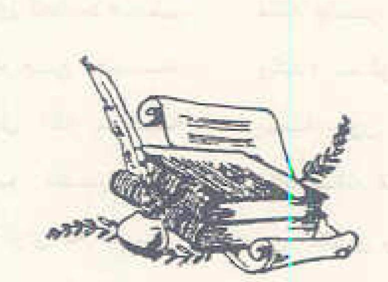
هم الخلائـــف والسادات ، جوهرهم
أنقى من الثلج ، لم يمسسه تدنيس

أئمة برضاء الله قـد ظفـــروا
فحبـذا حبذا الغر الاحاميس (25)

الرباط ـــ المدنى الحمراوي

---

(25) الاحامس : جمع أحمس الرجل الصلب المشتد فى الدين والقتال ، والشجاع المقدام ، وزيدت الياء فيه اشباعا لكسرة الميم للضرورة .



المسيرة والهدف

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

اكـرم الله شعبنـا وحبـاه   كـل مجـد ، فـلا يرام مـداه

ان تاريخنـا يـدل علينـا   فـى المعالـى ، نعيشـه ونـراه

شيـم الاكـرمين عنـوان فضل ،   مـا لهـا فى سموهـا اشبـاه

كـل تاريخنـا بعشريـن غشـت   فـى ثبـات الابطـال خلدتـاه

ذلـك الاطلـس العتيـد اذا نـا   دى ، فـان الشعب كلـه لبـاه

قيمـة الجـر أن يفـك قيـودا ،   فمـن الضيم دائمـا حـاشـاه !

منذ (ادريس) والملاحـم تتـرى ،   يحفـظ الشعب ذكرها فى حجـاه

وبوادي المخـازن انهـزم الكفـ   ـفر ، ويمنـاه كسـرت يسراه

وبانـوال مـا يبـل غليـلا ،   رضـى الخصـم امرنا أم ابـاه

ان ايامنـا روائـع تسـ   ـر رغـم غـدر الدخيل فيما نـواه

كلما احيـت العوالـم ذكـرى ،   اكبـر الدهـر مجدنـا فـرواه

شعبنا يعشـق الخلاص ، ولا ير   ضـى مسـاسـا بعـزه وحمـاه

نهـو بركـان ثـورة يتلظـى   عندمـا يقصـد الدخيـل ثـراه

ان ذكرى عشرين غشـت لدينـا   معهـد للاجيـال شيدنـاه

ذلـك النـور صـار يغشى صميما   مـن قلـوب الابناء ، نرعى سناه

ان اخلاقنـا الاصيلـة كنـ   ـز ، ورضـاء مـن ربنـا حزنـاه

وحفظنـا مـن المبـادي، مـا لا   ق بنـا ، والغـى لا نرضـاه

اننـا احرص الشعوب علـى العـ   ـز ، وكل منـا يوالـى خطـاه

وتصاميمنـا هـدى ونمـاء ،   وقيـام بواجـب نـرعـاه

والطموحات ما لها من حدود   فى جهاد بعزمنا خضناه
ان ذكرى ابطالنا الهمتنا   مثلا رائعا سما مستواه
كيف ننسى (محمدا الخا   مس) شهما ميمما منفاه ؟
كيف ينساه شعبه فى كفاح ؟   ــ طيب الله فى الجنان ثراه ــ
قاوم الغاصبين بالهمة الشمـ   ـاء ، لا يرتجى سوى مولاه
شعبه قد اعاده باعتزاز ،   عالى الراس ، بالنفوس فداه
وبباقات حبه ، بهتاف ،   وعناق فى شوقه يلقاه :
انما ذلك الحنان ، يمينا   وشمالا جادت به راحتاه
انه العهد بين عرش وشعب ،   قلب هذا لذاك قد وفاه
والامير المجاهد (الحسن) الصا   بر يرضى بلاده واباه
انه الشبل حين انجبه الليـ   ـث ، على المجد والعلا رباه
الف مرحى لمن يوالى جهادا   مستميتا ، وشعبه حياه
قد سقانا كؤوس العشق صرفا :   بارك الله فى الذي قد سقاه !
كيف ننسى من قاوموا بثبات ،   لم يكونوا تزعزعوا او تاهوا ؟ !
لم يهابوا السجون والموت فى صو   ن الحمى ، فالمقصود هو الله !
ولسان الاحرار ، اقلامهم ، قـ   ـوة حق لها تخر الجباه
كان (علال) الزعيم ومن فى   ركبه موكبا يفوح شذاه
شهداء البلاد فى الخلد احيا   ء ، اليهم منا يروق انتباه
تلك اسماؤهم بأحرف نور   شرفت من جهادنا معناه
كيف ننساهمو ، وهم قد اضاءوا   ملتقانا ، واتحفوا محتواه ؟ !
عبرة تلو عبرة ، تلو اخرى   خلدوها ، والفضل لا ننساه
حسب الغاصبون فيما اتوه   انهم افلحوا ، وصح اتجاه . .
انطيق الهوان ؟ حاشا وكلا !   ليس يصفو جو تهيج لظاه
واستفاقوا على انتفاضة شعب   جهلوه ، واستضعفوا قواه
نحن لا نعرف الفراغ ، لانا   عسكر للتحرير ينكى عداه
نخوة المجد فى العروق دم يسـ   ـري ، وهذا الدخيل يفغر فاه
جمعتنا تلك الاصالة حول الـ   ـعرش ، فالصرح شامخ تياه
ووصايا الآباء صحت لابنا   ء اليهم يؤول عز وجاه
. . ودخلنا (العيون) مدخل صدق ،   وانتصار بالعزم حققناه
بهر الكون من مسيرتنا الخضـ   ـراء ، واهتز دهشة خافقاه

واذا البيعة الكبيرة من (خط   ري) سلام هنا يعم صداه

انه الفتح من اله غيور   رد اهلا للاهل ـ يا بشراه ! ـ

وتوالى نجاح عرس وشعب   بهما المغرب استعاد مناه

وفدنا آب من رحاب (كيلوميو)   ظافرا ـ حقق الاله رجاه ـ

ان صحراءنا العزيزة منا   والينا ، والوطن وحدناه

كشف العدل قيمة الجار حقا   ونواياه ، فانجلت فحواه

ذلك الربح لا يضاهيه ربح ،   فليعش شعبنا الذي قد جناه

والاصول الفروع تنمو وتزكو   فى نظام للكون اظهرناه

حول عرش الاشراف دينا ودنيا   ركز المغرب العظيم رؤاه

وهداه فى نورهم قد تجلى   حين والى فى المكرمات سراه

ان دين الاسلام اقوم دين   ادرك السؤل عاقل قد وعاه

والكتاب المبين دستورنا الاع   ظم ، لم نتخذ اماما سواه

فالنجاة النجاة تثبت فيه ،   والضلال الشقاء فيما عداه

فبايماننا نحقق نجحا ،   ونوفى لقطرنا مبتغاه

ما وقفنا ، لكن نسير دواما   فى سبيل الحق الذي رمناه

هدف المغرب الكريم ازدهار   واكتفاء ، فالخير ملء رباه

مطمح الحر لا يريد قليلا   بل كثيرا هنا له وارتضاه

من شمال نرى الشقيق بشوق   فى جنوب يلقى هناك إخاه

جمع الله شملنا حول عرش   علوي تدفقت نعماه

لم يخب قط من ينادي بقلب   طاهر فى البلاد : ـ واحسناه ! ـ

نحن شعب يحل من كل مجد   قمة ربه اليها اصطفاه

فهو سبحانه شهيد ولى   تنصر المؤمنين حقا يداه

لم يخيب للسائلين دعاء   فيه خير ، وعبده لباه

فلتثبت اقدامنا فى جهاد ،   فالسعيد السعيد من قد هداه

الربـاط   محمد بن محمد العلمى

المولى إدريس .. والفتح الأكبر

للأستاذ الشاعر
عبد الواحد أخريف

غنى على الافنان فى افيائه   طير المنى ببديع لحن غنائه

بين المروج الخضر فى جنباتها   وشى الربيع منمنم ببهائه

عند انبلاج الفجر يرسل سائلا   بسمت عيون الزهر من لالائه

وترنحت اعطافه فى روضة   نشوان يرفل فى جميل روائه

وتضوعت أنفاسه مخضلة   بالسلسبيل العذب من أندائه

وغدا خرير الماء لحنا ساحرا   ويعيده التمري فى عليائه

تتجاوب الالحان بين مغرد   فى الارض غنى ، او فسيح فضائه

والجو طلق ضاحك مستبشر   لم تعهد الايام حسن صفائه

والقلب مسرور يصفق هائما   فى فرحة تشفيه من برحائه

والنفس نشوى من طلاقة يومها   تستقبل الاسعاد يوم لقائه

وعلى الثغور من ابتسامات الرضا   قبس الهدى متلألىء بضيائه

والناس قد لمحوا الشعاع يقودهم   للحق منتصرا ببأس سنائه

نظموا المواكب شاعرين بحادث   يحيى البلاد بخيره وعطائه

وتجمعوا كعقود در اشرقت   كيما ينالوا الهدى من ابنائه

وقفوا هنا مستقبلين دليلهم   مترقبين بزوغ بدر سمائه

فاذا « بادريس » الامام وقد بدا   مثل الضحى قد شق سجن غطائه

قد جاء يحمل هدى دين « محمد »   ويغيث هذا القطر من ظلمائه

يتلو من القرآن آيا فصلت   فيشنف الاسماع حسن أدائه

وتردد الاصـوات ذكـر الامهـا — فيسير ملء الجو من أصدائـه
والمغربـي وقـد تفتـح قلبـه — وتغلغل الايمـان فى احشائـه
ان فاتـه وجـه النبـي « محمد » — فلقد رأى فى الفـرع بعض ضيائـه

**

يـا واهبا عـز الحيـاة لامـة — عشقت معانـي الحـق فى اسمائـه
يـا نافخا روح العروبـة مترعـا — بفوائـده وفعالـه وندائـه
يا منقذ الاوطـان مـن ويلاتهـا — والخير والاحسان مـن اسدائـه
يـا حامـل الاسـلام نحـو ربوعنا — والعـدل والانصـاف من نعمائـه
يـا رأس أول دولـة وطنيـة — واقامـة البنيـان مـن انشائـه
يـا فارس الميدان فى ساح الوغـى — وملائـك الرحمن من نصرائـه
يا فخر مغربنا وتـاج بلادنـا — وموحـد الاجنـاس تحت لوائـه
قـد كان مغربنـا شتاتـا وزعـت — اشـلاؤه بالكفـر مـن ابنائـه
« والبربر » الاقحاح من سكـانـه — كـل بديـن عامـل لبقائـه
هذا « يهودي » ، وذاك بقلبـه — عبـد « المسيح » وكان من قرائـه
وجماعة أخرى تقـدس نـارهـا — يشوي اللهيب اهابهـا بعدائـه
وطليعـة للمسلمـين فتيـة — الفـرد منهـا مشبـع بـوفـائـه
من عهـد « عقبة نافـع » ورجالـه — أو عهد « موسى » فاتحى انحائـه
ظلت على عهد الوفاء ولم تـزل — للحق بـذرة نبتـه وعـلائـه
تمشى على النهج القويـم فلا تـرى — الا وجوهـا اشرقـت بجلائـه
لم يثنها غى « المجوس » وشركهم — أو قوم « عيسى » قد اتوا بدعائـه
لـم يغوهـا من قد تهود قلبـه — ورأى طريـق الـديـن فى بيدائـه
حتى اتى التوحيد ينبـض مشرقـا — « ادريس » أرسى شامخات بنائـه
ان كان « مغربنا » تكـرر فتحـه — ومضت جيوش العرب فى ارجائـه
فلأنـت سيـد فاتحيـه حقيقـة — شهدت بها الاجيـال من آبائـه

**

يا ساكـن الجبـل الاشـم تحيـة — مـن عاشـق غنى بشعر وفائـه
قـد قام يشدو فى ضريحك بلبلا — ثمـلا بحسن جماله ورُوائـه
ويرى « وليلى » والفتـوح وجيشها — والنصـر يسطع فى ذرى اجوائه

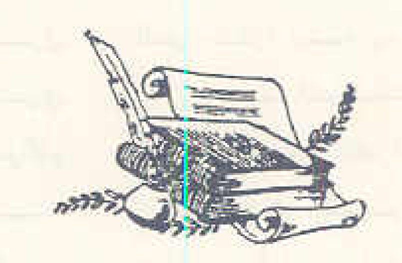
وبرى رغيتك « راشدا » رمز الوفـا — مولـى الثبات مـزودا بذكائـه
يجثو على قدميك اذ نزل القضـا — ويصون عهدك وهو من أكفائـه
حتى يسلمه لنجلـك راضيـا — انعـم بـه وبصبـره ودهائـه

**

مولاي اقبـل من حفيـدك باقـة — قد صاغها مـن حبـه وصفائـه
جاءت على خجل اليـك هديـة — ترجـو القبـول فلفهـا بردائـه
وعلى ضريحك من عبـارات الرضا — ملء الفضـاء علـى مدى أرجائـه
مـا رجع الالحـان في أفنائـه — شـاد وغنـى منشـد بغنائـه

تطوان :

عبد الواحـد أخريـف



تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق

● تعززت الخزانة المغربية بصدور رحلة البلوي المعروفة بـ « تاج الفرق فى تحلية علماء المشرق » بتحقيق الاستاذ الحسن السائح . وقد طبع الكتاب تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة . وهي اللجنة التي انبثق عنها « صندوق احياء التراث الاسلامي » .

تاج المفرق
في
تحلية علماء المشرق
تأليف
خالد بن عيسى البلوي
الجزء الأول
تقديم وتحقيق:
الاستاذ الحسن السائح
طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة

وللكتاب اهمية خاصة فى تاريخ الفكر والادب المغربي وقد احسن الاستاذ المحقق صنعا باهتمامه بهذه الرحلة التي نقلت الينا اوجه الحياة والحضارة فى حقبة مهمة من تاريخ أمتنا الخالدة .

وتوجد عدة نسخ مخطوطة من كتاب رحلة البلوي منتشرة فى عدة بلدان عربية واوروبية منها المغرب والقاهرة وباريس ولندن واسبانيا . اما النسخ التي بالمغرب فان الخزانة العامة بالرباط تتوفر على نسخ أربع جيدة . وقد كان اعتماد المحقق عليها .

ويبدأ الكتاب بمقدمة ضافية يوضح فيها المحقق منهجه فى البحث . ثم تأتي بعد ذلك ترجمة البلوي والجوانب التاريخية والادبية والجغرافية والوثائقية لرحلته القيمة . ونقرأ فى الختام اسماء المؤلفين المغاربة فى فن الرحلات .

ويقع الكتاب فى 318 صفحة من القطع الكبير . وقد صدر عن مطبعة فضالة بالمحمدية .

وتشتمل الرحلة على خرائط ومعلومات حضارية وعمرانية وادبية من الاهمية التاريخية بمكان .

معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار

● هذا كتاب قيم للمؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب السلماني (713 – 776 هـ) . حققه الباحث المصري الدكتور محمد كمال شبانة أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة محمد الخامس .

وهو من مطبوعات « صندوق احياء التراث الاسلامي » .

وقد جاء التحقيق فى تبويب وتنسيق واخراج يليق بمكانة الكتاب باعتباره لبنة من لبنات ذلك الصرح الشامخ الذي اقامه ابن الخطيب ورفع به شأن الثقافة العربية الاسلامية فى عصور ازدهارها .

والكتاب اطرف كتب المؤلف الشهيرة فقد صاغه على هيئة مقامة ادبية ذات منهاج واسلوب فني انفرد به لسان الدين روعة وابداعا مستهدفا وصف اهم المدن الاندلسية والمغربية جغرافيا واجتماعيا كما رآها وعاصرها فى منتصف القرن الثامن الهجري (منتصف الرابع عشر الميلادي) .



وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية واخرى بالاسكوريال بمدريد . ويوجد جزء مخطوط بمكتبة الفاتيكان مكتوب بخط مغربي ، وتوجد بخزانة القرويين قطعتان من « ريحانة

الكتاب » . أما في الخزانة العامة بالرباط فتوجد عدة نسخ .

وقد قسم المحقق الكتاب الى خمسة فصول. الفصل الاول لحياة المؤلف ، والثاني لبيان وجهة نظر بعض المستشرقين والباحثين تجاه ابن الخطيب ، والثالث دراسة خاصة « لمعيار الاختيار » في عرض تحليلي . والرابع والخامس يتضمنان نصوصا من الكتاب .

ويتضمن الكتاب عدة صور وخرائط لمدن مغربية واندلسية . ويقع في 198 صفحة من القطع الكبير . وطبع بمطبعة فضالة – المحمدية .

اوصاف الناس في التواريخ والصلات

● هذا الكتاب في الواقع يشتمل على كتابين ، فبالاضافة الى « أوصاف الناس » هناك « الزواجر والعظات » وهو من تأليف اديب الاندلس الاكبر لسان الدين ابن الخطيب وقد قام بدراسته وتحقيقه الدكتور محمد كما شبانة . وصدر عن صندوق « احياء التراث الاسلامي » المشترك بين المغرب واتحاد الامارات العربية .

والكتاب يعد من أجل المؤلفات الادبية لابن الخطيب التي أورده ضمن ما اورد في مؤلفه الكبير « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » . وهو يشتمل على تراجم شخصيات اندلسية ومغربية معظمها ممن عاصروا ابن الخطيب وعاشوا احداث عصره (القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي) . فيهم الكاتب والوزير والقاضي والقائد والعالم ، بل منهم من حاز أكثر من رتبة من هذه الرتب على نمط الشخصية البارزة في العصر الاسلامي الوسيط ، وقد بلغ عدد المترجم لهم 157 شخصية مفتتحا القسم الاول منهم بما سبق للمؤلف ان أورده في كتابه « التاج المحلى » .

يقول المحقق الدكتور محمد شبانة في المقدمة:

« ان مدار البحث حول كتاب ابن الخطيب أوصاف الناس في التواريخ والصلات هو جزء من



أوصاف الناس في التواريخ والصلات

تليها

الزواجر والعظات

للمؤرخ الوزير

لسان الدين بن الخطيب السلماني

713 – 776 هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور محمد كمال شبانة

طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة

الريحانة ويمثل السفر الاخير منها حيث يختتم المؤلف هذا المؤلف الضخم بعد الاوصاف بكتب الزواجر والعظات ، ولقد عكفت منذ وقت ليس بالوجيز على تحقيق هذا المؤلف الادبي التاريخي الكبير « الريحانة » وقطعت في ذلك شوطا ليس باليسير حتى وفقني الله الى تحقيق الاجزاء التالية منه وهي :

1 – الرسائل السلطانية (وتمثل القدر الاعظم من الكتاب) .
2 – معيار الاختيار (تحقيق جديد في زيادات مع دراسة نقدية) .
3 – أوصاف الناس (موضوع هذا الكتاب).
4 – الاشارة الى آداب الوزارة (تحت الطبع)
5 – مقامة السياسة (تحت الطبع)
6 – كتب الزواجر والعظات وهي ملحق هذا التحقيق والدراسة .

ولا يسع القارىء للكتاب الا ان يقدر للمحقق الجهد العلمي الشاق الذي بذله في سبيل اخراج هذا السفر القيم من التراث العربي الاسلامي العظيم.

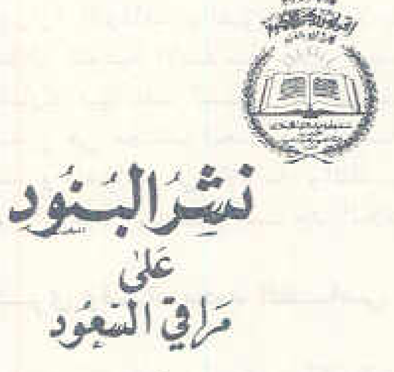
وطبع الكتاب بمطبعة فضالة بالمحمدية . ويقع في 187 صفحة من القطع الكبير .

نشر البنود على مراقي السعود

● صدر الجزء الاول من كتاب العالم سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي : « نشر البنود على مراقي السعود » ضمن منشورات « صندوق أحياء التراث الاسلامي » المشترك بين المغرب واتحاد الامارات العربية ، بمقدمة ضافية للاستاذ الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . وترجمة مركزة لحياة المؤلف رحمه الله .

يقول السيد الوزير في المقدمة :

« تفضل مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده فامر بطبع هذا الاثر العلمي النفيس ونشره ، وذلك في اطار اهتمام جلالته الشريفة ـ حفظه الله ورعاه ـ باحياء التراث الاسلامي واغناء نهضتنا العلمية بكنوزه وذخائره ، ومنح أوسع الفرص للطلبة والباحثين والدارسين للنهل من موارده ، والكرع من حياضه وصلا لماضينا العلمي المجيد بحاضرنا العلمي الزاهر وترشيحا لاصالة النهضة الثقافية العظيمة التي تشمل مختلف الآفاق في هذا البلد الامين تحت ظل قيادة جلالته الحكيمة النيرة .



نشر البنود على مراقي السعود

تأليف

سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي

الجزء الأول

طبع هذا الكتاب تحت إشراف هيئة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة

ومادة الكتاب عبارة عن شرح ارجوزة في هذا الفن (اصول الفقه) للمؤلف سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي واضع الارجوزة والشرح معا » .

● خصصت مجلة « منار الاسلام » التي تصدر عن وزارة الاوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة حيزا واسعا من صفحاتها لاستطلاع صحافي عن المغرب معزز بصور ملونة لمظاهر الحضارة والتقدم في بلادنا. وابرزت المجلة جهود وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المملكة المغربية لنشر الفكر الاسلامي والتوعية الدينية وخلق جيل قوي مؤمن .

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

حملة توعية شاملة خلال شهر رمضان

● نظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية حملة واسعة النطاق للتوعية الاسلامية خلال شهر رمضان المعظم شارك فيها عدد كبير من العلماء والوعاظ والمرشدين فى مختلف أنحاء المملكة . وشملت الاحاديث والندوات فى الاذاعة والتلفزة والدروس الدينية اليومية فى معظم مساجد البلاد .

احياء ذكرى وفاة محمد الخامس

● احيت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ذكرى وفاة بطل التحرير والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه فى جو من الخشوع والابتهال وفى اطار برنامج منظم شارك فيه المادحون والمنشدون اضافة الى خطب الجمعة التي اعدت لابراز الدور العظيم الذي قام به جلالة المغفور له محمد الخامس من أجل تحرير المغرب وضمان استقلاله .

ايفاد فوجين من العلماء الى الجاليات المغربية باوروبا

● تطبيقا لتعليمات مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده وتمشيا مع سياسة البعث الاسلامي التي ينهجها جلالته فى حكمة ورشاد اشرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على ايفاد فوجين من السادة علماء المملكة الى جالياتنا العمالية باوروبا للقيام بالتوعية الدينية والتوجيه الوطني خلال شهر رمضان المعظم . وهي سنة حميدة تتبعها الوزارة كل سنة وتقدم بها لعمالنا وتجارنا فى الخارج خدمات جلى تخلف آثارها على اوساط مواطنينا المهاجرين .

وقد استقبل السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السادة العلماء على مرحلتين . المرحلة الاولى عند سفر الفوج الاول فى بداية شهر رمضان ، والمرحلة الثانية بمناسبة سفر الفوج الثاني الذي تقرر ان يحيي ليلة القدر ويصلي صلاة عيد الفطر السعيد مع جالياتنا .

وهكذا شارك فى برنامج التوعية الاسلامية باوروبا اربعون عالما من ذوي المؤهلات الجامعية العليا .

وشمل البرنامج الدول التالية : فرنسا – بلجيكا – هولندا – المانيا – اسبانيا – جبل طارق – النرويج – السويد – الدانمارك .

كما أوفدت الوزارة أحد العلماء الى السنيغال للقيام بنفس المهمة .

المغـــــــــرب :

● صــدر بتطــوان كتــاب :

« الكشف والتبيان فى مسيرة بطل الريف الاول سيدي محمد امزيان واخبار مقاومته هو واخوانــه الريفيين لابي حمارة ثم الاسبان » للشيـخ السيــد العربي الورياشـــي .

● صدرت بالرباط جريدة بعنوان : (الحريــة) (رجب 1397 – يوليوز 1977) ، بادارة السيد فلاحي مبارك السباعي ورئاسة تحرير السيد احمد الهراوي فى اربع صفحات وهي « جريدة ثقافيــة اخباريــة سياسية جامعة » .

● عادت مجلة (آفــاق) (يوليوز 1977) التي يصدرها اتحاد كتاب المغرب الى الصدور بعــد ان توقفت سنة 1972 .

صدور المجلة جاء فى حلة جديدة بعيــدة عن الصورة التي الفها اعضاء الاتحاد من قبل حيث جاءت فى اسلوب نشرة أكثر منها مجلة .

● (الاخوانية) جريدة صدرت ببلجيكا تحــت شعار : (صوت المواطن المغربــي فى المهجــر) فى اربع صفحات من الحجم الصغير .

الجريدة صورة مشرقة لفكر الجالية المغربيــة خارج المغرب ، تحمل الفكر الاصيــل ، وتتــوج واجهتها بقول الله تعالى : (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) .

● **« المدرسة الصوفية الدرقاوية بشمال المغرب»** هو موضوع الرسالة التي ناقشها الاستاذ عبد المجيد الصغير لنيل ديبلوم الدراسات العليا فى الفلسفــة يوم 23 / 5 / 1977 بمدرج ابن خلدون بكلية الاداب بالربــاط .

نجح الطالب بميزة (حســن) .

يشتمل البحث على مقدمة وخمسة ابواب ..

والبحث مهم للغاية يستحق عليه صاحبه كــل تنويه وتقدير خصوصا وان الموضوع مغربي .

● (الودادي) جريدة أصدرتها وداديات العمــال والتجار المغاربة بهولاندة .

أما (منار الودادية) فهي ايضا جريدة أصدرها العمال المغاربة بمدينة ليل بفرنسا .

● صدرت للاستاذ الدكتور ممدوح حقي كبيــر الامناء بالمكتب الدائم لتنسيق التعريــب بالوطــن العربي فى الرباط مجموعة قصصيــة بعنــوان : « آكل قلب أبيه » ، ويصدر له قريبا كتاب : «مستقبل الثقافة فى المغرب » .

● عن مطبعة ديسبريس بتطوان صدر كتاب فى 135 صفحة بعنوان : « تنبيه الاكياس للاقتصاد فى المآتم والاعراس » للمرحوم محمد بن التهامي افيلال. المؤلف من مواليد تطوان سنة 1884 ، شغل عــدة مناصب منها قاضي القضاة ثم وزارة العدل وتوفــي ســنة 1968 .

● سيصدر قريبا للشاعر الاستاذ عبد الرحمــن الدرجاوي العلوي ديوان شعر فى جزءين بعنوان : « مواقف » وهو سجل حافل لمواقف العرش العلوي المجيد من قضايا الحرية والتحرير والوحدة .

والشاعر من مناضلي الصحراء المغربية ولــه مواقف عملية مشهود بها فى الذود عن وحدة الوطن تحت راية العرش العلوي الخالد .

● صدر الجزآن الاول والثاني من المجلد الرابع عشر من مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي بالرباط . الجــزء الاول يشتمل على أبحاث ودراسات فى اللغة ، والثاني اشتمل على معاجــم لمصطلحــات فى السفــن والعمل والفقه والقانون والحرف والمهن وعلم الفلك والخشابة والخشب . أعد المعاجم : اللجنة الفنية للمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والاستــاذ

عبد العزيز بن عبد الله ومكتب العمل المغربي والاستاذ محمد بن زيان .

● بعد كتاب في « سبيل بعث اسلامي » صدر للاستاذ أبو بكر القادري كتابا ثانيا بعنوان « في سبيل وعي اسلامي » وهو يضم مجموعة من الموضوعات الاسلامية المعمقة والمشبعة بروح موضوعية متزنة والمعالجة بأسلوب رصين وتفتح وتحليل مرتكز على اساس الفكر الاسلامي ونظرته الى الانسان والحياة والمجتمع .

● اهدى الاستاذ عبد الرحمن الزرباني لمجلتنا كتابين جديدين من تاليفه ، الاول بعنوان : « ادبيات الاندلس » ، والثاني « سوانح وخواطر » وهما معا مجموعة دراسات ادبية في التراث الاندلسي تترجم لاربعين شاعرة وادبية اندلسية بشيء من التوسع والاستفاضة وتتناول موضوعات طريفة من الاهمية الادبية بمكان .

● اصدر الدكتور رشدي فكار طبعة جديدة من كتابه القيم « في الماركسية والدين » . وكانت الطبعة الاولى قد صدرت قبل شهور معدودة ورحبت بها الصحافة الاسلامية في المشرق والمغرب .

كتاب « في الماركسية والدين » دراسة علمية في مستوى رفيع للفكر الماركسي تكشف للقارىء عيوبه واخطاءه وتناقضاته الكثيرة،وفي نفس الوقت يبرز المؤلف عظمة الاسلام الخالدة واحقيته لقيادة الانسان وخلق تقدم وعدالة اجتماعية حقيقية .

● « الاسلام والشباب المعاصر » أول كتاب يصدره الاستاذ محمد الفزازي من علماء وجدة . وقد كان في الاصل مجموعة مقالات نشرت في صحيفة « الميثاق » لسان رابطة علماء المغرب .

● الاديب الاستاذ عبد السلام العزيز صدر له كتاب جديد بعنوان « حصاد الايام » وهو مجموعة قصص تنحو منحى اجتماعيا واقعيا .

صدرت المجموعة عن دار الكتاب بالبيضاء .

موريطانيا :

● جاء في الخطاب الذي القاه الرئيس الموريطاني الاستاذ المختار ولد دادة في افتتاح المؤتمر الاول لشبيبة الشعب الموريطاني ما يلي :

« ... عندما اتحدث عن شخصية شعبنا فانني اعني بذلك شخصيته الاسلامية الافريقية العربية : شخصيته الاسلامية ، ذلك أن الاسلام هو فعلا الرابطة الوحيدة في وجودنا كامة ، لانه يمثل من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم النموذج المثالي لانعتاق الانسان والمجتمع ، ذلك لان الاسلام لا يفضل اى عنصر بشيء على غيره ولا اي لون على آخر ولا يقبل اى ضغط عنصري او ثقافي لانه دعوة الى الاخلاص في الايمان والجهود .. دعوة الى البحث الدائم عن العدالة والاخوة والسلام، ذلك على الرغم مما يدعيه بعض الاعداء الذين لا يريدون أن يتصوروا ديننا الا من خلال الممارسات الاعلامية التي يقوم بها البعض ، تلك الممارسات التي تتنافى تماما بما انزله الله على نبيه الكريم ، وانه ليمكننا أن نستمد من هذا الدين القوة والالهام اللذين يمكنان من النجاح في القيام بالمهمة التي طرحناها على انفسنا .. هذه المهمة التي تتمثل في أن نجعل من هذه الارض الموريطانية الوطن النموذجي للقاءات الخصبة بين رجال وثقافات يلهمهم نفس الايمان الراسخ في مستقبلهم .. »

مصر :

● توفي في القاهرة الاستاذ أحمد حمزة مؤسس مجلة لواء الاسلام التي اصدرها في سنة 1946 ولا تزال تواصل رسالتها الى اليوم .

وكان الفقيد من العلماء العاملين في صمت لصالح الفكرة الاسلامية عاصر مختلف الاحداث التي مرت بمصر وظل دائما مثالا للمسلم الصامد في وجه التحديات .

● من الكتب القيمة التي صدرت في مصر اخيرا كتاب للدكتور عبد الجليل شلبي بعنوان :

« الشيوعية والشيوعيون فى ميزان الاسلام » يمتاز بالروح العلمية والتأني فى اصدار الاحكام والعمق فى التحليل والمناقشة وسعة الافق وغزارة الاطلاع والبعد عن الاسلوب السفسطائي التهريجي الرخيص.

وهذه الدراسة واحدة من عشرات الدراسات الاسلامية الجادة والعميقة التي نشرت فى مصر مؤخرا فى هذا الموضوع . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود بعنوان : « فتاوي عن الشيوعية » .

والكتاب يكشف فى موضوعية بحتة حقيقة الشيوعية ويلقي الضوء على جانب من سلوك الشيوعيين وسير ابطالهم وينير الطريق امام الذين لم تتح لهم دراسة كافية لهذا المبدأ .

كما يكشف الكتاب كيف أن الشيوعيين فى كل بلد يعيشون عيشة البذخ والاسراف ويتمتعون بما لا يتمتع به الكثيرون من الرأسماليين الذين يهاجمون .

● اكدت لجنة استشارية ضمت ثلاثة من رؤساء المجامع اللغوية العربية أن تعلم اللغة العربية اصبح رغبة تتملك العديد من شعوب العالم وهذه الرغبة تأتي من عدة بواعث سياسية وحضارية واقتصادية ولا بد لمواجهة هذه الرغبة من بذل اهتمام عربي متزايدلنشر اللغة الثقافية العربية على اوسع نطاق ممكن .

ومن الجدير بالذكر هنا ان اللغة العربية اصبحت منذ العام الماضي لغة رسمية فى هيئة الامم المتحدة .

● حصل السيد محمود وصفي محمد بكلية الآثار جامعة القاهرة على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف التي كان موضوعها : (قصص القرآن فى التصوير الاسلامي) .

السعودية :

● صدر للدكتور علي المنتصر الكتاني كتاب قيم عن المسلمين فى أوروبا وأمريكا . وهو ثمرة جولات مطولة عبر القارتين والاحتكاك بالجاليات الاسلامية والتعرف على أحوالها وظروفها .

الدكتور علي الكتاني يعمل فى المملكة العربية السعودية واوفدته رابطة العالم الاسلامي الى جهات متعددة من العالم للاتصال بالجاليات الاسلامية فى كل مكان .

● اسماء جديدة اختيرت لاحياء وشوارع المدينة المنورة . من هذه الاسماء السلام والروضة واحد والحرم والشهداء وقباء . كما تم تقسيم المدينة الى 18 حيا بدلا من 35 وذلك ضمن مشاريع التخطيط الجديد للمدينة .

● افتتح بجدة اول معرض للمجوهرات الاسلامية القديمة .

المعرض من اعداد السيدة ماري زوني مينية والسيد كركس أوبه النمساوي خبير شركة هيجلر المشهورة .

وتقول السيدة ماري زوني مينية خبيرة المجوهرات اللبنانية والتي اقامت عددا من المعارض المماثلة فى العالم — ان المعرض يهدف الى اطلاع الراي العام فى الداخل وفى الخارج على ما كانت عليه عظمة اجدادنا الذين سبقوا العالم فى هذا المجال .

العراق :

● صدر ببغداد ضمن الاستعدادات لمهرجان المتنبي الذي يقام فى الربع الاخير من هذا العام عن وزارة الاعلام كتاب : « تنبيه الاديب على ماضي شعر ابي الطيب من الحسن والمعيب » تأليف باكثير الحضرمي ، تقديم وتحقيق رشيد عبد الرحمن .

● صدر عن وزارة الاعلام العراقية كتاب « أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي » بتقديم وتحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي .. والكتاب عرض لسيرة حياة الكندي المولود

سنة (520) هجرية والمتوفى سنة (613 في بغداد مع ما تبقى من شعره

سوريا :

● قام الاستاذ علي الرضا التونسي المحامي بدمشق بجمع وتحقيق وتنسيق وطبع كتب عمه فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة والمجمع العلمي العربي وقد أعطى الاستاذ بعمله هذا مثالا يحتذى .

وفيما يلي قائمة الكتب التي تم طبعها من هذه السلسلة وهي كما يلي :

- اسرار التنزيل
- بلاغة القرآن
- محمد رسول الله وخاتم النبيين
- رسائل الاصلاح
- الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان
- محاضرات اسلامية
- الهداية الاسلامية
- القاديانية والبهائية
- دراسات في الشريعة الاسلامية
- السعادة العظمى
- هدى ونور
- الرحلات
- الدعوة الى الاصلاح
- تراجم الرجال
- تونس وجامع الزيتونة
- دراسات في العربية وتاريخها
- دراسات في اللغة
- نقد كتاب في الشعر الجاهلي
- نظرات في الاسلام واصول الحكم
- الخيال في الشعر العربي
- نقد كتاب الاسلام واصول الحكم
- خواطر الحياة « ديوان شعر »

لبنان :

● استانفت مجلة « الفكر الاسلامي » الصدور بعد ان احتجبت طيلة الحرب الاهلية اللبنانية . وجاء عدد غشت من « الفكر الاسلامي » التي تصدرها دار الفتوى في لبنان حافلا بعدد من الابحاث والمقالات والتحقيقات الصحفية .

تقول افتتاحية هذا العدد تحت عنوان : « المسلمون والتهمة الجاهزة » :

« اذا كان لبنان بعد حرب السنتين قد خرج مثخنا بالجراح ، فان المسلمين في لبنان قد خرجوا بالنصيب الاوفر منها ، اذ انه ما من جبهة احتدم الصراع فوق ارضها والا وكان للمسلمين في لبنان ثمن يدفعونه ، فلقد كانت التهمة جاهزة دائما لتوجه الى المسلمين بسهولة ، وعلى جميع الجهات، فهم « رجعيون » ، اذا كان الصراع على جبهة اليسار وفوق ارضه وهم « يساريون » اذا كان الصراع على جبهة اليمين وفوق ارضه . وفي كلتا الحالتين كان المسلمون يدفعون تارة ثمن « رجعية » زائفة وطورا ثمن « يسارية » لا وجود لها .. المهم انهم كانوا على الجبهتين يدفعون » .

● (خمسون عاما في القضايا العربية) الكتاب الذي لم يتمكن المرحوم محمد علي الطاهر من اتمامه، وقامت حرمه باتمامه وطبعه اخيرا .

الكتاب يعتبر من أهم المعالم الحديثة في التاريخ العربي المعاصر وقضاياه .

اليمن :

● اكتشف العالم الاثري الدكتور كونراد فايدمان أثناء قيامه برحلة دراسية الى اليمن حطام تمثالين من البرونز لملكين من ملوك العرب الذين ينحدرون من (ملكة سبا) التي كانت تعيش في زمن ما قبل الاسلام ، وقد عهد الى قسم الترميم في مؤسسة آثار التاريخ الاول وما قبل التاريخ التابعة للمتحف

الروماني ـ الجرماني المركزي بمدينة ماينس بالقيام بوصل حطام التمثالين ببعضهما بعد ازالة طبقات الرمال المتحجرة عنها لاعادتهما الى شكلهما الاصلي. وهذه هي المرة الاولى التي يعثر فيها على تماثيل من البرونز في اليمن تعود الى ما قبل الاسلام .

ايـــران :

● ازيح الستار عن تمثال الطبيب والفيلسوف الايراني الشهير محمد بن زكريا الرازي ، وذلك في مدينة (ري) مسقط راس الرازي .

اقيم التمثال في حديقة غناء واسعة في مدينة (ري) .

الكـابـون :

● صرح رئيس جمهورية الكابون الحاج عمر بونجو الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية لمبعوث مجلة (اكتوبر) القاهرية (عدد : 36 ـ 30 / 6 / 1977 ـ صفحة : 12) :

« .. لقد وجدت في الاسلام كل المعاني .. وجدت في الاسلام الحرية ، والصلة المباشرة بين الانسان وربه،بعيدا عن حدود المكان ووساطة الكهنوت انني كمسلم لست بحاجة الى شيء لاختلي بنفسي مع الله .. ان الارض كلها مسجدي » وهذا هو روح العقيدة الاسلامية .

فـرنـسـا :

● اشاد الاستاذ موريس دريون وزير الثقافة الفرنسي سابقا وعضو الاكاديمية الفرنسية بالمسيرة الخضراء التي ابتكرها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ونفذها يوم 6 نوفمبر 1975 من اجل استرجاع الصحراء المغربية .

وقد جاءت الاشادة في المقدمة التي كتبها الاستاذ موريس دريون لمجموعة من الصور التي التقطتها عدسة المصور المغربي محمد مرادجي من الدارالبيضاء عن مختلف مراحل المسيرة الخضراء

وكتب على الخصوص في هذه المقدمة : « ان المسيرة الخضراء اثارت اعجاب العالم بعدما فاجاه الاعلان عنها ، وبعد ما خامره نوع من الشك عند انطلاقها » .

ولاحظ الكاتب الفرنسي : « ان عودة المشاركين في المسيرة الخضراء بعد تحقيق النصر ، اثارت الاعجاب والتقدير لدى جميع الاوساط باعتبارها عملا ضخما كان يحتاج ابتكاره وتنفيذه الى عبقرية كبرى هي عبقرية جلالة الحسن الثاني .. »

ويشتمل الكتيب الذي يضم الصور على جمل مقتطفة من الخطب والتصريحات التي ادلى بها صاحب الجلالة اثناء المسيرة الخضراء ..

● ظهرت في المكتبات الفرنسية الطبعة الجديدة من كتاب « التخيل الخلاق في الصوفية عند ابن عربي » للكاتب الفرنسي هنري كوربان .

هنري كوربان هو الذي خلف المستشرق لويس ماسينيون استاذ الدراسات الاسلامية في معهد الدراسات العليا في فرنسا .

● « ارض الله الواسعة » كتاب جديد تحدثت فيه مؤلفته الفرنسية ماري بيردي بريسكا عن صحافة الاسرائيليين الذين يزعمون انهم يعرفون كل شيء عن العالم العربي . وتقول : انهم بالرغم من ذلك يتركون الحقيقة الفلسطينية تعيش تحت اعينهم بلا تفكير في حلها .

ومما يذكر ان المؤلفة هي احدى مندوبات هيئة اليونسكو التي عاشت فترة في الاراضي العربية

المحتلة لترى المشاكل التي يعاني منها الفلسطينيون على الطبيعة .

● صدر في باريس مؤخرا قاموس صغير يشتمل على المفردات الخاصة بعلم الكهرباء . ويشتمل على 4000 لفظة عربية في مقابل مرادفها الفرنسي .

قال المؤلف في مقدمة الكتاب ان اللغة العربية على عكس ما يظن ، لها طاقة غير محدودة على الاستيعاب و ـ هضم ـ المفردات الاجنبية لان اسلوب ـ النحت ـ أو الاشتقاق يمكنها من امتصاص الالفاظ التركية او اليونانية المنقولة قديما الى العربية : رايت ان لها رنة عربية تجعلك تتساءل احيانا عن اصلها الحقيقي ! وانك عبثا تحاول أن تجد لها اصلا اعجميا .

ولاحظ صاحب القاموس ان اللغة العربيةظلت حتى فجر القرن السادس عشر ، الاداة الاساسية في نقل المعارف العلمية الى الغرب سواء اكان هذا في الرياضيات ام في الفيزياء ام الكيمياء .

اسبانيا :

● نظمت حلقة دراسية في الجامعة الدولية « مندس اى بيلايو » في « سانتندير » باسبانيا للصحافة العلمية وقد اشترك في هذه الحلقة مهنيون يهتمون بالشؤون الصحافية العلمية ، والجدير بالذكر ان هذه الحلقة تنظم للمرة الاولى في الجامعة المذكورة التي ضمت في حلقاتها الدراسية الصيفية المتنوعة ما يزيد على الفي طالب من جنسيات متعددة .

وقد اشرفت عليها الجامعة نفسها ووزارة التربية الوطنية والجمعية الاسبانية للصحافة العلمية.

لندن :

● دفع احد هواة جمع التراث الاسلامي 63 الف جنيه استرليني في مزاد علني اقيم في لندن لشراء نسخة من القرآن الكريم كتبت بخط ياقوت المستعصى في عام 681 هجرية .

اشتهر المستعصى المتوفى عام 689 هجرية بحسن الخط كما انه كاتب وأديب ومن اشهر كتبه (اسرار الحكماء) .

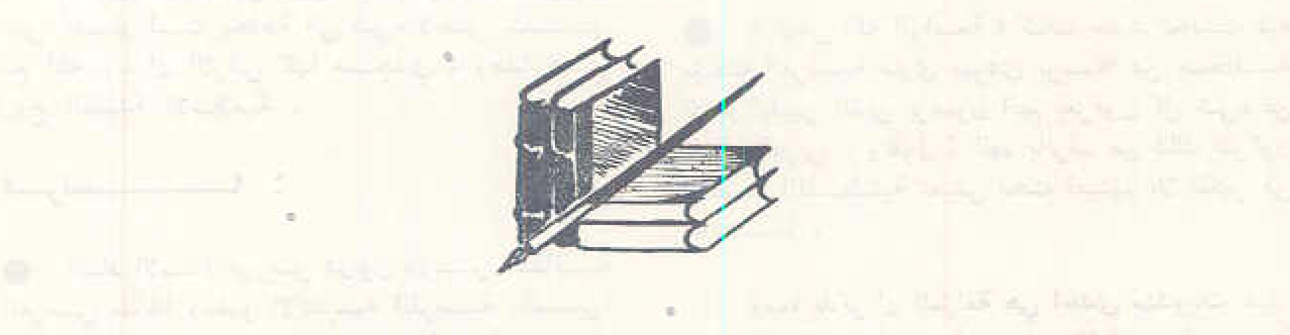
السويد :

● اصدرت السويد موسوعة مصورة بالالوان تضم احدث المعلومات والحقائق عن بحار ومحيطات العالم .

الحبشة :

ورد في احصائية شبه رسمية ان تعداد سكان الحبشة يبلغ 27 مليون نسمة منهم ، منهم 65 في المائة من المسلمين .

22 ٪ من المسيحيين ، 13 ٪ من الوثنيين .



التعليم الاسلامي ببلجيكا خلال سنة 76 – 1977

جاءنا من السيد محمد العلويني الامام المدير للمركز الاسلامي الثقافي ببلجيكا تقرير مفصل عن التعليم الاسلامي ونشاط المركز خلال السنة الدراسية المنصرمة .

ويلاحظ أن الاساتذة والمعلمين المغاربة ساهموا بحظ موفور فى هذا النشاط الهام ، الذي استفادت منه جاليتنا العمالية باوربا بصفة عامة وبلجيكا بصفة خاصة .

وفيما يلي فقرات من هذا التقرير :

اولا : دروس التربية الاسلامية واللغة العربية بالمركز:

تعطى دروس التربية الاسلامية واللغة العربية للاطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والثامنة عشرة ، يومي السبت والاربعاء من الساعة الثانية والنصف الى الرابعة والنصف بعد الزوال ؛ ويومي السبت والاحد من الساعة العاشرة الى منتصف النهار ، وذلك بمقر المركز وبفروعه بأندرلكت ؛ وتنظم هذه الدروس بالمساعدة المالية التي تتلقاها ادارة المركز من رابطة العالم الاسلامي .

وبالاضافة الى ذلك يقوم الواعظان الالباني والتركي العاملان بالمركز والموفدان من قبل الرابطة بالقاء دروس مماثلة لفائدة الاطفال الالبانيين والاتراك.

ثانيا : تعليم الديانة الاسلامية فى المعاهد البلجيكية :

تطور التعليم الاسلامي :

1) الاستجابة الى نداء المركز :

لقد لقي النداء الذي قام به المركز خلال سنة 1975 والموجه الى الدول والمنظمات الاسلامية ، والمتعلق بوضع اطار تربوي تحت ذمة المركز مع اعتمادات كافية ، لقي هذا النداء صدى ايجابيا ... اذ بادرت الحكومتان التونسية والمغربية الى ايفاد مجموعة من المربين الذين يقومون تحت رعاية المركز بتعليم الديانة الاسلامية للتلاميذ المسلمين بالمدارس والمعاهد البلجيكية .

ويتركب الوفد التونسي من تسعة أساتذة ومعلم واحد .

اما البعثة المغربية ، فهي تضم خمسة أساتذة، وخمسة عشر معلما .

وقد وعدت بعض الحكومات العربية الاسلامية بمساعدة المركز ، وذلك بايفاد عدد كاف من المربين، سيلتحقون بزملائهم بداية من السنة الدراسية المقبلة.

ومن جهة اخرى ، فان المركز قد تلقى من الدولة السعودية ومن الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي اعتمادات هامة لتمويل صندوق التعليم الاسلامي ونرجو أن لا تتخلف الدول والمنظمات الاسلامية الاخرى عن مساندة المركز ومساعدته ماديا .

2) البرامج والكتب المدرسية :

لقد أعد المركز برامج تدريس لكل مراحل التعليم ، وقد اقتبست هذه البرامج من مناهج الدراسة المتبعة فى الدول الاسلامية .

وقد كلفت لجنة تضم أساتذة ومعلمين بمراجعة هذه البرامج مستفيدين بما اكتسبوه من خبرة وتجارب فى هذا الميدان .

وتعمل نفس اللجنة تحت رعاية المركز لاعداد مشروع طبع كتب مدرسية بمختلف اللغات ، وسيقع طبع هذه الكتب واستعمالها فى بداية السنة المقبلة ان سمحت الظروف والامكانيات المادية بذلك .

وضعية التعليم الاسلامي ببلجيكا للسنة المدرسية 76 / 1977 – فى المنطقة النيرلاندوفونية :

نظرا للصعوبات التي واجهتها ادارة المركز فى انتداب الاطار التربوي للعمل بالمنطقة الفلامندية ،

فقد تابع الامام المدير المساعي الحثيثة والتدخلات لدى وزارة التربية القومية والثقافية النيرلاندية ، للسماح بانطلاق دروس الديانة والاخلاق الاسلامية فى معاهد المنطقة النيرلاندوفونية ، على ان يكون التدريس باللغتين العربية والتركية فى انتظار تكوين اطارات تجيد اللغة النيرلاندية ، وقد توجت المحادثات - بحمد الله - بالنجاح ، حيث وافق الوزير على اعفاء مؤقت من تطبيق القانون اللغوي ، على ان يلتزم المعلمون والاساتذة بتعلم اللغة الرسمية لهذه الجهة فى ظرف اقصاه ثلاثة اعوام .

وتبعا لهذا الاتفاق ، تم تعيين خمسة معلمين من بينهم اربعة باقليم لمبورغ ، وواحد بانفارس .

التلاميذ المرسمون بدروس التربية الاسلامية :

يبلغ عدد التلاميذ الذين يتلقون دروس التربية الاسلامية فى مختلف المدارس والمعاهد البلجيكية هذه السنة ما ينيف عن خمسة الاف ، فى حين ان مجموع التلاميذ المسلمين فى بلجيكا يناهز الخمسة عشر الف تلميذا .

هذا ولئن لم يتيسر المركز - لظروف قاهرة - ان يستوعب جميع التلاميذ هذه السنة ، فانه لحريص على ان يتمكن من ذلك خلال السنوات القادمة بحول الله بعد ان يتوفر على العدد الكافي من المربين الاسلاميين .

المربون الاسلاميون :

يبلغ عدد القائمين بتدريس التربية الاسلامية فى المعاهد والمدارس البلجيكية للسنة الحالية اثنين وخمسين مربيا منهم :

1) خمسة وثلاثون مدرسا للمرحلة الابتدائية

2) سبعة عشر استاذا للمرحلتين الاعدادية والثانوية .

ومن المؤمل أن يرتفع العدد فى السنة المقبلة الى قرابة الثمانين مربيا .

بنك اسلامي بالاردن

● وافقت الحكومة الاردنية على انشاء البنك الاسلامي الاردني براسمال قدره اربعة ملايين دينار، ويخصص لدعم مشاريع التنمية الاردنية ، وأوضح الدكتور محمد سعيد النابلسي مدير البنك المركزي الذي اعلن ذلك فى عمان ان النظام المصرفي لهذا البنك سيتم وفقا لقواعد الشريعة الاسلامية وضمن الحدود اللازمة لتامين السيولة المصرفية .

العقوبة الشرعية للمرتد فى مصر

● اشارت صحيفة - الاهرام - الى انه سيكون مرتدا كل من تجاوز من العمر 18 سنة مسلما او مسلمة ورجع عمدا عن دين الاسلام ويعاقب بالاعدام.

واوضحت الصحيفة ان مجلس الدولة احال على وزارة العدل المشروع الخاص بعقوبة الردة تمهيدا لاحالته على مجلس الوزراء وبالتالي الى مجلس الشعب .

اساتذة من الازهر لتنزانيا

● وافق شيخ الازهر على ايفاد بعثة من اساتذة الازهر الى تنزانيا لمساعدة حكومة تنزانيا على تطوير مناهج التعليم الاسلامي هناك .

وكان شيخ الازهر قد استقبل السيد عبود جومبي نائب رئيس جمهورية تنزانيا الذي زار مصر مؤخرا واجرى معه مباحثات تناولت تدعيم التعاون بين الهيئات الاسلامية فى مصر وتنزانيا كما تناول البحث جهود حكومة تنزانيا فى نشر اللغة العربية فى البلاد.

اقرار مشروع قانون بنك فيصل الاسلامي بمصر

● قررت اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب المصري مشروع قانون بانشاء بنك فيصل الاسلامي براسمال قدره ثمانية ملايين دولار .

وتبلغ حصة الجانب المصري فى راسمال البنك 51 فى المائة تدفع بالجنيه المصري وبالسعر الرسمي او بالدولار او بأية عملة قابلة للتحويل .

وتبلغ حصة الجانب السعودي 49 فى المائة تدفع بالدولار الامريكي .

ويقوم البنك بجميع الاعمال المصرفية والمالية والتجارية واعمال الاستثمار وانشاء مشروعات التصنيع والتنمية الاقتصادية والعمرانية والمساهمة فيها داخل مصر وخارجها .

وتخضع جميع معاملات البنك وانشطته المختلفة الى احكام الشريعة الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بتحريم التعامل بالربا وبأداء الزكاة .

افتتاح مركز الدعوة الاسلامية بالشارقة

● تم افتتاح مركز جديد للدعوة الاسلامية فى الشارقة ، وذلك لمساندة الاقليات الاسلامية فى العالم ، وقد قام سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمى حاكم امارة الشارقة وعضو المجلس الاعلى للاتحاد بافتتاح المركز بحضور عدد من كبار العلماء ورجال الدعوة والفكر الاسلامى .